أمل دنقل

صورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم أن الذى كان طفلاً سواى ؟
هذه الصورُ العائليةُ ..
كان أبى جالسًا ؛
وأنا واقف .. تتدلى يداى !

* * *

رفسةٌ من فرس .
تركت فى جبينىَ شجًّا ؛
وعلَّمت القلبَ أن يحترسْ .
أتذكَّرُ ..
سال دمى .
أتذكَّرُ ..
مات أبى نازفاً .
أتذكَّرُ ..
هذا الطريقَ الطويلَ إلى قبرهِ .
أتذكَّرُ ..
أختى الصغيرةَ ذاتَ الربيعينِ ،
لا أتذكَّرُ حتى الطريقَ إلى قبرها
المنطمسْ .
أوَكان الصَّبيُّ الصغير أنا ؟
أم تُرى كان غيرى ؟
أحدِّقُ ..
لكنَّ تلك الملامحَ ذاتَ العذوبةِ :
لاتنتمى الآن لِى .
والعيونَ التى تترقرقُ بالطيبةِ
الآن لاتنتمى لِى .
صرتُ عنى غريباً .
ولم يتبقَّ من السنواتِ الغريبةِ
إلا صدى اسمى ..
وأسماء من أتذكرهم — فجأةً —
بين أعمدة النعىِ ؛
أولئك الغامضونَ : رفاقُ صباى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

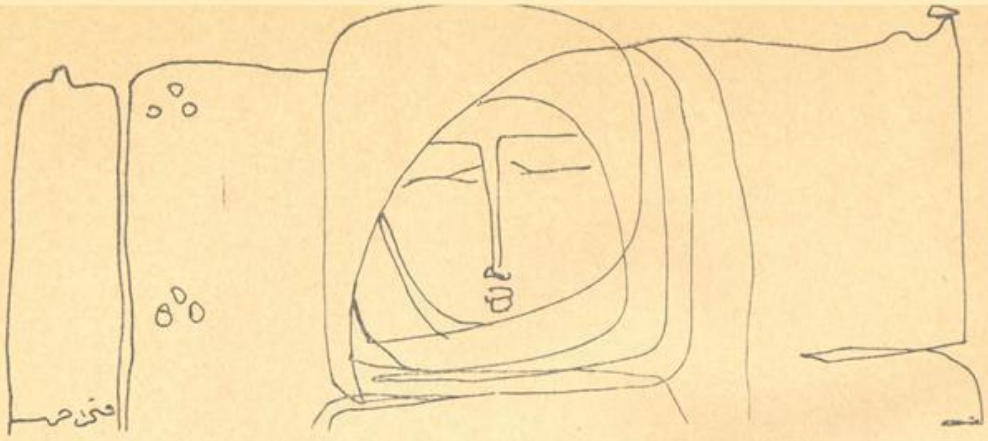

يقبلون من الصمت وجها فوجها ..
فيجتمع الشملُ كل صباح ،
لكيِ نأْتنس .

وجـــه

كان يسكن قلبيِ ،
وأسكن غرفتهُ .
نتقاسم نصفَ السرير ،
ونصفَ الرغيفِ ،
ونصفَ اللفافةِ ،
والكتبَ المستعاره .
هجرته حبيبتُه فى الصباح ؛
فمزّق شريانه فى المساء ،
ولكنه بعد يومين مزَّق صورتَها ..
واندهشْ .
خاض حربين بين جنود المظلاتِ ..
لم ينخدشْ .

واستراح من الحربِ ..
عاد ليسكن بيتا جديدًا
ويكسب قوتا جديدًا
يدخن علبة تبغٍ بكاملها
ويجادل أصحابه حول أبخرة الشاى ..
لكنه لايطيل الزيارة .
عندما احتقَنَت لوزتاه ، استشار الطبيبَ ،
وفى غرفة العملياتِ ..
لم يصطحب أحداً غير خفٍّ ،
وأنبوبةٍ لقياس الحراره .
فجأةً ماتَ !
لم يحتمل قلبُه سريانَ المخدِّر
وانسحبت من على وجهه سنواتُ العذاباتِ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاد كما كان طفلا ..

يشاركنى فى سريرى ،

وفى كسرةِ الخبزِ ،

والتبغ ،

لكنه لايشاركنى .. فى المرارة !

وجـــه

من أقاصى الجنوب أتى ، عاملاً

للبناء

كان يصعدُ « سقالةً » ويغنى لهذا

الفضاء فهوى

كنت أجلس خارج مقهى قريبٍ ،

وبالأعين الشاردهْ ..

كنت أقرأ نصفَ الصحيفةِ ؛

والنصفُ أخفى به وَسَخ المائده .

لم أجد غير عينين لاتبصرانِ ..

وخيطِ الدماءْ .

وانحنيتُ عليه .. أجسُّ يَدَه

قال آخرُ : لافائده .

صار نصفُ الصحيفةِ : كلّ الغطاءْ.

وأنا .. فى العراء .

وجـــه

ليت « أسماء » تعرف أن أباها صعدْ

لم يمتْ .

هل تموت الذى كان يحيا ..

كأَن الحياةَ أبد !

وكأَن الشرابَ نفد !

وكأَن البناتِ الجميلاتِ يمشين

فوق الزبد !

عاش منتصبًا بينما

ينحنى القلبُ يبحث عما فقد .

ليت « أسماء » تعرف أن أباها الذى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حفظ الحبُّ والأصدقاءُ تصاويرَه ..

وهو يضحك ،

وهو يفكرُ ،

وهو يفتش عما يقيم الأود .

ليت « أسماء » تعرف أن البناتِ الجميلات ..

خَبَّأْنه بين أوراقهنَّ ،

وعلَّمنه أن يسيرَ ..

ولا يلتقى بأحد !

مـــرآة

- هل تريد قليلاً من البحرِ ؟

- إن الجنوبىَّ لايطمئن إلى اثنين ياسيدى :

البحر - والمرأةِ الكاذبه .

- سوف آتيك بالرمل منه .

.. وتلاشى به الظلُّ شيئًا فشيئًا ؛

فلم أستَبِنْه .

- هل تريد قليلاً من الخمرِ ؟

- إن الجنوبىَّ ياسيدىِ يتهيَّبُ شيئين :

قنينةَ الخمرِ - والآلةَ الحاسبه .

- سوف آتيك بالثلج منه .

.. وتلاشى به الظلُّ شيئًا فشيئًا ؛

فلم أستبنه .

* * *

بعدها لم أجد صاحبىَّ

لم يَعُد واحدٌ منهما لى بشئ .

* * *

- هل تريد قليلاً من الصبرِ ؟

- لا ..

فالجنوبىُّ ياسيدىِ يشتهىِ أن يكونَ

الذى لم يكُنْه.

يشتهىِ أن يلاقى اثنتين :

الحقيقة والأوجه الغائبة

القاهرة - امل دنقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل العتب على النظر

□ د. يوسف إدريس

من كام يوم جانى حسن
قل لى يا دكتور
أقول لك يا حسن
هو فيه للحمير نضارات
ضحكت
فلا بد حسن يريدنى أضحك
لأ · جد
لابد يريدنى لا أضحك
سكت واليه نظرت ·
ما تقول لى يا دكتور
أقول لك يا حسن
مش للحمير نضارات زى اللى آدمين
كل كذا عام
لك يا حسن سؤال
لا يا حسن الحمير مالهاش نضارات
طب والعمل
وحمارى لازم له نضارة
ايش عرفك
بقى يضبش
ويدخل على مراتى
يفتكرها الزكيبة
هى تخينة زى الزكيبة
ان جيت للحق
صحيح تخينة
انما مش زكيبة
يمكن بيغلط وكل حمار له غلطة
بس ده غلطه كتر

وبدأ يحرن
ويتوه عن الدار
ومرات يخبط راسه فى الحيط
عشان حمار يا حسن
لا عشان بقت عينيه شيش بيش يا دكتور
وديته لحد يشوفه
شافه البيطار
وقال لك عايز نضارة
قال بيعه · دا شرك · بيعه
بيعه
ما يجيش تمنه
والحمير الجديدة سوقها نار
واحل
عايز له نضارة يابيه
انت اتهبلت
نضارة ايه لحمار يا حمار
قول اللى تقوله
انما أنا فى عرضك
غيتنى ·
ازاى
اتوسط لى فى نضارة
والنضارة بوسايط
كله بوسايط النهارده
الا النضارة
مش عايزه واسطة
امال عايزه ايه
عايزه كشف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والكشف فين
عند بتاع النضارات
يبقى خلاص · خرجت
أنا وقعت م السما يا بيه
وانت استلقيتنى
ست كيلات فول
وأعمل له نضارة
أنى حالى واقف
ومن يوم ما وغوش
أنى سنقرت

●●●

وقعدت أضحك
افتكر حمار حسن
لبس نضارة
أموت على نفسى م الضحك
لدرجة قلت لا بد
وبكل طريقه يا حسن
اعمل لحمارك نضارة

●●●

لعم ناجى خدت بعضى ورحت
وعملنا اجتماع
ومن حيث المبدأ وافق
وفضل التنفيذ
والتنفيذ عايز كشف
والكشف عايز علامات
وأنهى حمار ده
اللى
ح يعرف فتحة العلامة منين
منين ح تعرف الفتحة يا حمار ؟

●●●

وانضم حسن أبو على لينا
وعلى أعلا مستوى قعدنا نضبش

وجانا الحل من حسن
حل مالوش مثيل
يا بن الأيه يا حسن
أما حتة حل

●●●

سهم حسن وقال
يا بيه وياعم ناجى
الحل عند الحمار
ازاى يا حسن ازاى
فتح حسن بقه وبص لكمه الشمال
وانكسف
هو بينكسف كده
وقال
الحل حمارة الصاوى جارى
كان ساعة ما بيشوفها
ينهق عليها
ولما نظرم ضعف
ما يقاس ينهق
الا لما يقرب عليها قوى
وكل يوم والتانى
ماكانش يزر ودانه
الا لما يدوبك
بوزه ينشه ديلها

●●●

وبعد مفاوضات
والصاوى خايف على حمارته
ولولا ان عم ناجى
كبرت فى دماغه
ما كانش حصل
وتم وجرى الترتيب
نوقف حمارة الصاوى على بعد قصبة
وحمار حسن على باب الدكان
وأنا أمسك شنبر الكشف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وناجى يغير العدسات
بحيث لما يحط العدسة المظبوطة
نعرف انها هى من نهيق الحمار
مادام كل ما كان يشوفها ينهق
فضرورى لما يشوفها ح ينهق
ونعرف العدسة المظبوطة
وعدسات عينينا تنفع لعينين الحمار
تنفع ونص
قالها عم ناجى وفتح الصندوق
وصبيه طرد العيال ووقف زنهار
وحددنا مكان الحمارة
ومكان الحمار
ودورنا الحمارة
وخلينا راس الحمار
على خط مستقيم
يصل بين نقطتين
ديل الحمارة
ومناخير الحمار
وثبتنا الشنبر وبدوبارة وحوالين الودان
ربطناه واشتغل يا عم ناجى
وثبت الهدف يا عم صاوى
وانهج يا حسن وكأنك حاضر
أول عملة فى التاريخ
يعملها انسى فى حمار

●●●

زيادة فى الاحتياط ثبت أنا الشنبر
وزيادة فى الاحتياط مات حسن على صندوق العدسات ·
وبسمل عم ناجى وكلنا وياه ·
وحط أول عدسه ·
واستعدل بوز الحمار
نفخ الحمار وعطس وهز كده وكده راسه
وكان شىء ما كان
ثانى عدسة ·

خاف الحمار واتاخد وغمض عينيه
وبدأ يرفص
سهل علينا ناجى وقال أصلها عدسة بتكبر
ولازم شاف الحمارة بغل قدامه
الثالثة مسكنا لها جامد
ورمش الحمار عشر رمشات وابتدا يبحلق
وزر ودانه
وبان عليه علامات جد وخطورة
ولحقه عم ناجى بعدسه على العين الثانية
حمحم الحمار ونفخ صدره
وزفر بصدر محروق
وراح مطلقها
تنهيقه مفاجئه خدتنا على خوانه
وكأن قنبلة انفجرت
تنهيقه وأتبعها بالثانية
ورفع للسما راسه
وتشعبطنا نمسك العدسة والشنبر
وغارة نهيق هاجت
ومعاها ضحكنا هاص
ينهق ونضحك
وابراهيم م الفرحة طاير
وحمارة الصاوى للنهيق
تحت ووسعت فتحة البرجل
وابتدى يفلفص
وحسن يصرخ : أهو شاف
ايش عرفك
شاور
شىء خرافى غريب يجعلك
تؤمن ان الجسد حيوان ساعة اللزوم يظهر
لا عقل له ولا فيه ولا أدب يعرف
خرجته من جحره زى الكمين الحى يستنفر
شىء لابد معه تتأمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتنكسف له
كأنك الغلطان
وارتبكنا احنا الكل خايفين نبص
نيكون عيب
ومش قادرين نشيل عينينا
لأن البصر من مكمنه بينشد
ومن غير أمر ولا خطة ، الظاهرة
عماله وشغالة والحمار ينهق
والوحيد انباصص بعيون الفرح والفخر
حسن أبو على صاحب الحمار
يعمر بيتك يا دكتور
تسلم ايدك يا عم ناجى
أنا طالب القرب يا صاوى
وحمارتك أهه ، موافقه
والجمهور على الجوانب انتابته حاله
وكأنه بريمه اندكت فى برقع الحيا للأخر
وحمحمه ورا حمحمه سخن الحمار والزمان
داجنن الجدعان
وهب ، قطعت رجليه القيود
واندفع خطوة
خطوة واحدة بس لأن العدسات نطت
والشنبر طار
وهديت تماما وفى الحال وحين كف البصر حركة
الحيوان
وعاد أليف مستأنس
ارتخت ودناه
ودلدل بوزه
وصرخ ابراهيم
فى عرضك يا عم ناجى
الحقنى يا دكتور
الفرحة ما تمت
والدنيا بقت هس
لكن حماسنا كان لسه
ومرة ثانية ثبتنا الشنبر
وجاب ناجى عدسات اضبط
والنهيق عاد
وفى السما لعلع
وما عرفناش اللى حصل آيه
فى نطة جامدة كان عند الحمارة
ودماغه زقت عمك الصاوى
وقدام عينينا ظاهرة كونية
وعفاريت الجسد فى عز الضهر اتجننت
ولا عاد حمارة من حمار ولا ذكر من انثى
الحياة الحمارة بغشوميتها وغباءها أصبحت أرقى
والقانون اللى عمل انثى وذكر أصبح مرعب
وهو يطلق عقال طاقة الالتحام
ولا الرعب النووى له الجميع أنشل
الطبيعة بصراحة وبلا خجل وعينى عينك
تتكلم بأعلا صوت ، تصرخ · تجأر
تضع فى أجسادنا الزلازل ، وداخلنا تفجر البراكين
لحظة اختلال كون
واللا انتظامه
منتهى عقله
واللا منتهى جنانه
لحظة لاقيمة فيها الا قيمتك كذكر الطبيعة أو
كأنثاها
ولتذهب العقول والضوابط للأطفال والعاجزين
يلعبون ويعزون بها الأنفس
لحظة الفيض
الأجساد ثائرة وفائرة تدفق رحيقها
بكل بدائية تفجرات الشمس
ومد القمر
ووحشية الاعصار

●●●

واختفى الكل ولم يعد سوى ثلاثة
حمار حسن وحمارة الصاوى وقامة قصيرة تشب
وتريد
مطاولة الموقف واللحظة ، قامة أبو على وقد فقد ،
للحظة ، وعيه الكامل وملامحه وقد أصبحت تنطق
بالسريانى وتزمجر بأزيز يرعب حسن ويرعبنا ·

●●●

ولا تتصور ظاهرة مهولة كهذه
تنتهى كما انتهت ، فجأة ، ويحل السكون عاتيا ،
شاملا وكأنه العودة الى القبر ··

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

●●●

وذعونا من خناقة حسن والصاوى ·

فالصاوى انشب أظافره فى حسن بدعوى أن الاتفاق كان على الكشف من بعيد لبعيد فقط ولم يكن الوثب أبدا داخلا في اعتباره · وحسن يرد بغرور أن على الصاوى أن يحمد الله فحمارته من فرط قبحها باثرة السوق ، وفى جوفها الآن نطفه حمار حصاوى منياوى لا يقل أجرها عن جنيه ·

وكأنهما بالاشـــتباك الذى دار والعمامات التى تهدلت والصراخ والجثير يعيدون للكون نشازه بعد انســجامه ، وضــجته التى لا معنى لها بعــد فحيح الضجيج الخالق ·

أما حسن فقد أصبح قتيل النضارة ، تلك النضارة بالذات ، فلم يعد مهما لديه أن يرى بها حماره الطريق ، الأهم ، الكسب ، كان يأتى بنضارة الوثب تلك · الوثبة بجنيه ، سعر محدد ، منها خمسة وعشرين قرشا بدل نظر أو بالأصح بدل نضارة ·

ولكنها انفضت ، واكتفى حسن بالمن ، واقتنع الصاوى
انه فى النهاية ظفر لحمارته بوثبة مجانية
أما عم ناجى فقد تطوع بتصنيع شنبر خاص لحمار حسن

بل وأحضر له عدسات أكبر ، وأصبح حمار حســـن ونظارته من معالم القرية ، وبالذات نقطة جذب السياحة الداخلية لأهالى القرى المجاورة ·

وعاث الحمار فى أرض القرية بنظارته فسادا

فلم يترك أنثى على حالها ، بل أحيانا كان يناوش حتى ذكور الحمير ··

وأشاعوا أن حسن أرسل حماره لكتاب الشيخ حسنين ، وأنه تعلم القراءة بسيولة تامة اذ على راى عم ناجى : أنا مركب له نضارة تقرا لوحدها ·

بل وفعلا ، وقد رأيت هذا بنفسى كان الحمار كثيرا ما يرى وهو يحدق فى مانشتات الصحف الحمراء ، وان بعضها كان يعجبه فيلعقه بلسانه والآخـر كان لا يعجبه فيمضغ الصحيفة وعنوانها ثم لا يلبث أن يبصقها وينهق بشدة علامة الضيق الشديد ·

وربما لهذا صمم حسن على منعه من الاطلاع على أى جريدة أو مجلة فقـد لاحظ أن القراءة بنظارة الوثب تقلل كثيرا من قدرة دابته ، ويخسر بعدها بضعة جنيهات من جراء (سدة النفس) التى تحدث لحماره ، عقب كل جريدة يقرأها ويمضغها ويبصقها علامة على أنها أحبطته وجاهلا سيصير الحمار ، وماذا يهم : الأدب أو قلته فضلوه على العلم ·

●●●

ومن يومين جاءنى ابراهيم
وسألته عن الحال ، قال : لبن
وعن النضارة قال : حديد
وعن الحمار ، قال : عقبال أملتك
ثم ابتسم ، مخفضا فتحة فمه الى أسفل ، راشقا عينه فى كمه الأيسر ، طريقته فى الخجـل ، ثم بتنهيدة من أعماقه قال :
الا قول لى يا دكتور
أقول لك يا حسن
مادام نضارات البنى آدمين بتنفع الحمير ، يا ترى نضارات الحمير تنفع للبنى آدمين
ليه يا حسن ·
سألت ·
قال : أصلى عاين أتوكل على الله وأعمل نضارة ·
اليه نظرت
ورفضت أن أضحك
فماذا بالله عليكم يضحك فى السؤال ·
بالله عليكم ، ماذا فى هذا رغم ذاك ، يضحك ؟

القاهرة : د· يوسف ادريس

البحر موعدنا

رحلة فى شعر الشاعر "محمد إبراهيم أبوسنّة"

د. عبدالقادر القط

رحلة طويلة تلك التى اجتازها الشاعر محمد ابراهيم ابو سنة فى صحبة الشعر على مدى سبعة عشر عاما منذ أن صدر ديوانه الأول «قلبى وغازلة الثوب الأزرق» حتى ديوانه الأخير « البحر موعدنا » .

ومن يخض مثل هذه الرحلة الطويلة فى مسالك الشعر والفن لابد أن يتفتح فكره ووجدانه من خلال التجارب والمعاناة وتحول الرحلة والمكان على معرفة ورؤية واحساس وفن متجدد عبر مراحل الرحلة وتقلبات أحوالها ، ويظل مع ذلك محتفظا بشىء جوهرى لا يتغير ، يعكس فطرته الأولى وموهبته التى تبقى تربة دائمة تنمو فيها بذور المعارف والتجارب . وفى ديوان الشاعر الأخير يتمثل عنصرا الثبات والتغير فى بعض جوانب من احساس الشاعر بالكون والحياة والناس، وفي بعض مظاهر من التعبير الفنى فى بناء القصيدة واستخدام اللغة ورسم الصورة .

أما احساس الشاعر بالحياة والناس فمازال كعهدنا به فى دواوينه السابقة يقوم على الشعور بالفقد والغربة والحيرة أمام ما يشهد من قيم لا ترضى تطلعه الى الخير والصدق والاخلاص والجمال ، فهو موزع بين الرضى بالواقع وكأنه طبيعة النفس البشرية وسنة الحياة ، والرغبة فى المجاهرة بسخطه على ما يرى والاندفاع لكى يغيره الى ما يحب .. وبين التسليم والرغبة فى السخط يتخلل شعر الشاعر حزن هادىء عميق يضبط ايقاع شعره فلا تعلو نبرته ، ويضبط تعبيره فلا يجنح الى المجاهرة والخطابة ، وان انتهى أحيانا الى شىء من الرأى المباشر داخل هذا النغم الخافت الحزين . وذلك شىء يحمد للشاعر فى زمن اختلط فيه الفن بالاعلام والسياسة والمحافل التى تملى على الشاعر – برغمه فى كثير من الأحيان – نبرة عالية وأنماطا تعبيرية معروفة بقدرتها على احساس كسب اعجاب الجماهير .

ويدرك الشاعر حقيقة تلك القطيعة بينه وبين الحياة والناس ، ويصرح بها فى كثير من مقاطع قصائده ، لكنه يوشى هذا التصريح بغلالة من الذكريات ، أو الأمنيات فلا تبعد عن طبيعة شعره العامة فى هدوء الايقاع وكبت انطلاق الشعور :

ولا يخفق القلب الا لصوت السكون
الذى يبعث الآن بين ضباب الأشعة
وجه الأحبة
فوق مرايا النسيم المراوغ
وهذى المسافات يقطعها الضوء والظل
ويكثر فيها الأنين
ويغدو العذاب طريق المسافر

تغـــدو القطيعة دار الاقامة
والحزن مرقده ·· والحياة الجنون

والشاعر يعى هذا الكبت الذى يسيطر به على مشاعره فى أشد المواقف قدرة على اثارة الشعراء ودفعهم الى النبرة العالية والانفعال العنيف ، وهو يحاول فى مثل تلك المواقف أن يهرب عامدا من ضوء التصريح والمواجهة الى حماية الظلال ؛ فان فكر فى الضوء كان ذلك حلم يقظة يرسم خلاله ما يبتغيه من الغد ·· وهو مع هذا ضوء سديمى تتشكل فيه النجوم وتولد البحار :

··· فها أنت تنتخبين لزينة بيتك غيرى
فأمضى تنازعنى الريح والليل سرى
وأكتم وجد المحبين ·· أهرب بين حصار الظلال
··· وأمضى الى مقلتيك لأرسم ما أبتغيه من الغد
أرسم شكل المسافات فى الضوء ··
شكل النجوم التى سوف تأتى
وشكل البحار التى سوف تولد ··
وأمضى الى شفتيك اللتين تبوحان لى بالمسرة

ومن هذا الحزن المشوب بالسخط المكبوت يتولد صراع نفسى دائم يحاور الشاعر فيه قلبه ونفسه ويحاسبها على موقفها المتخاذل ، أو يحاسبانه ، أحيانا بالسؤال والجواب ، وأحيانا بمجرد الخطاب والتقرير ، وكأن الشاعر بهذا الحوار والتساؤل الداخلى يفر من مواجهة القضية مواجهة صريحة فى عالمه الخارجى ويحبسها فى اطار من الصراع الذاتى :

قلت أحـــاور قلبى :
ما معنى الجنـــة ياقلبى ؟
قال : تجول فى نفسك حتى تصل الى الانسان
وتجول فى الانسان الى أن تصل الى وطنك
وتجول فى وطنك حتى تصل الى الله ··
قلت : وما معنى النار ؟
قال : خواء الأشياء من المعنى ،
أن تصبح شيئا كالأشياء ·· يشرى ويباع
أن تنصاع الى ما لا يدخلك الى ذاتك
أن تسكنك الأشياء الباردة الايقاع

ويستحيل النيل فى حديث الشاعر اليه الى قلب يحاوره ويستحثه على التمرد على هذا النحو الداخلى الذى يختلط فيه اليقين بالظن :

ما الذى فى ضميرك للأرض ؟
قارة أنت للحلم والظن
ياقلبنا الأملس المنيع المراوغ

●●●

لست سطحا من الموج ··

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا أيها النيل جاهر بعشقك
ان الشواطىء لاتستحم بمائك ..
الا اذا أخرجتك عن الطور هذى الصبابات
الا اذا جاوز العشق حد التعقل
وانداح فى زمن للجنون

ويعى الشاعر حقيقة موقفه فى مواجهته للحياة والناس ، فى حوار مع مجهول ، لعله قلبه مرة أخرى :

قال لى :
ان روحك ضائعة ، أنت
لاتستطيع الدخول الى النار فى لحظة الحلم ..
لاتستطيع الحوار مع الرعد ..
لاتستطيع السكوت ولا النطق ..
تبقى هنالك فى جنة الوهم
تسقى الأساطير ماء الغمام الذى لايجىء !

وفى قصيدة وحيدة سمى بها الشاعر الديوان « البحر موعدنا » يخرج الشاعر بهذا الصراع الداخلى المكبوت الى المجاهرة والمواجهة ، وهى قصيدة ـ لهذا ـ تبدو فى فنها أيضا مخالفة لسائر قصائد الديوان :

والشاعر فى هذا الديوان يلتزم جانب الاقتصاد فى العبارة والتركيز فى الصورة ، ويخالف ما كان معهودا فى كثير من قصائده من انسياق وراء تداعى الألفاظ أو المشاعر أو اغراء موسيقى القافية والايقاع ، وقصائده عنا لا تطول كثيرا ويحكم بناءها وصورها شىء من « التصميم السابق » ـ بأذن ـ فى الأغلب ـ الا لما يدخل فى صميم ذلك البناء . ومن نماذج هذا « التصميم » ما يبدو فى قصائد « أسئلة الأشجار و «ى النهر وملائكة الأحزان » و « أصوات » و « تحولات قلب ». ولمثل هذا البناء الفنى نظائر فى دواوينه السابقة ، كقصيدته « لأنك تجهل مملكة الليل » فى ديوانه « تأملات فى المدن الحجرية » وقصيدته « أعرف أنك تكتملين الآن » من ديوانه « أجراس المساء » .

والحركة النفسية التى يخلقها هذا الحوار الداخلى بين الشاعر ونفسه وبينه وبين الأشياء تعصمه مما يقع فيه أحيانا فى دواوينه السابقة من « امتداد » الصورة الواحدة أطول مما ينبغى وايرادها هى نفسها بأكثر من وجه فى بناء ممتد ولكنه غير مركب. فقد كانت القوافى والسطور القصيرة الموقعة تقوم عنده فى بعض الأحيان مقام التركيب وخلق علاقات جديدة بين أجزاء الصورة الشعرية فتظل عناصرها منفصلة، تتكامل ولكنها لا تتفاعل وتتوحد ، برغم ما فى عباراتها من جمال ، كقوله مثلا فى « مرثية القلب الميت » من ديوانه « حديقة الشتاء » :

كنت تفتش فى قلب الصخر ، عن فصل خامس
لاتذبل فيه الأشجار .. لاتبطىء فيه الأنهار
عن ليل لاتسقط منه الأقمار .
عن قلب واحد يؤمن أن الحب يدوم

دون قناع كاذب ..
عن طرق أخرى تسلكها الأحلام
كنت بريئا .. لاتدرى أن الأيام
لاتترك من يصعد ، تمتلىء يداه بضوء النجم
لاتترك نهرا يجرى لمصبه
لاتترك حبا يختبىء سعيدا فى مقلة عاشق

أو قوله من الديوان نفسه :

.. فليدخل الاعصار
الى المخادع التى تضج بالأشواق
وليقرع الخطر ، ناقوسه فى ساعة العناق
وليخفق العلم ، فى القلب لحظة الفراق
ولتعرفوا أيها العشاق
بأن أجمل العيون ، تهيأت للاحتراق

وقوله فى « قلبى وغازلة الثوب الأزرق »

أن نجلس فى شرفتنا .. نتذكر خدعتنا
فى حب مات
فى طفل ما أنجبناه
فى عمر يورق أحلاما ماعشناه
فى وجه قابلناه وتاه
فى لحن ماغنيناه
فى سر كنا نتمنى لو قلناه
فى ندم عما نحن أضعناه
عمـــا نحن جنيناه
فى قولة آه !

ولعلنا نلاحظ أن هذه الوجوه المتعددة لمظاهر « الخدعة » لا تضيف ـ من الناحية الفنية ـ جديدا الى الاحســاس لكنها « تمد » الصــورة دون أن تنميها أو تركبها ، فكل جزء من أجزاء الصورة كان يمكن أن يكون صورة مركبة فى ذاته لو لم يعتمد الشاعر على تتابع العبارات ذات الايحاء الواحد ، والايقاع والقوافى .

حقا ان الشاعر فى ديوانه الجديد ما زالت تغريه « البــدائل » وتعــداد الأجزاء المتشابهة الايحاء ، لكنه هنا لا يمر بكل جزء مرورا سريعا دون أن يربطه بسابقه من خلال معنى أو شعور يضيف عمقا للجزء من ناحية ويربطه بأجزاء الصورة جميعها من ناحية أخرى . ومثل هذا « التلبث » والتأنى أمام الجزء الواحد يوحى الى الشاعر بكثير من المجازات اليسيرة القادرة بيسرها على التعبير عن هذا الحزن الشفيف الذى يشيع فى قصائد الديوان . فهو حين يتمنى فى قصيدته « تحولات قلب » لو كان قلبه صخرا أو طيرا لا يكتفى بالعبارة القصيرة الدالة على الأمنية ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بل يفصل القول فى غاية الأمنية ويربط بين هاتين الأمنيتين ، ثم يعود من خلالهما فيرتد الى ذلك الحوار الداخلى ـ الذى أشرنا اليه ـ بينه وبين قلبه :

آه لو كنت من الصخر لمالت
فوق أطرافك أسنان الخناجر
آه لو كنت من الطير لما حط الجناح
فوق شوك الغابة الممتد فى ليل الحزين
لصعدت الآن للريح الى حيث السماء
تنشر الضوء على البحر ..
الى حيث النجوم هائمات فى السديم
وجعلت الغيم قصرا لمقامك
أيها القلب الكليم
هذه الوحشة والليل وآنات العواصف
وجبال من حطام الزهر والأوراق والأغصان
نهر من هشيم السنوات .. وبحيرات دموع
كلها تقبل فى ظل المساء .. حين يسود الرماد
ثم تنسل الى داخلك المطمور فى عمق الثلوج ..
كلها تنسل فى الصمت الى مجرى العروق
والى قاعك فى قلب الحريق
علها توقظ نجما فى سحيق السنوات
كان حيـا ثم مات
صرت قبرا للدموع
أيها القلب الذى كان غطائى فى الشتاء
وغصونى فى الربيع ، ونجومى فى المساء

وقد نلاحظ مع امتداد أجزاء الصورة أن السطور تكاد تكون خالية من القوافى، الا حين يشتد انفعال الشاعر فى نهايتها ويصبح الايقاع ضرورة فنية للتعبير .

ولأن الشاعر لا يقتحم فى تجربته الشعرية عالم الواقع بتفصيلاته ومشاهده بل يتخذ منه موقفا نفسيا داخليا عاما ، نراه يعبر عن رؤيته لهذا الواقع من خلال طائفة من الألفاظ يستخدمها رموزا لرفضه أو أمنياته أو ذكرياته أو أحلام يقظته . وهى رموز ليست جديدة على هذه الألفاظ .

ويفلح الشاعر أحيانا فى أن يضعها فى عبارة شـعرية متكاملة تجعل من الرمز مفتاحا للصورة الشعرية ، أو يأتى بها أحيانا مجرد لفظة ذات معنى وايحـاء خاص مفرد . وهو يجىء بهذه الألفاظ موجبة تدل على الحضور فى حال الرضى أو على سبيل الاسترجاع فى اطار الذكريات ، أو أحلام اليقظة فى حال التطلع

والأمنيات · وقد يجيء بعضها مفردا أو يجتمع بعضها الى بعض أو يحشدها الشاعر أحيانا فى مقطع شعرى واحد · وينفى الشاعر هذه الألفاظ حين يعبر عن الشعور بالفقد أو تحول العلاقات أو ادانة الحاضر أو اليأس من المستقبل · ومن بين هذه الألفاظ طائفة توحى بالخير والثمار كالمواسم والفصول والمطر والغيم والأنهار ، ومنها مايوحى بالتسامى والسعادة والجمال كالأقمار والنجوم · والشاعر فى استخدامه لتلك الرموز ـ كعادته ـ لا يحاول أن يكون منها صورا مركبة أو مجازات بعيدة بل يكتفى ـ كما ذكرنا ـ بأن تتكامل مع غيرها من عناصر التعبير الشعرى وتظل متسقة فى ايحائها وايقاعها بانفعاله المكبوت وأنغامه الهادئة ، وهو أسلوب فنى استخدمه الشاعر فى هذا الديوان وفى دواوينه الخمسة السابقة · ففى قصيدة « هشيم الأشجار » من ديوانه « الصراخ فى الآبار القديمة يحشد الألفاظ الموحية بالخير والثمر الى جانب الألفاظ الموحية بالتسامى والمحبة والجمال فيقول :

رحلت نحو السهل الأخضر
أشجار الحكمة
مثقلة بالفاكهة وأعشاش الطير
تروى للنهر ·· سر الألفة بين العشاق وباقات الزهر
تحنو فوق الناس البسطاء ·· ترخى أفرعها للأطفال
تحرسها الشمس وترعاها الأنهار
تغتسل ذوائبها فى السحب المغتربة ·
لكن شجيرة ·· حلمت أن تصبح عرشاً فوق البحر
كانت تحمل ألف جناح من أجنحة الطاووس
ومرايا تتضاحك فيها الألوان
تحلم أن تسكنها الأنجم
تنسج فيها الموسيقى مهدا للأحلام
يبنى القمر عليها برجا من فضة
مروحة خضراء على جسد الصيف
مدفأة شتاء حمراء !

وفى ديوانه الجديد « البحر موعدنا » يقول متسائلا ، راسما صورة عالمه الجديد الجميل من خلال ايحاءات المطر والغيم والفصول والربيع والنجوم :

ترى هل أفك الحصار ·· أعود من النفى
يطلع فوق التلال النهار ؟
سؤال من النار يحرق جلدى
فأنبش فى الرمل ·· أنبش فى الصخر
أنبش هذى الغصون وهذا المطر
الى أن تلوح العلامة
فأعرف سر الطريق وسر القيامة
ويأتى من الغيب سيف النبوءة
فتمشى القناديل عبر كتاب الزمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتجرى الدماء القديمة ·· بهذى العروق الجديدة
ويمطر قلب العصور سحابا من الذكريات السعيدة
فتورق بين الضلوع فصول الندم
وتصحو النجوم
وتدخل قلبى رياح الربيع ·

والحق أن هذه الرموز تكاد تطالع القارىء فى كل قصيدة من قصائد الشاعر فى ديوانه الجديد ، ودواوينه الخمسة السابقة ، سواء كانت منفية أو مثبتة ، قائمة فى اللحظة الحاضرة أو غائبة فى ذكريات الماضى ، مأمولة فى أحلام المستقبل · ففى الديوان الجديد يقول الشاعر عن الفصول والعطاء والنجوم راصدا كعادته تحول لحظات حياته :

رأيت المسافات تحملنى
من نهار الربيع الى الليل
تحت جناح الشتاء الطويل
ومات زمانى الجميـــل
وماعاد لى أن أقول ·· الذى لم أقله
وكانت أمامى النجوم مزغردة
وكانت أمامى الفصول
ـ شفتاك طالعتان فى نهر الربيع
موجاً من الورد المرفرف فى صفاء الذاكرة
يهب البرارى الاخضرار ·· غرب النهار
فى أفق عينيك المسافة
بين قلبى والنجوم

وعن الفصول والنجوم والعطاء يقول فى « أجراس المساء »
عيناك ترحلان فى تاريخى الطويل
سحابتان ترقصان فى الجبال
وموعدان للشروق
وعازفان يبذران فى ترابى النجوم
فتثمر السنين ·· فواكه الفرح

وفى « تأملات فى المدن الحجرية » :
يقولون انك ترسم خارطة للزمان
يكون الربيع بها سيدا للفصول
ولون الحقول
يزخرف هذى الصحارى
ويغمرها بالثمار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويجمع بين النجوم والأقمار والعطاء :

زمن يبدأ عند الفجر
قيثارة شـــعر
بستان نجوم تسكنه الطير
تبتسمين فينهمر الورد
يتهلل سرب من آقمار
فوق حدائق عينيك الصافيتين !

وفى « الصراخ فى الآبار القديمة » :

عيناك شراعان على نهر الحب
وسريرك نهر وحديقة
وحمام أزغب يلهو فوق العشب
تبحر نحو شواطئنا الأقمار
تتفتح فى خيمة هذا الصمت
آلاف الأنجم والأحلام

ويجىء الشـاعر بهذه الصـــور الرامزة منفية فيقول فى « تأملات فى المدن الحجرية » :

ونهاجر فى صحراء الصيف
فى بادية الأوراق الصفراء
ينشرها فوق مدار العام خريف مترهل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى حديقة الشتاء :

بقيت فى الحلق ثمار الحنظل
يافصل الأيام الأخضر
أسلم معزفك المشؤوم
فلقد جاء الحزن ٠٠ ليتم لنا لحن الليلة !

وفى حال اليأس أو الحزن تتهشم الأقمار وتفيض الأنهار ويخبو ضوء النجوم فى كثير من صور الشاعر كقوله فى ديوانه « تأملات فى المدن الحجرية » :

على شفاهنا تهشم القمر
شهران والحديث دامع يطوف بالقرى
عن عاشق أتى مع المساء
يسائل الضفاف عن حبيبة بيضاء
عن عود قمح كان يعشق الغناء

وفى « أجراس المساء » :

كانت مثل البشر الفانين تجوع وتأكل

تصحو عند الفجر وتذبل
حين يغيب القمر الأعزل
كانت قمرا لم يكمل
ـ يغرق ظلك يابدرية
بين ضفائر أشجار الصفصاف
تنتحب الريح الغربية
عند سقوط القمر المرتعد الأطراف !

وفى « الصراخ فى الآبار القديمة » :
صليت لو أتى القمر !
لو يغزل ابتهاجه على وسادتى
لكنه مضى مخلفا صراخه على نوافذ الجيران
ـ وحاول القمر
أن يستعيد ذكرياته مع الفرح
ألح فى انتظار نجمة مضت ولم تعد
فمال للنخيل يستميله ويرتعد !

وفى « تأملات فى المدن الحجرية » :
ماذا يحترق بقلبى ؟
يامدن القسوة والوهم !
تذبل أشجارى .. تتبخر أنهارى
يسقط قمرى فى الظلمة !
ـ ونهر تخاذل وانتابه من رحلة فوق حد الصخور
فظل يناور حتى يعود غديرا صغيرا ..
فمجرى حقيرا .. فمات
فأصبح ملء الزجاجة !

وفى « البحر موعدنا » يخاطب قلبه :
أيها القبر الذى ضم المطر
وبقايا الأنجم الأولى من العمر القصير
وحطاما من أغـان ونسـور
صرت قبرا مثل آلاف القبور !

ويقول مرة أخرى :
مطر بلا شجر .. وأشجار بلا مطر تموت
سحب تفر من السماء الى الكهوف
شجر يموت وعالم يهوى .. وأماد اصفرار ..
فمتى يجىء الى مدائننا المطر ؟
كى تنسج الغابات معطفها على جسد النهار
وردا وأجنحة .. وطيرا واخضرار .

والنجمة والنجوم من أكثر الألفاظ دورانا فى شعر الشاعر ، فحينا تدعوه نجمة الى الصعود ، وحينا يخبىء هو للأطفال نجوما ، ومرة تعلن له أغانى الوداع موت النجوم ، وأخرى يرى من يحب نجمة وحيدة فى ليله الحزين ، وتارة تغمره النجوم بالضياء والسلام ، وأخرى يفقد الطريق الى النجم والمدن الضاحكة أو يزين مخدعه بوردة وغيمة ونجم · ويطول الاستشهاد بالدارس اذا أراد أن يستقصى مثل تلك الألفاظ المحورية التى يستغنى بها الشاعر عن تركيب الصورة أو الاقتراب من تفصيلات عالمه الخارجى ·

ولأن الشاعر يستخدم هذه الألفاظ الموحية للتعبير عن صورة العالم الخارجى فى عالمه الباطنى يضطر فى كثير من الأحيان أن يزيد من دلالاتها وقدرتها على الايحاء ببعض المشاعر النفسية الخاصة ، فيصفها بصفات هى فى ذاتها أيضا ضرب من الرمز · والالوان وسيلة الشاعر الأولى الى هذه الغاية ، وقديكون اللون مرتبطا فى الحس البصرى بالموصوف وقد يجىء بعيدا عن وجوده المادى ليخلع عليه وجودا عاطفيا أو نفسيا خاصا · وللشاعر ولع واضح بالأزرق والأخضر والاسود · واللونان الأولان رقيقان هادئان يواكبان حالات الحزن الشفيف أو السعادة العميقة أو لحظات الذكرى الآسية أو الاستشراف الحالم للمستقبل · وطبيعى أن يكون النجم من أكثر الألفاظ قدرة على استدعاء اللون الأزرق بطبيعة احساس البصر به من ناحية ، ولما يوحى به من تلك المشاعر من ناحية أخرى · لكن الشاعر الى جانب ذلك ينشر الزرقة على كثير من صوره سواء كانت زرقاء فى الواقع أو فيما تحمل من دلالات شعورية ، وليس غريبا مع هذا الولع بالزرقة ـ أن يكون عنوان ديوانه الأول « قلبى وغازلة الثوب الأزرق » ·

يقول من ديوانه « تأملات فى المدن الحجرية » :

ـ تأتين من الغيب الأزرق ·· من غابات الأحلام
موسم فرح للأرض العطشى
ـ فلتبتسمى حتى يهطل مطر طفولتى الخرساء
فى نهر طفولتك الأزرق
عاصفة تتسكع فى أرصفة التاريخ
تتهادى تنشر اجنحة زرقاء
فوق البحر ·· وتقترب من المدن الحجرية
تلمس أوتار القلب وتغزو كل هضاب الروح

ونلحظ فى النموذجين الأولين اتصالهما بتلك الرموز الموحية التى أشرنا اليها من موسم وعطاء ونهر ومطر ·

ويقول فى « أجراس المساء » :

ـ يندفع النهر بعيدا عنا
تهجرنا الريح ويصفعنا باب البستان
ويموت الطائر فى القفص الآزرق
يحفر فى أنفسنا قبرا لأغانيه
ـ أسألها من هذا الحطاب الأسود
يهوى فوق جذوع الأشجار

يغلق شباك الصيف
ترتفع النار الزرقاء
يبتسم شتاء داكن ·· من بين الأستار
ـ تحققت نبوءة الطفولة الزرقاء
بأن تمر قرب دارنا أسماء
وأن أنال بالأنامل القمر
ـ كان الحطاب القاسى يهوى بالفأس
فوق الجذع المتلألىء بالأوراق الحمراء
والجذع المذبوح يسيل ورودا
يرفض قدر الموت ··
وأنا أبصر طفلا يعدو ·· يحمل قنديلا
يسجن فيه القمر الأزرق
يتجول مهموما فى هذا التيه الأخضر
يبكى ويغنى تحت السحب البيضاء ··
ـ ماتت ·· هل تذكرها ؟ الساعات الفانية العذبة
تحت القمر الأزرق فى ليلة صيف
ـ كان لها قلب من بللور ·· حين يفيض بخمر الوجد
ترقص تحت أشعته الأشياء الجذلى
هل يذكرها المطر الأزرق
فوق الفجر العارى ؟
ـ لكننى أراك توغلين فى الرحيل
وتشعلين فى فراقك الطويل
جدران هذه المدينة الزرقاء
تلك التى أقامها الهوى ·· على جفون الصيف
عريانة فى الضوء والمطر
ـ أكانت الورود تبدأ اشتعالها
وأنت تبسمين للجداول الزرقاء
كيلا يميتها الظمأ ؟
ـ رأيته يمد ظله الكئيب (يشير الى المساء)
فى العين والسطور
ومـد كفه ·· مداعبا ذاكرتى
فاستيقظت من نومها القبور
تنشق عن زهورها السوداء
أشـباحها تراقص الدخان
تلتف بالغياهب الزرقاء
تدس فى الفؤاد خنجر الندم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ الأنجم البعيدة الزرقاء
تشع فى عيونها وفى قلوبها القيود
وأنت لا تعود !

أما الزرقة فى « حديقة الشتاء » فلون مادى يصف أشياء كثيرا ما توصف به فى الوجود الواقعى كالخواتم والستائر والعيون الزرقاء . لكن الشاعر فى ديوانه الأول يصف الجلسات بالزرقة فيقول :

دفعوا ثمن القبلات لعشاق الغد
ثمن الجلسات الزرقاء على شاطىء نهر
ثمن الأجنحة المبسوطة للطير
ثمن الزرقة فوق جزائرهم

ويقول عن عبء الحزن الثقيل :

زحزح من عينيك الجبل الأزرق
جبل الحزن الصخرى الماثل فى عينيك

وفى « الصراخ فى الآبار » يصف العينين بالزرقة فيقول :

تلألأت عيونك المغنية
تفجر الضياء والضحك
من عالمين أزرقين يرقصان تحت جبهتك !

ويجمع الشاعر بين الخضرة والزرقة والحمرة والصفرة والبياض فى ديوانه الجديد فيقول من قصيدته « أسافر فى القلب » :

وهذا هو البدر يأتى من الشرق
أخضر مثل اليمام الذى فى الأساطير
أزرق مثل المياه التى فى البحار ..
وأحمر كالحب .. أصفر كالموت فى بلد لايريدك
أبيض مثل النهار

ويخرج الشاعر عن مألوف الحس فى اللون الأخضر فيصف به ما يوصف عادة بالزرقة وما جاء أزرق فى كثير من صوره نفسها ، كالنجمة والجدول والنهر ، فيقول جامعا بين عدة ألوان :

ـ حلمت لو وضعت قرطبة
على تلال نجمة خضراء
تطير بين الظل والضياء
ويكتب السحاب فوق خدها
أشعاره الحمراء والصفراء
ـ كنت أخبى فى أجنحتى
نهرا أخضر

تتدفق فيه الموسيقى
وسماء زرقاء
ماهذا الشجر النابت فى الهمسات ؟
ـ ماهذا النهر الأخضر
يتهادى فى الطرقات
ـ لعل شاعرا يفتش الجداول الخضراء
عن لؤلؤ يضاحك الورود فى مواسمك

ومهما يكن من اختلاف ايحاءات هذه الالوان من صورة الى أخرى أو تناقضها أحيانا من الدلالة على الحزن الى الدلالة على الفرح فانها تظل فى جملتها خارج نسيج الصورةالشعرية ، قد تضيف اليها شيئا من الشعور لكنها لا تدخل فى صميمها وتركيبها ، اذ تأتى فى كلمة مفردة لا تلتحم مع بعض الألفاظ والعبارات التى يمكن فى جملتها أن ترسم الصورة المركبة الممتدة · وللشاعر فى ديوانه الجديد ودواوينه السابقة قصائد ومقاطع بديعة يوفق فيها الى جمع هذه العناصر فى اطار شعورى واحد ، لا تفرق بينها فيه نهايات المقاطع القصيرة الموقعة ولا القوافى السريعة المتتابعة ولا تظل كلمات معجمه الشعرى الأثير عنده مجرد كلمات مفردة يختلف المتلقون فى الاحساس بايحائها · من ذلك قوله من قصيدته « يؤوب المسافر » فى ديوانه « تأملات فى المدن الحجرية » :

لماذا يعلقنى الحزن بين جناحيه
ثم يحلق فوق ليالى الشتاء الطويلة
ويدنو من الفجر ·· حتى تلوح رؤوس الجبال البعيدة
فيتركنى فى الهواء الثقيل ·· ويملؤنى بالعذاب الجميل ؟
لماذا رسمتك فى القلب بين ثنايا الشتاء ؟
فهل سيجىء الربيع المبعثر فى الريح ··
يسكن دفء الشفاه ·· أم البحر يأخذه للطحالب ؟
لماذا يعلقنى الحزن بين جناحيه ·
ثم يحلق فوق البلاد التى عاندتنى
دموع المسافر ترشده للطريق
رؤوس الجبال البعيدة تدنو ·· يؤوب المسافر
أهذى مدينته ·· أم رحيل جديد ؟

ونلتقى فى أغلب قصائد ديوان الشاعر الجديد بمثل هذه الصورة المتكاملة الأجزاء التى تمتد فيها السطور وتتلاحم سواء بأدوات وصل لفظية أم باتصالها الشعورى والمعنوى ، ويقل اعتماد الشاعر فيها على الألفاظ المفردة من معجم شعرى خاص ·وقد يستعين الشاعر فى تحقيق هذا الاتصال بالتساؤل أو التقرير ثم النفى أو الحوار بينه وبين العالم الخارجى ، فيجىء تأكيد الاحساس على نحو يدعو للتأمل، لا كما كان يجىء أحيانا فى دواوينه السابقة مباشرا يبهر خلال الألفاظ والجمل المتشابهة البناء فى مثل قوله من « أجراس المساء » :

ويقبل الربيع دون خضرة
والصيف دونما سماء
تخيفنى المفاجآة
يخيفنى التوقع المرير
يخيفنى الصباح مقبلا ومدبرا
يخيفنى المساء مقبلا ومدبرا
تخيفنى أنهار هذا الليل

ونستطيع أن نتابع هذه المزاوجة بين التقرير والنفى والحض والتساؤل والبعد عن المعجم العاطفى المألوف ، فى مقاطع من قصيدة « النهر وملائكة الأحزان » فى قوله مخاطبا النيل :

لست سطحا من الموج ، لا ·· ولا أنت فضة
انما أنت مهجة الأرض سالت ·· ودهر
من الهناءات والتعاسة والشوق ··
لحن من العشق يرحل فى الحلم ·· حتى تموت المسافة
عاشق أنت ·· مهرتك الأشجار والريح ··
لاتبدد أعاصيرك الحبيسة فى الصدر ، جاهر
بها وبعشقك · ان الشواطىء لاتستحم بمائك الا اذا
أخرجتك عن الطور هذى الصبابات · الا اذا جاوز
العشق حد التعقل ، والنداح فى زمن للجنون

ولعلنا نلاحظ هنا طول العبارة الشعرية النسبى واتصال العبارات بعضها ببعض بصلات لفظية أحيانا ، وأحيانا عن طريق الفصل اللفظى الذى ينطوى على اتصال معنوى أو شعورى ، كما ذكرنا ، وكما يبدو فى الحاق النهى بالأمر « لا تبدد أعاصيرك ·· جاهر بها » ثم اتباع ذلك بتقرير جديد منفصل كأنه برهان على وجوب النهى والأمر السابقين ، فى قوله « ان الشواطىء لا تستحم بمائك » · ثم فى تأكيده الاستثناء «الا اذا أخرجتك عن الطور ·· الا اذا جاوز العشق حد التعقل » · والصورة كلها فى النهاية متواصلة الأجزاء خالية من الايقاع المنغم والقوافى التى قد تفصل أحيانا بين تلك الأجزاء اذا تتابعت تتابعا سريعا· ويصبح الرمز هنا رمزا كنيا يتمثل في دلالة هذا الحوار بين النيل والشاعر وهو حوار يقترب فيه الشاعر من الواقع الخارجى أكثر من ذى قبل ، ولكنه لا يفقد عالمه النفسى الى المجاهرة الصريحة · لذلك تكاد تخلو صورته من تلك الرموز اللفظية المفردة ، واذا جاء بعضها عرضا كان شأنها شأن ألفاظ الصورة الأخرى لا مفتاحا لما تنطوى عليه الصورة من شعور · وقد نستطيع بالمقارنة بين قصيدتين فى ديوان الشاعر الجديد أن نتبين الفرق بين أسلوبين متميزين فى رسم الصورة الشعرية أولهما ما ذكرناه من تكامل أجزاء الصورة وطولها النسبى ، والثانى الاعتماد على الجمل القصيرة المنفصلة والقوافى المتلاحقة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الشاعر فى مقطع من قصيدته « امرأة اسمها السعادة » :

٠٠ولا أذكر الآن كيف التقينا ،
ولكنها بين مد الشروق وجزر الغروب اصطفتنى
وقالت تعال الى جنتى ٠٠ واحتوتنى
وشقت فؤادى وصبت عذاب البحار بجنبى
سقتنى رحيق الينابيع ، خمر التوحد ، نار المحبة ٠٠
جئت اليها ، وجاءت الى ٠٠
رحلنا معا للنجوم ، قرأت لها قصة الحزن
منذ اتخذت الورود رفاقا ٠٠ ومنذ اتخذت الربيع مدينة
قرأت لها السر ٠٠ فسرت صوت الرعود بقلبى
ومعنى الاقامة فى الحلم ، معنى الرحيل الى الحب
معنى العواصف تهدر بين الجنون
وقالت تعال الى جنتى ٠٠
أضاءت شموس من الشرق للغرب
حشد من الطير يرقص فوق سحاب من الورد
عبر المسافات ٠٠
هذى المزامير تفتح قلبى وتدخله
فى جيوش من الأنجم الراقصة
وهاهى جاءت ٠٠
رداء من النور فى الريح ، صوت من القلب فى القلب
هاهى جاءت الى ٠٠ اصطفتنى
وما كنت أعرفها قبل هذا الغناء الجميل
وماكنت أعرف نفسى !

ويقول فى مطلع قصيدته « رؤية نيويورك » :

علامة بيضاء
تلوح فى سحابة المساء
كالنجم بين الأرض والسماء
محركات الطائرة
توقفت ، وانفتح الفضاء
على جزيرة الرياح والصراخ والأضواء
مساحة شاسعة الأنحاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الزمان والمكان
وهذه نيويورك
تقرأ الطالع فى النجوم
وهذه نيويورك
تمتد فى الغيوم
ماكينة من الحديد والزجاج والأسلاك
تلتهم العالم القديم
وترسم الكواكب العذراء فى السديم
تموج فى السوائل الحمراء والخضراء
تراكما من الأرقام فوق شاشة زرقاء

وكما لحظنا فى نموذج سابق انقطاع الجمل ودلالته على اتصال نفسى أو معنوى ، نلاحظ هذه الظاهرة فى مقطع القصيدة الأولى « سقتنى رحيق الينابيع ، خمر التوحد ، نار المحبة ، جئت اليها ·· رحلنا معا للنجوم ، قرأت لها قصة الحزن ·· ومعنى الاقامة فى الحلم ، معنى الرحيل الى الحب ، معنى العواصف تهدر بين الجفون » · وهناك هذا الحوار بين الشاعر والعالم الخارجى متمثلا فى موضوع التجربة العاطفية · وقد تتسلل بعض النجوم ـ كالمعتاد ـ الى صورة الشاعر ، لكنها تتكامل مع مظاهر صور التحول النفسى عند الشاعر ذلك الذى ينتهى بالكشف والمعرفة فى جو من الغناء والرقص والورد والنور والتواصل ·· والنجوم !

أما المقطوعة الثانية فانها نموذج لأسلوب الشاعر الذى أشرنا اليه فى بعض قصائده القديمة الذى يعتمد فيه على الجمل القصيرة والايقاع الواضح والقوافى المتتابعة ، ولا يخلو من النجوم والألوان !

ومهما يكن من امتداد بعض المقومات الفنية والمواقف النفسية عند الشاعر فى دواوينه جميعا فان ديوان « البحر موعدنا » فى جملته صوت جديد فيه من عمق الشعور والابداع الفنى ما ينبىء بتطور نفسى وفنى جديد نرجو أن يبلغ الشاعر من خلاله آفاقا جديدة فى شعره الجميل الذى مازال يحتفظ بضبط الانفعال حتى يتحول الى شعور باطنى عميق ، وتلك سمة الشعر الجيد فى عصرنا الحديث ؟

عبد القادر القط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الليل .. والمشانق ..

فاروق شوشه

تَمْلَمَلَ ليلُ الخنادق
وأعولَ صمتُ البنادقْ
وطاشت رصاصاتُ من صوَّبوا
بكلِّ اتجاه
ومازال وجهُ الحياة
قبيحاً
وعُمر الطغاة
فسيحاً
وفى آخرِ الليل
يقبعُ وجهُ المشانق!

* * *

تموجُ المدينةُ بالقهرِ ،
تخرجُ أحشاءها ،
نجوعُ ،
فتأكلُ أبناءها

وتُقعى
ليعْبرَ من فوقها الفاتحون
يراودُها الصَّحوُ ،
ترفعُ رأساً
وتُطلقُ همسًا
تُلاحقها عربدات الغزاه
وتسقطُ تحت صهيل الطغاه
تُلاحقها طعَنات السّنابك
نخورُ المدينةُ ،
تلفظُ أنفاسها فى سكون
ويندلحُ فى الأفق لحنٌ حزين
يُغنّيه - فى الظلمةِ - العابرون
تموجُ المدينةُ بالعُهرِ ،
تكشفُ سوءتها للعيون
وتخرجُ عاريةً ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتناثر – حيت تسبرُ – الظنون
وتُبدعُ ..
هذا زمانُ التثنّى
وهذا أوانُ التغنّى
وعصرُ جميع الفنون
وتُبدعُ ..
قبل انطفاءِ الشعاعِ
وإيقاعُها صرخاتُ الجياع
تدمدمُ ، عارمةً ، لاتُبين
وتُبدعُ ..
تهتزُّ مثل الجوارى
توغّل فيها خيالُ العبيد
يسيلُ لعابُهمو من بعيد
ويَضْرَى سُعارهمو بالمزيد
وتجحظُ أعينُهم فى جنون
ويملكُها – آخرَ الليلةِ – المتخمون !

* * *

وكيف تنام ؟
وكفُّك فوق الزنادِ ،
ورأسُك « مشتعل » بالحريق
شعبٌ سيلُ الفصائل
وحانَ شتاتُ القبائل
كلٌّ بِوادٍ
وكلٌّ يُنادى
وكلٌّ لغايته فى طريق
فكيف الأكف الشتيتةُ تهتز كفّا
وكيف الصفوفُ البديدةُ ترتجُّ صفّا
وكيف تنامُ ؟
أنت الرفيق تحاذرُ خطو الرفيق
وهَجس الشَّقيق
وحارسُكَ المرتجى .. لايُفيق
وما عُدت تدرى

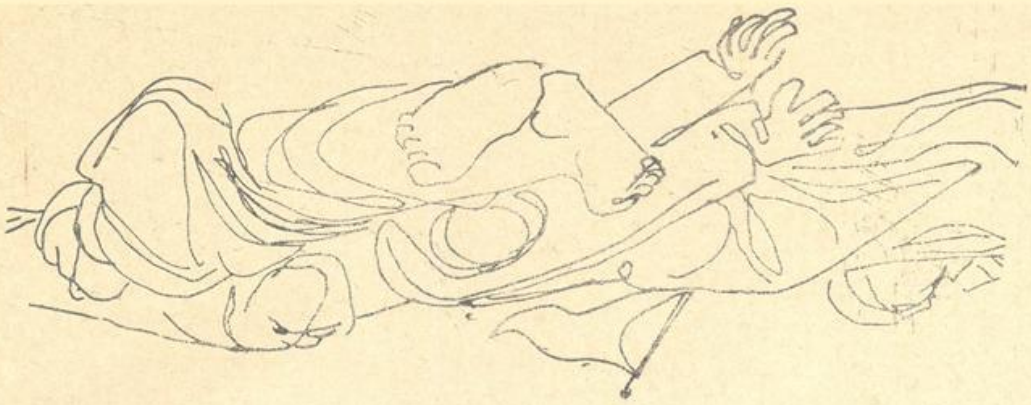

وسيلُ الرصاصِ بكلّ اتجاه
أيأتيك من خائن .. أو صديق !
وكيف تنامُ ؟
وكلُّ الهموم وساد
وكلُّ الحشايا سهاد
وكفُّك فوق الزناد
مُصوّبة وحدَها للمضيق !

* * *

يظلُّ الطغاةُ طغاه ..
لأنّا نُطيلُ لهم فى الحياه
ونلعق أقدامهم بالجباه
وندعو لهم فى الصلاه
وحين يُدوّى النفير
نطيرُ خِفافا
ونعدو ارتجافًا
ونصبحُ نحن الضحايا .. ونحن الجناه
يظلُّ الطغاةُ طغاه ،
وتحسبُ أنَّ الزمان الوادَ عقيم
وأنَّ البلاء مقيم
وأنَّا صغارٌ ..
تُضعضعنا قسوةُ التجربه
فتفجؤنا - حين نُغفى - الزلازل
وتُوقظُنا دمدماتُ القنابل
مصوّبة فى الصميم
فيسقط وجهُ الظلام الدميم !

القاهرة : فاروق شوشة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنا .. وأنت

نصار عبد الله

عِشنا ما عشنا
كلٌّ منّا
يفصله عن صاحبه بحر البغضاء وصحراء
المقت
عشنا ما عشنا
كلّ منّا يلعن صاحبَهْ
أو يخفى اللعنة ،
تحت ستار البسمات المرّة والصمتْ
عشنا ما عشنا
حتى أدركنا ياسيدتى الموتْ

* * *

يجمعنا الليل الأبدىّ الآنْ
الجثة فوق الجثة والعالم ضاقْ ،
فصار القبر الآن
يتشابك عظم القفص الصدرىّ ،
بعظم القفص الصدرىّ ،
وعظمُ الساق بعظم الساق
الجمجمتان تبادلتا النظرات بلا أحداقْ
وتبادلتا شيئا كالأشواق

* * *

ما أعجبنا الآن كلينا !!
وعظامانا
تتبادل أوارق العشاق !!

أسيوط ـ نصار عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل الأنهار

فاروق خورشيد

النار فى داخلى ، وأنا احترقت ، وأصرخ : النار ·· النار ··

ولا أحد يعبأ ولا أحد يريد أن يعرف معنى الصرخات ـ وكبف ، وهو فى مكانه من طابور السجائر ، أو طابور الجمعية التى تبيع الدجاج ، أو طابور الخبز ··· أو أى طابور ـ فقط وحدى أنا أصرخ ·· النار فى داخلى ، وأنا احترقت ، ولا أحد يسمع ، وأعود أصرخ من جديد ·· النار ·· النار ·· ولا أحد يسمع ··

بدأت النار من الموقد الغازى ـ لم يكن محكما تماما ، وانما كان (المحبس) فيه ينفصل الغاز ، ولم أكن أعرف هذا ـ فما تعودت أن أهتم بأى شىء بمثل هذه الأشياء··الرجل يأتى مفتول العضلات أزرق الحلة ، يحمل الأمبوبة فوق كتفه فى شجاعة ، لا أعرفها ، ولا أتصورها فى أحد ، ولهذا أعطيته أكثر مما يطلب ، فهو شجاع ، يلبس بذلة زرقاء ، وعضلاته بارزة من القميص الداكن ، وعلى وجهه دائما ابتسامة راضية واثقة عظيمة ·

وقالت : لا تغضب ، فالرجل يريدنى زوجة ، ولا بد أن أحدد مستقبلى ، والمسألة أن أوافق فأصبح زوجته ، وهو كما ترى ، الزوج الذى ترضاه واحدة مثلى ·

يالمثلى · ما أنت وما مثلى ، وما المثل يا صاحب ، ما المثل · هل هو التكرار أو هو الاعادة ، ألف امرأة مع ألف رجل ، صنعوا مثلى جميعا ، وألف ألف مثل ·· ومر الجميع من بوابة الأبد الخالد ، ليصبحوا نحن الوجود والعالم ، وما نعرف ، مجرد جماجم تملأ بطن الأرض ، الذى يبتلع ولا يشبع ، ويبتلع ولا يشبع ولن يشبع أبدا ، يامثلى ، كم مثلى كطبعات الكربون تتتابع وتوجد وتعيش وتغضب وتتنفس ، ثم تموت ، ثم الى الأرض التى تستلم عصارات الجسد ، والجماجم والهيكل العظمى ·· وهذه الموميات التى تستخرج من قبورها القديمة ليشتريها السواح ·· قال لى الراحل ميخائيل رومان ـ كنت فى الأقصر أجلس على تل من الموميات فيأتى السواح يشترون ، ومن غرفتى ، ألف ألف مومياء ـ موميات ومومياتٍ ، وكأن كل ما يفعله العالم من أول السنين وحتى الآن أن يشترى الموميات وان يبيع الموميات ، ولا أحد يستطيع ان ينتهى من استخلاص الموميات من القبور القديمة ·· فكل من كانوا يعيشون فى بلادنا ، لم يكونوا يدفنون الا ويحنطون ويتحولون الى موميات ·· حقيقة واضحة جعلت كل الموتى يعيشون بعد الموت بنفس المثل الذى يعيش به بعد الموت أصحاب النبالة والقداسة والقيمة والوجود ·· عند بعض الشعوب الأخرى ·· كل يوم يا أخى مومياء تباع ، تخرج من تحت غرفتى وأمام أبصارى ، ووجودى ـ وضياعى لنفسى ، وأحد من أجدادى يباع ـ لم أحسست بهذا؟ لست أدرى ، فقط أدركت أننا نحن بعد أن متنا عبيد رق جديد ، موميات يشتريها الأثرياء ، ويضعونها فى بيوتهم الفخمة فى لندن وباريس ونيويورك وقلاع كاليفورنيا ، ومتاحف فى تكساس ، فقط نظل كما نحن أجسادا مطلية بالقار وحولنا الكتان ، وفوقنا الصخر فوق الخشب ، وربما فوقنا أكفان الصمت أيضا ولكننا رقيق العصر الجديد ···

ولا يعرف أحد ، كيف متنا ، وجدنا موميات ولا يعرف أحد ، كيف تكفنا ، وحنطنا ، وجدنا موميات ولا يعرف أحد شيئا أربعون يوما تمر بها من العذاب الذى هو فوق كل عذاب بعد أن نموت، ونوضع فى المعبد المقدس ، فوق الرخامة الأبدية الخالدة ، ويشق الكهنة بطوننا ويخرجون الأمعاء ، فاذا هى فى آنية أخرى مقدسة أو قريبة من أن تكون مقدسة ، وكل العصارات تنزف وتضيع ، وتنزف وتضيع ، والصلوات تتصاعد من أرجاء المعبد ، ورائحة البخور ، وقدس الأقداس محرم على الناس ، لا أحد يقترب من قدس الأقداس ، لا أحد يقترب – والنار أكلتنى ، وصرخت ، ولم يغثنى أحد ·· ودوامات ودوامات ·· واختفى الألم والعذاب ، ووقفت أرقب المشهد كله من بعيد ·· رجل يوضع جسده ، فوق المائدة الصخرية – أو من كان رجلا يوما ما ، والغشاء المغلف للأمعاء قد فتح ، وبخور وبخور ، وصلوات وترتيلات ، وكل شىء يستخرج من تحت الغشاء ، ويجمع اناء وبخور وتراتيل – فى قدس الأقداس نحن نصمت فلا كلمة ولا همسة ·· والصوت حرام ، والأنفاس غير المعقمة بالأقنعة الكتانية حرام ، وكل شىء فى قدس الأقداس حرام والتراتيل والصلوات ·· والمعزون فئة فئة والثياب السوداء ، ونساء يلطخن وجوههن وجباههن وأجسادهن بالنيلة من أرض النيل وطميه ، وصراخهن يقض مضجع من سبقنا من أموات ، ويؤرق سلام الميت الجديد ·· وسط كل هذا العديد ، والطقس المجيد ، هو ميت ، يذهب الى عالم الميتين ·· والله حى قيـــوم ، ولا اله الا الله محمد رسول الله ، ··· الله ·· الله ولا اله الا الله ·· وعبـدك وفقيرك عبد الله والصلاة والسلام على خير الأنام ، محمد رسول الله ···

ثم ندخل اللحد والقبر ويهيل صاحب القبور التراب وحوله التراتيل والصلوات وصراخ النساء ودمعات فى عيون الرجال ، ثم يرش بالماء ، ويذهب كل الى طريقه ، كل الى طريقه ·· وأبقى وحدى فى القبر العتيق لا يصاحبنى صوت ولا نأمة ، ولا حتى تراتيل المأجورين ممن يصرخون حول أى قبر ، وكل قبر ·· وكل شىء بأجر ان لم يكن من أهل الأرض ، فالثواب عند رب السماء ·· كل شىء صامت لا أسمع شيئا ولا حتى صراخ النساء من أقاربى حول التراب المهال فوقى ، ولا حتى أنفاس الأصدقاء وبكائهم المكتوم ·· لا شىء الا الصمت ·· والسكون ، والوحدة ، والسواد ، وان كل شىء انتهى ·· الغاز تسرب من الأنبوبة ثم أشـــتعلت النـــار ، وأكلتنى ، وصرخت ، وحاصرتنى وصرخت ، ووضـــعونى على المائـدة الرخامية وصرخت ، ثم القبر وسكونه وصرخت ·· ولم يسمع أحد ·· ويمر عام وعام ، ومائة عام ومئة عام ، والصمت هو الصمت المخيف · ربما دخل وافد جديد ربمـا فتح القبر ليدخل ميت لا نعرفه ، ربما لا نرضاه ، وربما لا نقر ، وجوده بيننا ، ولكنه ميت يضاف الى المقبرة جثة جديدة ومومياء توضع الى جوار موميات قديمة ، ثم تقفل المقبرة من جديد ، وتمر السنون ·· وبين حين وحين تسمع نفس الأناشيد ونفس الأصـــوات ، وكأن شيئا لم يتغير ، وكأن العالم لم يهترىء ، وكأن الكون هو كما هو ، أصوات النساء المفجوعة فى شىء ما ، رجل ما أو امرأة ما ، أو ولد ما ·· ونفس التراتيل المعبدية الجنائزية ونفس اللوعة ، ويقفل علينا القبر من جديد ··

وتمر الأعوام ·· عشرات ، مئات ، ألوف ، ماذا نعرف نحن ؟ ونحن داخل هذه الحجرة المظلمة المعتمة المخيفة الصامتة، الرطبة الوجود والكينونة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. وفوقنا تمر طرق وتوجد عمارات ، وضحكات وأطفال ، وحياة وصرخات امرأة فى حضن رجل ، وصرخات رجل فى غضبة من امرأة مارقة وعويل امرأة ، وضحكة رجل مخمور .. وبوقات سيارات وصليل أجراس .. وتكبيرات من مئذنة وصلصلات أجراس كنيسة وأن الوجود يسير ، وأنه حق وعدل ـ ونحن هنا ، نسمع مجرد أصداء ، أصداء .. ولكن أبدا لن أنسى لحظة فتح الكاهن صدرى ، وأخرج قلبى يجسه ويعزله ، اليد قذرة لم تطهرها سوائل المطهرات ، فهو مستهتر بى وبمثلى ، كم صدرا فتح ، كم قلبا أخرج ؟ هو وحده الذى يعرف ، ثم يطلق البخور ، ويأمر .. فاذا الكل فى تراتيل تملأ المكان والوجود كله .. ثم يفتح بطنى ويصب القار .. آه ..

النار فى داخلى ، وأنا احترقت .. آه ..

وأصرخ .. النار .. النار .. آه

ولا أحد يعبأ ، ولا أحد يغيث فأنا مت ، النار تأكل كل وجودى .. وفى يد الكاهن قمعه العظيم يضعه فوق فمى ، ومن خلاله يرسل القار الملتهب ، وسوائل نارية ، وأنا فى داخلى أحترق ، لا الصرخات نفعت ولا أحد يغيث .. النار .. النار .. والكل لا يسمع ولا يغيث فما جدوى الشكوى بعد كل هذه الأعوام والكاهن يرتل الأناشيد ، والكل حول الطاولة الرخامية التى أرقد فوقها يغنى ، وبخور وبخور ، وشموع وشموع ، ويموت كل مافى داخلى ، وتجف العصارات ويتصلب عمق وجودى كله وتدور حولى التراتيل ، والكل يصلى ، واللغة هى اللغة لم أعرفها من قبل ولكنى أفهمها الآن .. يا ابن الأرض العاهرة ، التى ملأت الكون بأبناء العواهر من أمثالك ، تعود الآن ، الى حضن العاهرة الكبرى ، أمنا الأرض الرطبة التى تحتويك وتحفظك ، من شمس النهار ، من رقة القمر ، من الهواء ، من قيظ شمس الصيف ، من عاصفة البحر الهائج ، من موجة الرطب بالأنفاس الملحية المعطرة من رفرفات أجنحة طيور الماء المختلفة ، من قناديل الليل المنتشرة عبر سطح ماء البحر الملحى القريب من الشاطىء ، ثم ، نم وتعفن ، نم فى أمان فقد أخرجنا وصهرنا من داخلك ، كل ما يفنيك ، ولم تبق الا الشكل والجوهر ..

وما أنت الا هيكل ومضى ، وهذا ما أبقيناه للاجيال القادمة ، انك انسان مر وعبر .. من هذه القناة ، مر وعبر .. وبصب القار فى داخلى ، يصب القار وجسدى فوق الطاولة الرخامية المقدسة ، ورائحة البخور ، وتراتيل الكهنة ، واننى فى حمى الموت العظيم ..

وتمر أعوام وأعوام .. وتتراكم حولنا عظام وعظام ونسأل كل وافد جديد ، من هو ولماذا جاء ، ثم يفتر حماسنا ، فلا نسأل ، نحن مجرد موميات ، وسط موميات أخر ، بقينا وكنا هنا ، ونحن مجرد أشياء ساكنة لا تتحرك ، ولا تقدر على الحركة ، ولا بحركها أى شىء ..

الحروب فى الخارج ، والقتل والموت ، والعذاب الجماعى وان الناس فى ضنك عظيم ، وأن الحياة فى محنة أعظم ، وأن كل يوم يمر يعنى أن الانسان يصغر ويتضاءل فى عالم الأحياء .. مالنا نحن بكل هذا ـ كل شىء ساكن هادىء عظيم .. كان الوجود كله قد تركز فى هذه اللحظات الصامتة الساكنة الهادئة الرطبة الدائمة ..

وتمر أعوام وأعوام ..

ولا شىء الا المزيد من الجثث والرطوبة والصمت القيت موميات الى جوار موميات ، ويزداد العدد ونحن لا نحس أن هذا العدد المتزايد يساوى شيئا ، نحن الأحفاد وأشباه الأحفاد ، ثم كيف يمكن لك أن تخترق حاجز الصمت العجيب الذى يحتويك ؟ ..

من قبل كان يسمح لك أن تخرج كهلام أو كأى شىء ، فى عوالم تعرفها ، الحانات وبيوت الأصدقاء وغرف النوم التى أجرتها يوما ثم هجرتها ، ولكن النساء اللاتى عرفتهن انقضى زمانهن ورحلن من زمن ، حتى الحمارات أعتابها تغيرت ، حتى الشارين للكؤوس كلامهم وحكاياتهم تغيرت ، لم يعد لما تعرف من معان أو قيم أو فكر أو وجود .. غلاظ من يملأون بارات الأمس ، غلاظ من يملأون شوارع الأمس ، غلاظ من يعيشون على اصداء الأمس .. وعد الى قبرك ، عد ، عد مسرعا ، عد فأنت مومياء أنت مجرد جسد قرئت عليه التعاويذ ، وصب فى داخله القار ، وأحيط جسده بالكتان ، وحوله الصخر والخشب ، ومات .. أى المعانى تريد ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد سقط المزهر ، وضاع صوت الدف – أى المراقص تريد ؟ وقد جف وسط الزاقصة ، وسقط ثوب الرقص ، أى المعانى تريد ؟ وقد تضجر الفلاسفة من المعنى وسقط المنطق – يا أنت رحلتك مخيفة ·· عد ، عد الى قبرك ، عد فلا مكان هنا الا الاجساد المتحركة ، والنفوس المتحركة ، هى لا تعرف الحياة ، ولكنها تعيش حياة ما ، تعيش حياتها هى ، فأى شىء تريد ؟ عد الى المقبرة الى وجودك كمومياء ، كرمز للموت المصرى العنيد الباقى الخالد ، عبر كل التغيرات والتحولات والسفالات والتعاسات والجهالات وأنهم لا يعرفون ان الكل الى مومياء يصيرون ، ولكن الكل – يا أخ – الى التراب ، ومن التراب كانوا ويكونون ··

ولكننا لسنا ترابا ، نحن مومياء ، حفظها القار وسحر الكهنة من العدم ، من أن تتحلل وتضيع ·· تلفنا شرائح الكتان ويحتوينا صندوق ما ·· لا أعرف أى صندوق ، مجرد صندوق فى خشب ، من صخر ، من صندل ، من لفائف وأعشاب – هو مجرد شىء يحتوينا لنبقى وسط القبور ، والله الله ، ما أبشع ان نبقى وسط القبور ، ومع القبور ، وحولك القبور ··· وتمر أعوام وأعوام ومئات الأعوام ··

وماذا فى انا ميتون لنعيش وسط الموت والعدم والقبور ·· لا تعجبك حكاية أن نعيش هذه ·· اذن لصالحك ، وحتى لا تغضب ، شئنا أم أبينا ، وشئت أنت أم ابيت نحن نوجد ، وسط القبور فى داخلها ، ويتسلل اللصوص ، كانوا يعرفون اننا بعد أن نموت نصبح شيئا ما عند من يحبون المال ، نحن متنا وانتهى الأمر ، ولكن اللصوص دخلوا قبرنا وانتهكوه ، وتسللوا واحدا مرة ثم واحدا وأكثر ، ثم أغلقوا القبر من جديد وهم يحملون مومياء وراء أخرى ، ولم يتكلم أحد فلا يستطيع أحد منا ان يتكلم ·· يرقب ويسمع ويصمت ، يحس ما يدور حوله ويسكت ، فقط هو يعرف ·· كيف ؟ لا يدرى أحد منا كيف ·· الحب يأتى من عالم غريب ، موجات ، موجات ، فيمر بنا سريعا ومتعجلا ، ولكن الكثيرين منا يتلقفون ما يسقط من جناح صقر أو من بين ريش صقر أجنحة النسر بعض حب من عالم قديم ، على قسوته هو بعض حب قديم ، وتمور حولنا حكايات ، وكأن شيئا لم ينفض ، وكان العالم مامات ·· ولكنها لحظات رهيبة صارخة بالحب ، لا يقاومها أحد منا وانما نتركها تعبر وتمر ، وتعبر وتمر ·· تمس بقايا الأجساد فاذا هى مهتزة ، وتمس بقايا العظام فاذا هى تتحرك ، وتمس بقايا البقايا ، فاذا هى تقعقع بعظامها ، وما بقى لها ثم تستقر ، والحب هو الحب ، وكأن الموجة جرفت كل اليأس وكل التعاسة ·· فهى موجة حب ·· لا يعرف أحد من أين جاءت ·· ولا كيف جاءت ولكن اللصوص يتسللون ، ويحملون التوابيت والموميات ويخرجون ·· ويتقلص وجودنا ، فهم يحبون الموميات القديمة التى استمرت كثيرا وطويلا عبر الزمن – ويحملون كل يوم موميات وموميات – ثم يذهبون – وكنت أقف بعيدا وسط الصف الطويل ، وضعنى أولادى هناك عند الحافة فكان اللصوص يحضرون ، ويأخذون ويعبرون ، دون ان يلتفت أحد الى ، ولا الى وجودى أو الى موميائى ·· وهذا حدث لى فى حياتى ، عشت دائما فى الظل ، لا ينزعج من وجودى أى أحد ، ولا يحفل بهذا الوجود أحد ، كلمات هى كل حياتى ، وما الكلمات فى عالم الميتين ، أقل الصناديق ، وأرخص التوابيت لمثلى ، فما مثلى ، والعالم العظيم الضخم بالمال والثروة والجاه ·· وماذا فى أن رجلا كان يقول كلاما ، فى عالم الموميات لاحرمة للكلمات ، الكلمات تحملها توابيت أخرى فى عالم أخر ، هى كتب تطبع ، ويتداولها الناس جيلا ، ثم ينسون ، ونحن هنا ننسى أبد الآبدين ·· ويمر اللصوص كل مرة عند تابوتى القصير فيحملون التوابيت من حوله ويعبرون ·· يا أجيال التعاسة ، كم أود أن يسرقنى أحد ان يلتفت الى أحد ، ان يخرجنى أحد من هذا الصمت المطبق المقيت ···

وقال لص لصاحبه :

– مالنا ولهذه الجثة ، هى لأديب ···

قال صاحبه

– اتركها ولنبحث عن صاحب مال وجوهر ، فهذه الموميات تحمل الى جوار الجثة الذهب ، وفصوص الجوهر ، أما هذا ، فما لنا وله ··

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال صاحبه :

ـ انظر هنا مومياة تاجر ...

صاح صاحبه :

ـ وانظر هذه مومياة سباك

وانطلقا وتركاني وحيدا ولا أدرى ماذا كنت ساعتها أريد ، أن يسرق جثماني ، أم أن أظل في مكاني ، فما لى أنا ومومياات التاجر والسباك ، ومالى أنا والذهب والجوهر .. حين حنطوني لفوني بأوراق البردى التى تحوى أفكارى ومؤلفاتى ، وما قدمت من قصص وحكايات ، فما هى وهؤلاء اللصوص .. هم يبحثون عن الفص المتألق عند حافة أصبع التاجر .. فهذه مومياات عظيمة أو عن السلسلة الذهبية حول عنق السباك، فهذه مومياات عظيمة ، ولكن ماذا تملك أنت من حطام التجارب سوى أوراق ، وما الأوراق عند اللصوص ، لا شيء .. فلتمكث مكانك .و لتمكث مكانك . والصمت الصمت ، ولا شيء .. مومياات جديدة تجيء ، والصراخ والتعاسة ورائحة الموت الأبدية وأناس يصرخون وداعا لميت جديد ، وبعد حين هم يجيئون والكهنة يشقون الصدر ، ويدفعون في أعماقه الاقماع ، ثم يندلق القار النار الملتهب .. والنار .. النار .. مع كل واقد ، كنت أحس أنى التهب أصعق من جديد بالقار المغلى المخيف .

ويقول واحد منا :

ـ وما الفائدة ، النار تسلمنا الى النار

وأصمت ، فعند حافة القبر يرتفع صراخ وعويل ، وامرأة تصيح :

ـ يا سبعى ، يا سندى

ثم تبوس التراب ..

ويصرخ المأمورون والمأجورون بآيات القرآن ، ويرتل ويرتل ، ويرتل ، ويرتل ـ والصراخ يضيع ويرتل ، ويرتل ، وأنا أضيع ، ويرتل ، ويرتل ، وكل شيء يضيع .. وحملنى اللصوص ..

والله الله ، اهتز القبر وتضرعت الظلمة بأشياء كالدوامة الحمراء الخضراء الزرقاء ، كل شيء يهتز ، وأذرع فتية تخرجنى من حيث استقر بى المكان مئات السنين ، وأصوات من بعيد قعقعة عظام وصرخات احتجاج من فانين ، لا معنى لها .. وأبواق سيارات فى طريق يتجنبه من يحملون التابوت ، ثم صمت ، وصمت .. أنا فى وسط صندوق عظيم مهول ، يحتويني وينسينى من أنا ولا متى كنت ، ولا كيف أكون .

ثم يصمت كل شيء ، وتمر لحظات ، وربما ساعات ، وربما سنون ، فمثلى لا يذكر الزمان ، ولا يعرف مقاييس أهل هذا الزمان ..

لا صوت ولا نأمة فأنا وحدى ، أجل أخيرا انا وحدى ، لا أشعر بالعالم الصاخب الذى رحلنا منه ، ولا صوت همس فحيح القبور ، بل أنا أرتفع فى الجو ، ثم أهبط فى ظلام بعد هذا عظيم .. غريب أنا فى بلد غريبة أعرف هذا من لفح الهواء ومن حركة النسيم ، ومن جرس الأصوات .. غريب أنا فى بلد غريبة ، مات الحب ، وضاع صوت الحياة ، وحل ظلام الغربة .. ولا كلمة حب ، ولا نأمة تعيدنى الى الماضى ، والى حس حياة أعرفها من زمن .. يا أيها التابوت الغريب ، يا من تحمل موتانا من زمن ، ماذا تعنى لنا .

أتريد ان تقول ان الموت حق ، نعرف هذا .. أتريد أن تقول أن الموت غريب وافد ، نعرف هذا ..

أتريد أن تقول أن آخر العناء عناء .. نعرف هذا ..

يا أيها التابوت الغريب الوافد ماذا تريد ان تقول ؟ ..

ثم صمت كل شيء .. لا تراتيل ، ولا كهنة ، ولا صيحات فجيعة على الموت ، ولا بقايا حب من أحفاد الأحفاد ، أو من قرأوا بقايا الكلمات فوق فوق لفائف البردى ..

البرد ـ البرد ـ

صقيع ، صقيع ـ وأيد غريبة تتداول التابوت ، وأنا أتحرك من يد الى يد ، ومن مكان الى مكان ، وحولى الصمت ..

قال قائل فى المدينة :

ـ هذا تابوت ميت من آلاف السنين لعله يحمل لعنة الأقدمين ..

والكل افترق .. وابتعد .. وارتعد .. وساد الصمت من جديد ..

ثم قال قائل فى المدينة :

ـ العراقة والأصالة والقدم ..

ومن حولى العشرات والمئات ، واهترأ كل شىء فى ومات ..

وقال ثالث فى المدينة :

ـ يا سلام كل شىء يحول ، وهذا مجرد عدم ..

واندثر الحب فى ، سكن ومات ..

وجاء صـــبى معروف يحب الكلمات ويعيش حياته من أجل الكلمات ، فقرأ ما حول التابوت وقال :

ـ يا قوم ، هذا فكر وحرية

وارتفع الصخب والضجيج

وصاح مرة أخرى :

ـ هذا كلام فيه عطاء ورؤية ..

وموسيقى فى الكاسيت ، ورقص الكابريهات ، ودفء المطاعم والبنات يلبسن الجينز وعلى شفاههن بسمات ، وحول حركات خصورهن دعوات ..

وقـــال :

ـ يا ناس ، هو يقول كلمة ، كتبها حول نفسه قبل أن يموت .

وصـــاح اللحن ، وهتف مذيع بحياة رئيس الجمهورية ، والموسيقى اشتعلت داخل مرقص ، والمدعوون فى حفل التف كل رجل حول فتاة ، وتفتحت الفتيات لدعوات الحب والحياة من جديد.

وقالت واحدة :

ـ ما هذه المومياة ؟

قال ولد :

ـ واحد مات

قالت امرأة :

ـ صاحب البيت يحب العراقة فالموميات عنده جزء من ديكور البيت

قال الرجل العجوز :

ـ دفع فى هذه الموميات آلاف ..

قالت الفتاة :

ـ الموسيقى خافتة ..

وقال الولد :

ـ شفاهك صارخة يا حلوة وأنا أعرف معنى ما فيها من نداء ..

والصخب والصراخ ، وأزيز طائرات ،ومن بعيد عويل آلات مجهولة ، وارتجفت من البرد ، والكل ينظر والكل يدور ، وحولى آلاف العيون فى المتحف الغريب ، فى بلد غريب .. وزجـاج يحتوينى وأنا أستكن فى صمت ، لا الكلمات وصلت الى أحد ، ولا حتى يعنى العذاب .. من يد الى يد ، ومن مكان الى مكان ، وهذا يدفع وهذا يأخذ ، وأنا هنا مرة ، وهنا مرة .. والأضواء تسطع وأنا مسلوب ضائع مسروق فى تابوت آخر من زجاج ـ سرقنى الزمن ، وأن أحدا لا يعرف من أنا ..

يا ناس ، كنت كلمة فكيف أسقط فى حفرة الصمت والضوء ، كيف أصبح عرضا فى متحف أنيق .. يا ناس ..

أين صـمت القبر وضجيج العظام الجديدة ، وهمسات الموتى ، يقبلون على القبر بكل الخوف والحب والحذر القديم .

كل شىء مات .. حتى الموت مات ..

فأنا مجرد تابوت ، حولى زجـاج فى متحف غريب .. حولى الأضواء والوهج ، وأنا جثة هامدة من زمن .. حين التهمتنى النيران أحرقت الصوت ، وحولت الكلمات الى رماد .. فى داخلى كومة رماد حط عليها القار فالتصقت فى أعماقى ، ولم يعد لها وجود .. ثم أحاطت لفائف الكتان بالجسد المشوه فاختفى كل شىء ، ولم أعد الا مجرد مومياة تستقر فى هذا المتحف البعيد ـ ولا أحد يدرى الى متى سأظل هنا ، هنا لكل العيون ولا متى تمد يد اللصوص من جديد ، لتحمل التابوت والمومياة الى من يريد .. واحد يشترى ، وواحد يبيع .. وكأنى سقطت بين الكواكب حيث لاجاذبية فأنا ساكن فى فراغ كأنه العدم .. بعيدا ، بعيدا فى نهاية كل وجود ، ولكنى أحس لهب النار التى أكلت جسدى يوما ، وتظل دائما فى داخلى ولكنى لا أجد وقع القـار المخيف .. والصـمت حولى مظلم ـ وتهتف كل أحزانى متى نعود الى المقبرة .. متى نعود .. ونحن أغراب يا معنى الوجود فى وجودى .. نسينا الوطن ، فاللص واحد من أبناء هذا الوطن ، باع الجثة ، والمومياة ، التابوت الى هذا الوجود الشمعى .. ونحن أنا ، والوجود ، والبقايا ، الصمت تهتف .. متى نعود .. متى .. نعم . متى نعود .

ولا أحد يسمع صـــوتنا .. فقد أكلت النار الصوت والكلمات حين احترقت .

القاهرة ـ فاروق خورشيد

لو عادت ثانية كل حواسّى الخمس

كمال عمار

كنتُ إذا خاطبتُ ثقبت الآذان
أبصرتُ النائمَ يصحو .. يتحسَّسُ
جرحا فى داخله غطته أوراق الصحف
المتشابهة العنوانْ

... ...

كنت إذا خاطبتُ.. صببتُ الكلمات
بلا سابق هيئه
أتجمَّعُ كالغضب .. أتطلع كالدهشةِ
.. أتحدَّى
من يسمعنى ألاَّ يلعننى أو يرفعنى
للصدر الأقدس
كلماتى كانتْ .. أما الآن..
شىء ما يجعلها ناعمة الملمسْ
يأْكلها دون استئذانْ!

* * *

أىُّ مشيبٍ داهم قلبى فجأَهْ :
كلَّمه بالمعتلِّ من القول المعتادْ
نادمه بالماء الآسن لم يرحم ظمأَه
ذاب الخيطُ .. بين الحرف ومعناه
فى لوحة شارات الكلمات المنطفئهْ
وسواء بســـواء
أمـواج « النابالم » ..
براءة أطفال العام الأوَّل قبلَ الميلاد .
عمر بن الخطاب ...
« يزيدُ » حفيد الآكلة الأكبادْ.
زقزقةُ عصافير البستان ... ...
لسانُ حُطيئهْ .
أىُّ مشيب داهم قلبى .. داخانى فجأَه
واحتلَّ الإيوانْ ؟

* * *

ما أذكره أنى حين نزلت السوقْ
ساومنى التجارُ على حرفين ، مُجردَ
حرفينَ !
« اللام الممدودةُ » .. كان العرض
سخيا جدًّا
ماذا فيها ؟ ...
مِنْ ناحيتى سوف أدارى الأمر وأخفى
نبأَه

لن يعلم أحدٌ بغياب الحرفين ولا بمئه
مثلى يعرف كيف يدير القول وأين
يشاء

... ...

ومضيتُ إلى ما أمضى فيه كأنى أغرب
فى عين حمئه

صرت إذا استدعيت لسانى يعصانى ..
وكأنى الساحر فى وادى العميان
أخرج بيضا من لحية جارى
ودجاجًا مشبوه الأعضاء
لايحمل تاريخا أو رقما أو بلدا
أبتلع النيران
مهما أفعل لاأذهل أحدا
ينفضُّ السامرُ ... والزامرُ
منكشفُ العورةِ فى الميدانْ .

* * *

رحم الله الجرأه !
كلَّ التذكارات العاطرةِ الصدئه
وبقايا الأصداء
فى أبعد مثواها لايهتز جناحاها ..
لاتتنفَّس
فى هذى الأيامِ الساقطةِ المهترئه
عَقَدتْنا أجراسُ الرهبة مما كان..
وسوف يكونُ . . وجعلتنا تاريخا
مرتدًّا
ورُكاما مِن نشرات الأنباء العجماء
تأكلها النيران

* * *

لو عادت ثانية كل حواسِّى الخمس
كنت أنا أولَ من يستدعى الشرطة . .
وطبيبَ البيمارستان .
ليقررَ أن فلانَ بن فلان بن فلانْ .
مختلٌّ لايعقل .
لايدرى ما يفعلْ .
يحسبُ أن العالمَ مازال كما كان .
ليس عليهِ بأْسٌ
أبدًا .. أبدًا . . أبدًا ..
هذا ما يفعله بيعُ اللام المدودةِ
بالإنسان !

القاهرة : كمال عمار

سندس

بهاء طاهر

كان ذلك الصباح الشتوى دافئا بعد أيام باردة نزلت فيها أمطار نادرا ما تسقط فى القرية . وفى صحن الدار كانت الكتاكيت تجرى وتصوصو بأصوات فرحة بالشمس التى تغمرها وهى ترفرف بأجنحتها ذات الريش الذهبى القصير . ومع ذلك فعندما سمعت أم ادريس نباح الكلب خارج الدار انقبض قلبها . من يأتى فى مثل هذا الوقت ؟ لم تكد تمر ساعة زمن على خروج رمضان والأولاد الى الأرض . لا يمكن أن يعود أحدهم الآن ، فهل جرى شىء لعزوز فى المدرسة ؟ يمشى كالتائه فى البيت وفى الطريق . حدث له شىء فى الطريق ؟ سترك يارب . فى تلك الليلة حلمت حلما مزعجا لا تذكره . لكنها تظن أنه كان هناك لحم نىء فى الحلم . ليست متأكدة تماما ، ولكن ربما كان هناك لحم نىء . سترك يارب .

وعندما وقفت أمامها مباركة وقالت :

سندس الحلبية على الباب

تنهدت وقالت :

لم يكن ينقصنى الا هذا . سندس عينها والسم واحد ، لكنها أزاحت مباركة بيدها ، وقالت وهى تطل برأسها من الغرفة الداخلية المظلمة :

ادخلى . ادخلى يا سندس .

دخلت سندس من عتبة الدار تسبقها قدمها اليمنى وقالت :

ـ بسم الله الرحمن الرحيم . الخير لأهل الخير .

ـ كانت تحمل على رأسها صندوقها العتيق تسنده بيدها اليسرى ، بينما تتدلى من كوع اليد نفسها ، ربطة قماش كبيرة معقودة ، وكانت تمسك بيدها اليمنى عصاها الطويلة . توجهت الى أم ادريس التى برز نصف جسمها النحيل من الغرفة . وضعت صندوقها وربطتها وعصاها على الأرض ، واندفعت تمسك يد أم ادريس ، وانحنت عليها تريد أن تقبلها . دفعتها أم ادريس فى صدرها ، وهى تجذب يدها بقوة ، وتقول :

ـ ابعدى يا كافرة . لا تحملينى ذنوبك . حبيبة يعنى ؟

اكتفت سندس بأن مالت ، وقبلت كتفيها ، وقالت وهى تجلس على الأرض أمام باب الغرفة المفتوح فى صحن الدار المشمس :

أى والله حبيبة ، ويعلم ربى .

جلست أم ادريس على عتبة الغرفة المرتفعة عن الأرض بسلمتين عريضتين ، وقالت وهى تواجه سندس :

ـ حبيبة ولا نراك الا فى جمع الغلة . قال لك عقلك أراهم بعد الذرة الشامية . تذهبين الى بيوت الناس، وتسألين عن الصحة والأحوال، أما نحن فلا نراك الا فى جمع الغلة . كم مرة ذهبت الى بيت الحاج يوسف ؟

كانت سندس تستمع الى هذا الكلام منكسة الرأس . كانت متعبة هذا الصباح . شعرت بالربطة والصندوق ثقيلين فى يدها فى الطريق .

وتنبهت أنها لم تفطر بعد · ستفطر فى هذا البيت بعد قليل · وسيأتون لها بالشاى ، ورغيف القمح ، والبيض المشوى · أما الآن فالعمل صعب كالعادة مع أم ادريس · كيف تبدأ ؟

انحنت تفتح ربطتها وقالت وهى تضحك :

ـ يديم سعدك يا أم ادريس وأسأل عنك فى الأفراح · اليوم عندى لك بضاعة كلها ان شاء الله للأفراح ·

هزت أم ادريس رأسها وقالت :

ـ جئت الى بعد أن انتهيت من الأحباب يا سندس ؟

لكن سندس بدأت تخرج الثوب المطوى من ربطتها الكبيرة · وأحست وهى تفعل ذلك بعينين مثبتتين عليها · كانت مباركة تقف الى جانبها صامتة لا تتحرك · كانت تتأمل عينى سندس الخضراوين المحاطتين بكحل كثيف ووجهها الأبيض المستدير ، ولما أزاحت طرحتها رأت شعرها الأصفر اللامع ، ورأت فى أذنها حلقا هلاليا مذهبا يكاد يصل الى كتفها · وعندما التفتت اليها قالت مباركة :

ـ أنت حلوة ياسندس وحلقك حلو ·

ضحكت سندس مرة أخرى وقالت :

ـ انت الحلوة · بسم الله ما شاء الله · كبرت يا مباركة ·

ثم التفتت لأمها وقالت :

ـ عينها واسعة وجميلة كعين البقر ·

ولما بدأت سندس تفرد ثوبا من الحرير الأزرق ، وتعرضه على ذراعها أشارت أم ادريس بيدها خفية لمباركة أن تبتعد ، لكن الصغيرة جلست مقرفصة بجانب الحلبية وبدأت تهرش رأسها · ولاحظت سندس حركة الأم ولم تبد شيئا ، لكنها عرفت الآن ما عليها أن تفعله ·

رفعت سندس الثوب المطوى بيدها اليسرى، وعرضت القماش الأزرق المقلم بخطوط ذهبية الذى فردته على ذراعها اليمنى ، وراحت تهزه، وهى تقول بنبرة اعتزاز :

ـ ما قولك يا ست العارفين ؟ هل رأيت مثل هذا عند أحد ؟

لكن أم ادريس حولت بصرها ، وقالت بفتور:

ـ لا تتعبى نفسك يا سندس · لن أشترى ولا بقدح قمح · الأرض لم تعط هذه السنة ·

التفتت سندس الى مباركة ، وظلت تهز القماش وهى تقول :

ـ وتبخلين بالثوب الجميل على هذه العروس الجميلة ؟

قالت الأم :

ـ هذه العويل ···

فقالت سندس :

ـ هذه القمر · انتظرى عليها الى أن تطلع الرمانتان · سيطير لها عقل رجال ·

ثم وضعت الثوب الأزرق جانبا ، وبدأت تفرد ثوبا من القطن منقوشا بورد أحمر ·

قالت أم ادريس بعصبية :

ـ وهذا الثوب الأصفر الذى تخفينه تحت الأثواب · لم تخفينه يا سندس ؟ لمن تخفينه ·

قالت سندس :

ـ ماهو مخبوء خلف نن العين أفرشه لأم ادريس ، وأفرش لها خدى لتمشى عليه ·

لكن أم ادريس هبت فجأة ، واندفعت نحو ابنتها التى كانت تدعك عينيها ، وقالت وهى تقبض على يدها :

ـ يا عويل ، ياهالكة ناسك · طول النهار فى التراب · يدك فى التراب ، ويدك فى عينك· لا قطرة نافعة ولا شافعة ··

لكمتها فى ظهرها ، واندفعت البنت تجرى داخل البيت وهى تبكى ، وتناثرت الكتاكيت التى كانت قد تجمعت كتلة واحدة فى الشمس، وراحت تعدو متبعثرة فى صحن البيت وهى تصدر أصواتا رفيعة فزعة ·

قالت سندس للأم التى عادت تجلس على عتبة الغرفة :

ـ لا تضربيها يا أم ادريس · لم تعد طفلة · سنة أو سنتان ، ويأتيها الخطاب وسيسحرهم جمال عينيها ·

زمت ام ادريس شفتيها ، وقالت للحلبية وهى تلهث :

ـ لا تتعبى نفسك يا سندس · قلت لك لن أشترى ولا بقدح قمح · تخفين عنى الثوب الأصفر ؟ تخفين الأشياء الجميلة لأحبابك ؟ لن أشترى ولا بحفنة قمح ·

قالت سندس وهى تنزع الثوب الأصفر الذى لم يكن يظهر الا طرفه من تحت بقية الأثواب :

ـ ما شاء الله يا ام ادريس ! تخونين خدامتك وجاريتك ؟ والله هذا الثوب لك ، ولن آخذ فيه شيئا · هو منى لمباركة ·· وألقت الثوب بجانب الأم وهى تقول :

ـ والله هذا عندى · الغالى للغالية يا أم ادريس ·

قالت أم ادريس وهى تقوم من جديد :

ـ لا تنفع معى حركاتك يا سندس · اطفحى الشاى وبعدها يحلها الحلال ·

لكن عقلها كان مشغولا وهى تمضى ·· ماذا تفعل لتصرف العين الملعونة عن مباركة ؟

فى الظهيرة ، كانت السحابات القليلة قد تبددت · وتحولت شمس الصباح الى لسعة حامية ، فلاذت الكتاكيت الى الظل ، وخفتت أصواتها · وكانت سندس أيضا تجلس فى الظل وهى تسند ظهرها الى الحائط ، وقد مدت ساقيها ، وأمسكت بيدها كوبا من الشاى ·

وكانت تحتضن مباركة بيدها الأخرى ، وقد جلستا وحيدتين وصامتتين ·

كانت سندس قد أفطرت · وكانت قد باعت الثوب الأصفر ، والثوب الأزرق المقلم ، والثوب المنقوش بالورد · وباعت من صندوقها ابريقا للشاى ، وأطباقا من الصينى · وشربت أم ادريس فنجانا من القهوة ، وقرأته لها سندس· ورأت فيه أن الأرض ستعطى كثيرا · وأن أم ادريس ستحج الى بيت الله ، وها هى زينة العودة ، وسينجح عزوز فى المدرسة هذا العام· أنصتت لها أم ادريس بانتباه وهى تعتمد ذقنها بيدها ، وتهز جسدها على وقع كلمات سندس· ولكن بعد أن انتهت الحلبية قالت لها : ان عزوز خائب ، وان الأحسن له أن يترك المدرسة، ويعمل فى الأرض مع أبيه وأخوته ·

رفعت مباركة رأسها من حضن سندس وسألتها :

ـ لماذا تحملين دائما هذه العصا الطويلة يا سندس ؟

قالت سندس :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لأهش بها الكلاب يا مباركة . أتنقل طول النهار من بيت الى بيت والكلاب لا تعرفنى .

قالت مباركة :

لو لم تكن معى العصا تنهشنى الكلاب .

ـ ولكن أنت أحلى واحدة فى البلد ياسندس. لم لا تتزوجين وتقعدين فى بيتك ؟

ضحكت سندس وقبلت مباركة . وكانت الأم تعود وهى تحمل فى ربطة صغيرة رغيفين من القمح وبيضات مشوية . وعندما رأتها سندس أبعدت يدها عن مباركة . وكانت أم ادريس تقول لابنتها :

ـ رجعت يا مكشوفة الوجه ؟

فقامت مباركة تجرى واختفت داخل البيت .

وعندما نهضت الحلبية ، وساعدتها أم ادريس فى وضع الصندوق على رأسها ، وتوجهت نحو الباب ، وهى تدعو لأم ادريس ، وللحاج . وللأولاد ، تذكرت مباركة ، وتذكرت المرة القادمة التى ستأتى فيها الى هذا البيت فتوقفت وقالت :

ـ ويخلى لك مباركة وتفرحين بها ياحاجة . البنت كبرت ماشاء الله . لكنها مثل عود الذرة الناشف . خذيها للطبيب . غدا يخرطها خراط البنات ، ومن يرضى ببنت مثل عود الذرة ؟

خرجت الحلبية ، وسمعت الأم نباح الكلب ، وصرخات سندس عليه وهى تهشه ، فتنهدت . لكنها نادت مباركة . راحت للكانون وهى تجذب البنت من رقبتها . أخرجت من جيب جلبابها الأسود فصا من المستكة ، وأخرجت بالماشة جمرتين ، وجعلت مباركة تخطو فوقهما سبع مرات .

القاهرة : بهاء طاهر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تقدم

قصص

- البير وغطاه — عباس أحمد
- حديث شخصى — بدر الديب
- القرين .. و .. لا أحد (قصتان) — سليمان فياض
- تجفيف الدموع — يوسف القعيد
- حتى لايغضب القمر — حسن عبد المنعم

تطلب فور صدورها من الباعة ومكتبات الهيئة وفروعها بالقاهرة والمحافظات

استحالة سقوط المطر

سناء البيسى

حائط طويل من أشجار عملاقة متساندة · سد لا ينتهى بطول الطريق من خضرة صلبة لا حراك فيها · العربة تسير وتندفع لتقفز فوق حفر الطريق · حيوانات تندفع بتصميم وعدوانية · آدميون ينبتون نجأة فى واجهة الزجاج الأمامى · بمهارة يتحاشاهم وتصرخ الفرامل ليعلو أنينها ويزداد تشبث الكاوتش بالأسفلت اللزج · الى جواره تجلس زوجته ترفع شعرها على جبهتها فى تسريحة متزمتة تكسبها مظهرها الجاف · على ساقها ناحيته تربض يدها · فى أحد أصابعها خاتم محفور عليه اسمه وتاريخ تنفيذ الحكم فيه · الجناية التى اقترفها منذ سنوات · المؤبد الذى تسببت فيه زلة لسان وغياب عقل عندما تقدم اليها طائعا خاضعا مسلما بقضاء الله وقدره · أبراجهما لا تلتقى لأن كوكبه نارى وكوكبها ترابى يخمد تأجج الاشتعال · يضغط بقدمه على البنزين ليزيد سرعة اشتعاله فتهتز العربة · تعتدل فى جلستها · يصلصل مصاغها فى أذنيه · عصير أعصابه تصوغه هذه المرأة سلاسل ذهبية وأحجارا باهظة تلفها حول عنقها وتزرعها فوق يديها · فى المقعد الخلفى شغالة صبتها هذه الزوجة فى قالب معهود · منديل أبيض يغلق المنافذ على منابت الشعور وبالطو رخيص بأكمام طويلة يطمس أى حب استطلاع لبروز أنثوى · ابنه المؤدب يجلس أيضا الى جوار الشغالة لا يصدر صوتا ·· لا يستطيع بقامته الضئيلة سوى مشاهدة أطراف الشجر تنحشر بينهما ثقوب من سماء زرقاء وبيضاء وفضية وداكنة · ينقل عينيه منها ليدقق فى مسام جلد متعد أبيه من الخلف ويسرح فى مسدس ضخم يرفعه بسرعة خاطفة من حزامه « الكاوبوى » ليصرع فى الحال كل مدرس يطل بهامته على الفصل · يتبادل مع الشغالة لدغات مؤلمة تتسلل فيها الأيدى وحدها على المقعد بينما يحتفظ الوجه بقناع ساذج ملائكى ·· عندما تلح بداخله رغبة لا يستطيع كتمانها يربت برفق على كتف أمه ويسبق رجاءه الهامس المؤدب بقوله من فضل حضرتك ·

الطريق يتسع فجأة · تتراجع الأشجار على الجانبين · وهج الشمس يطمس نهاية الأفق · لهاث الأرض الحار تجمع فى بخار أبيض يسبح منخفضا يلتهم من أمامه معالم الطريق · لافتة باهتة معوجة أطل طرفها من منحدر جسر الترعة عادت ترشده · بالأمس أعلنت زوجته أن اليوم رحلة يتلاقون فيها مع شلة الأصدقاء لتمضية نهار بين ماء وخضرة · مثل حيوان محبوس يروح ويجىء داخل قفص ، كانت يده تقلب فى موجات الراديو فجأة أطلقت أم كلثوم من صدرها آهة بطيئة جاوبتها على الفور تنهيدة عميقة فى الصدر ·· هدأت سرعة العربة وأسرع اللحن جميلا جسورا شامخا كأنها تحكى مصيرا شخصيا ··

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آه من قيدك أدمى معصمى · أعطيت ما استبقيت شيئا · تنهيدة ثالثة ومائة وألف ·· تصدعت جدران ·· تفتحت أبواب ضـــغوط · خرجت أمنيات منتشية لإطلاق سراحها · تسربت رغبات السر ·· مجرد مسمار قلاووظ يمنحه حريته ·· ذلك المسمار الذى يثبت أكرة الباب الذى تتكىء زوجته بمرفقها عليه ·· مفك رقيق أنيق دقيق يتلاحم طرفه اللامع المسنون داخل الشق المنخفض فى الرأس المعدنى المستدير ليدار برشاقة للناحية الأخرى التى لا تثبت بل تحل وتفك ·· ثم ·· تجرى العجلات ولا يجدها بجواره · « يشفطها » الهواء ·· ويرفع يده يهوى بها على وجهها فيلتوى عنقها · يظل يرفع يده ويهوى لتتوالى الصفعات ·· يبتسم لخيال صورة رأسها عندما يدور بلا توقف فى لفات سريعة فوق كتفيها كأنما يحركه زنبرك خفى ·· تتسع ابتسامته · تسأله عما يضحكه ؟ · يجيبها أن يده متخشبة لا يســـتطيع تحريكها بسهولة ·· تتعجب ··ليس فى كلامه مايضحك! تتنهد باستسلام من لا يجد علاجا لحالة ميئوس منها · حوادث كالأشـجار مـزروعة على جانبى الطريق ·· عربة في داخلها شجرة · سيارة فارهة مربوطة بحبل يشده جبار ·· لورى مقلوب على ظهره كسلحفاة هائلة بطنها مفتوحة لطيور السماء· آثار حيوان دهمته العجلات ولم يبق منه سوى ذيل · ذبائـح معلقة بذيول ســـوداء · فاكهـة مرصوصة كحزام أصـفر يلف البلدة ·· عربة بطيخ ترقد على جانبها · ناقلة بترول ضخمة بوزها فى طين الترعة · برميل صدىء يتوسط الكوبرى كاد يطوحه بمقدمة السيارة · مسرعا عبره ونظر خلفه في المرآة ليجد طفلا يخرج من ذلك البرميل يعدو نحو رفاقه المنتظرين جانبا نتيجة مغامرته ·· رأسـه ورقة ممتلئة بالكلمات لكنها ممزقة لا يستطيع أن يجمع حرفا الى حرف · يتعثر في الهجاء · يصرخ داخله · ارحمينى اتركينى · طلقينى · الملل · مظلومة ربما كنت معى ·· مظلوم أنا أيضا · الشقة من حقها · تأخذ كل حاجة · تأخذ روحى · أبدا · ولا قشة واحدة · وكله الا نجفة الصالون التى داخ معها لانتقائها شهورا فى المحلات ولم تعطه اذن دفع ثمنها الا بعد أن أطلع أمهـا على عروق زرقاء التهبت فى ساقه من المشى ! ·· على شاشة عقله طفت صورة ابتسم لها · كلاهما بملابس الميدان يختبىء خلف ساتر من الموبيليات يدافع عن حجرة احتلها فى الشقة ·· حتى العربة واجب قسمتها · سوف تتمسـك بالنصـف الخلفى لاحتوائه على الموتور الثمين وتترك له النصف الأمامى فيقف فى الاشارة بعجلتين اثنتين يصـــفر الهواء من حوله ويملأ قميصه ·· يجذبان الابن بينهما فتنخلع فى يده فردة الحذاء الصغيرة · ينتفض · تنظر اليه بدهشة مستنكرة تظن نـوما غلبه · تطالبه بالانتبـــاه للطريق · رغبة ملحة جارفـة أن يقبل يد ابنه الرقيقه · ناداه ليحتضن بدراعيه الصغيرتين رقبته من الخلف · حرك المرآة ليضاحكه على سطحها · أمرته بالعودة للجلوس ساكنا فى موضعه حتى لا يربك بابا أثنـاء القيـادة · صـفرت وهربت و « خروشت » محطة أم كلثوم · الهـــواء ثقيل ساخن لا يتخلل الرئات · فى الخيال يعود من جديد يرفع يده يهوى بها على وجهها فيدور رأسها بلا توقف فوق كتفيها كأنما يحركه زنبرك خفى · استحالة سقوط المطر فى مثل هذا المناخ ليرطب الهواء ·· استحالة الحب ··

انتظر حتى انتهت من اعطاء آخر أوامرها وسار الركب المنظم على الأقدام لينضم لشلة الأصدقاء التى سبقت · بمجرد وصوله أخذ جانبا واستغرق مع أحدهم فى لعب الطاولة ، وعندما انتهى الدور نزع ملابسه وألقاها تحته وسار الى البحر أمامه ، غاب وعاد يرتجف يتساقط منه الماء ، شعر بالجوع، عبث في سلة الطعام وأخذ بيضة مسلوقة وقضمها

بلهفة ثم ملأ فمه بالخبز ، وأكل أخرى ثم ثالثة وتردد لحظة ثم أكل الرابعة · يستمتع بالقضم فى البياض اللدن · قام ليشترى علبة سجائر · خلف سور المبنى الشغالة وسط جمع المصفقين الصغار تربط وسطها بمنديل رأسها تتلوى فى رقصة تطوح فيها شعرها فى تناسق مع حركة ساقها المنتفضة العارية التى تفتقت من عليها عراوى أزرار البالطو الرخيص ، كما لو كان ميتا استلقى مغمضا بلا حراك · الطنين ملأ أذنيه وأغرقه فى نوم عميق رأى فيه رجالا لهم عين واحدة وسط جباههم وساق واحدة يحجلون بها، ورأى نفسه يجمع بيضا ذهبيا ويلاطف ثعبانا بجناحين ويصعد شجرة تحمل رؤوسا بشرية صغيرة مشرقة الوجوه ·

استيقظ على ضحك امراته ، تضحك بلا توقف · صوتها يتلون موسيقيا بدلال ترجو محدثها ألا يميتها من الضحك · رنة غريبة فى حنجرتها ، اختفت معها تلك الحدة التى يعهدها فى آخر مقاطع جملتها ولم تكن عباراتها موجزة قاطعة · أنوثة خفية انبثقت فجأة تغلف ردودها برقة ووداعة · انتفض جالسا يفرك عينيه · قدمته زوجته للرجل الذى يضحكها · زميلها الذى لم يلاقه من قبل وزوجته الصامتة التى تصاحبه ·· عادا يتكلمان عن أشياء سطحية تافهة · نبرة خفية تختلف كثيرا عن رابطة الصداقة ، علاقة حميمة ، صوتان يلتقيان فى نغمة واحدة ، لهجة متقاربة لم تكلمه أبدا بها طوال سنوات زواجهما · حاول مشاركتهما لكنه شعر أنه خارج الدائرة ·· بداخله تساءل هل هناك أجرومية خاصة بكل أصحاب مهنة ومن يعملون فى مكان واحد تماما كلغة الصياغ وعمال المدابغ وأصحاب سوق السيارات · هناك أيضا اصطلاحات بين أبناء الكار الواحد كالنشالين والمزيفين وشهود الزور فى المحاكم · الزوجة الصامتة رفضت دعوة زوجها للعب الكرة بهزة من كتفها واستغرقت فى دهن جسمها بزيت فى زجاجة ·· ذلك الرجل استدار الى من يضحكها كلامه ليدعوها · بسرعة ونشاط وبساطة متناهية قامت ليتقاذفا بينهما الكرة ويكملان حوارا من نوع آخر ··

سحب سوداء مكومة ترتفع فى الأفق لتغزو جزءا ما زال شاغرا من السماء تتخذ أشكال حيوانات هائلة منطلقة الجماح تهرول بين سيقانها أسراب من صغار تشع ضوءا · الماء داكن فى مسطحات كبيرة لامع كالمرايا عندما تلمس سطحه ذيول شمس غاربة · الشاطىء يمتد تقطعه أسلاك شائكة حلزونية تنغمس فى الرمال فتبدو كآثار جروح ملتئمة ·

قابع فى مكانه يراقبهما ·· شعر بوحدة كأنه جالس خلف الكواليس بينما المسرحية والجمهور هناك بعيد · زوجته ترمى بساقيها الى كل مكان كفرس غير مدربة أطلقت فى مرعى · لأول مرة يكتشف موقع أنوثتها عندما تستدير لتضرب الكرة فيبدو صدرها كثقلين خارجين لا يوائمان هيكلها الرقيق · قام اليها ·· اقترب ، تتحدث وتتنفس بمشقة كطفلة أعطوها كل شىء مرة واحدة ! العرق يتخلل شعرها ويجعله قاتما ملتصقا · توقف زميلها عن اللعب ومد يده بالمضرب اليه كأنه انتهى من مهمته وعليه أن يسلم الراية · اقترب منها ·· وضع ذراعه حولها يريد أن يمشى معها الى حافة الماء ·· ملولة تنتفض تحت ثقل يده · فى قفزاتها أطراف الحشائش ترتعش وتنحنى تحت أقدامها · تخطت حفرة وتوقفت كى تلتقط أنفاسها · استعادت هدوءها ونسمة خفيفة تجفف دمعة عرق تنساب بجوار أذنها ·· أزاحت يده برفق ودارت بعينيها تبحث عن ابنها ·

القاهرة ـ سناء البيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحر

■ جميل عطيه إبراهيم

ارتديت ملابسى وكنت قد انتهيت من سماع اللحن المميز لبرنامج الصباح فمددت يدى الى المذياع وأدرت المفتاح الى اليمين فصدرت عنه فرقعة ثم صمت ·

كل صباح أدير المفتاح الى اليمين فتصدر الفرقعة ثم يصمت المذياع وأكون عندئذ قد انتهيت من ارتداء ملابسى ·

تبادلت عدة كلمات مع زوجتى حول أسعار الدجاج والسمك ـ ففى الصباح المبكر نتحدث دائما حول وجبة الغداء ـ وطلبت منى أن أحضر شيئا معى من الجمعية لأنها اليوم متعبة ولن تقدر على الخروج ، فوافقتها وهرولت الى الطريق ·

قبل أن أقذف بنفسى داخل الأتوبيس تذكرت شيئا ولكننى فور أن وقفت فى الزحام ومددت يدى الى أعلى كى أستند الى سقف الأتوبيس نسيت ما كنت أحدث به نفسى ، تضايقت على الرغم من أننى كنت متيقنا ان ما كنت أقوله لنفسى ليست له أهمية ولا يزيد عن كونه فكرة من تلك الأفكار التى تراود المتزوجين من الناس ·

نعم ·· أخيرا تذكرت !

المذياع القديم الذى نمتلكه يضايق زوجتي لكبر حجمه ولأنه يشغل حيزا كبيرا من الصالة ، كما أن الفرقعة التى تحدث عنه عند اطفائه تزعجها ، لكننى كنت أقول لها دائما ، ان هذا المذياع له قيمة أثرية ، فهو أول مذياع دخل الى قريتنا واننى قد ورثته عن جدى ! فتضحك قائلة انه قديم جدا ولا يذيع سوى الأخبار القديمة ·

زوجتى ولوع بالأجهزة الحديثة وذلك ربما يرجع الى أنها تصغرنى بعشرين عاما وربما أيضا الى مرضها ، وأنا أعرف تماما طريقة تفكيرها فى هذا الموضوع عندما تقول ساخرة : انه اذا كانت لهذا المذياع أية قيمة أثرية فعلى أن أعيده ثانية الى القرية ليحفظ بها هناك · لكن المسألة برمتها بالنسبة الى لها معنى مختلف فأنا أخشى التفريط فى هذا الجهاز بسبب الخوف ·

نعم الخوف ·· فدائما يراودنى احساس بأننى اذا تخلصت من هذا الجهاز فسوف تحل كارثة بنا ، فقد مات والدى فى اليوم الذى سمح لى فيه بنقل المذياع الى القاهرة عندما التحقت بالجامعة وكان موته كارثة حقيقية ، فقد مات مقتولا برصاصة انطلقت من مسدسه وهو يعبث به ، ومنذ ذلك الحين سيطرت على فكرة عدم نقل هذا المذياع من موضعه ·

لكننى تخلصت من مخاوفى بالأمس ، ورأيت أن أدخل البهجة الى قلب زوجتى المريض فطلبت من زميل لى له دراية بتلك الأجهزة شراء واحد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لى صغير الحجم ، وعندما سألنى عن السبب وكان يعرف مخاوفى ، انه انقطاع الكهرباء فى المنطقة واننا نرغب فى جهاز يمكن ادارته بالبطاريات ·

هذا هو ما نسيت أن أخبر به زوجتى هذا الصباح وظل يؤرقنى طوال الطريق ، فقد كنت أرغب فى أن أزف اليها هذا الخبر كى تفرح ، فبالأمس فقط قالت لى اننى أصبحت أحدثها كثيرا عن الموت وأن ذلك يخيفها بينما كنت أعيد على مسامعها كيف سقط زميل لى فى العمل وقضى بعد أن غطى الزبد فمه وقبل أن نتمكن من انقاذه ، وقالت لى أيضا انها قد سمعت هذه القصة منى عدة مرات من قبل واننى أتعمد بث الخوف فى نفسها ·

ربما كانت على صواب فى مخاوفها ففى سن الخمسين يتحدث الانسان عن الموت دون خوف بعد أن يكون قد صادفه فى حياته كثيرا ، أما هى فتصغرنى بعشرين عاما وليست لها الخبرات والحوادث التى مرت بى ، كما أنها تخشى الموت لسبب آخر هو ضعف عضلة قلبها وقد اكتشف الطبيب هذه العلة بعد زواجنا بعامين عند أول حمل لها فأمرها على اجهاضها ومنعها من الذهاب الى العمل وتفرغت بعدها لشئون البيت ·

لهذا قررت أن أشترى لها المذياع الجديد وأقسمت ألا أحدثها ثانية عن الموت ·

كانت جدتى ترفض الاقتراب من المذياع القديم وتعتقد أنه مسكون بالجن ، ومن الغريب أننى تذكرت ذلك فور أن أحضر زميلى المذياع الصغير وأدرته واستمعت الى صوته الصافى دون خشخشة ، وقلت لنفسى ان هذه الأجهزة تسكنها موجات أشد خبثا من الجن ولعلها هى التى تسبب أمراض القلب ، وسألت صديقى اذا كان فى مقدور أحد أن يؤكد أو ينفى أن موجات اللاسلكى التى تحاصر الانسان ليست لها علاقة بهذا المرض ·

قال لى بعد أن تأمل قولى مليا :

ـ لا أحد يعرف الحقيقة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واسترخى قليلا فى مقعده ثم أضاف قائلا :

ـ المشكلة الحقيقية هى أن الأطباء لا يفهمون فى الموجات والمهندسين لا يفهمون فى الأمراض !

أحضر الساعى الدجاجة المشوية فلففتها جيدا مع المذياع الجديد ، وقلت له ان على اليوم العودة مبكرا الى البيت قبل أن تفسد الدجاجة من الحر . فحكى لى حكاية عن الصيف وقال لى انه قد قرر مواجهة الحر هذا العام ، ثم أخرج خريطة تفصيلية لمدينة القاهرة وقال لى : انظر ! هنا الجامع الأزهر والقاهرة القديمة وهى كلها تقع الى الشرق . هنا أهرام الجيزة وكلها تقع الى الجنوب الغربى . هنا مجرى النيل ، ويندفع من الجنوب الى الشمال .

تأملت الخريطة ووافقته على قوله ، فصديقى يتميز بالدقة الشديدة فى أقواله ولا يتحدث مطلقا عن شىء لا يعرفه وربما عاد ذلك الى تبحره فى الدراسات القانونية بالاضافة الى دراسته الأصلية فى الهندسة . قال لى صديقى بعد ذلك :

ـ انظر . اذا جاء البحر من الشمال الى الجنوب سوف تسبح القاهرة فى بحيرة من مياه البحر وتمتد شبكة من الطرقات المائية تربط كل أطراف القاهرة بعضها ببعض مثل مدينة البندقية . انظر شبكة الطرقات المائية جاهزة على الخريطة .

قلت له وقد راقتنى الفكرة :

ـ وتكون التنقلات بالقوارب الشراعية والصنادل .

قال لى فى ثقة :

ـ نعم . فالمدن المطلة على البحور والمحيطات والأنهار دائما تكون معتدلة الجو وأشد نظافة من المدن الداخلية .

اتجه الى النافذة وكان شارع رمسيس يعج بكل أنواع المواصلات وطلب منى أن ألقى نظرة الى الطريق ، لكننى فضلت ألا أغادر مكتبى ، وقلت له وأنا جالس اننى أعرف جيدا ما يجرى فى الطريق فى هذا الوقت من النهار فمنذ عشرين عاما أحضر الى مكتبى وتصل ضجة الطريق الى فى الطابق السابع .

قال وهو يطل من النافذة :

ـ تأمل هذا الطريق عندما تغمره المياه . سوف يكون شاعريا !

ثم افترقنا وانطلقت الى المدينة بعد انتهاء العمل .

عند عودتى الى البيت كانت الدجاجة قد بردت ولكننى كنت محملا بلفافة ضخمة مليئة بحاجات ولوازم منزلية ، ووجدت زوجتى جائعة فأعطيتها الدجاجة وطلبت منها اعداد المائدة وقد قاربت الساعة السادسة مساء ، بينما خلعت ملابسى وارتديت لباس البحر الجديد الذى اشتريته من المدينة وخرجت الى الصالة وجلست الى المائدة .

لحتنى زوجتى وهى تعد الطعام وأنا أجلس بلباس البحر وصدرى عار فسألتنى عما أفعل فقلت لها ، ان القاهرة حارة ومزدحمة وقد قررت مواجهة الحر هذا العام .

قالت لى انها متعبة اليوم ، ولا تقوى على الوقوف .

قلت لها كى أروح عنها ، انهم فى مدينة البندقية يتجولون بالصنادل فى الطرقات .

استمعت الى وهى ساهمة ، ثم وضعت الأكواب على المائدة ، فقلت لها :

ـ من المحتمل أن يصل البحر الأبيض المتوسط الى مشارف الجيزة .

نظرت الى برهة ثم دخلت الى المطبخ ، فقمت الى المذياع القديم وحملته خارج الصالة تمهيدا لبيعه ، وأدرت المذياع الصغير الحجم ، ثم حانت منى نظرة الى المطبخ فوجدت زوجتى ملقاة على الأرض والزبد يغطى فمها ، فأدركت أنها قاضية لا محالة ، وندمت لأننى اشتريت المذياع الجديد ، وقلت لنفسى لقد تسببت فى موتها دون أن أدرى .

سويسرا : جميل عطية ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم أغنِّ لذى حيًّا

□ فتحى سعيد

لم أُغن لك حياً ؟

لم أقفْ بالباب مغنىً المُحيَّا

لم أكن طرَّاق أبواب ، ولم أُطرق مليا

لم أُعفِّر جبهتى هونا .. ولم أُمدد يديا

لم أبع ماء ببغداد ولا فى الشامِ .. ،

عاقرتُ بغيًّا

لم ألج تلك الحوانيتَ .. ،

ولا نادمتُ فيها أعجميا .. !

لم أبايع يوم بايعتَ ابن هندٍ أو عليًّا

ولم أقل فيهم قصيدا أمويا

إنه الشاعر يامصر ..

وإن أوتى عرشا كِسْرويا .. !

لم أغن لك حيًّا

فلأُغنِّ ذلك الشعب .. ،

فما زال نبيلاً عبقريا

ذلك الوادى الذى قدَّس مهداً نبيا

وثرى النهرِ الذى سال خصيبا وزكيا

وندى الفجر الذى أورقَ فى شطيهِ

حرفا أبجديا

ودمَ الحر الذى أضحى رُفاتاً عسجديا..

فلأغن . . بعد أن وسدت لحدا حجريا

حيث لا تملك من أمرى ولا أمركَ شيا

إنه الشاعر يامصر وأن أوتى

عرشا كِسْرويا .. !

القاهرة : فتحى سعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مأساة الفحّام

إبراهيم أصلان

- ١ -

الحاج محمود الفحام ، فتح الباب بعد الغياب، وسحب دكته القديمة وهو قرفان ، ولا يريد أن يرى أى واحد من أبناء فضل الله عثمان ٠

الحاج نظر الى « بلفتة » وهو قاعد على باب الدكان وقال : أستغفر الله العظيم يارب ! ، لأنه سمع الولد فاروق والولد شوقى وهما يضحكان عند جابر البقال ، ومد يده وأخرج علبة السجاير ونظر ناحية الشمال ، ورأى الأستاذ عبد العظيم عمارة وهو يبعد عن كوم الزبالة ، ويقف فى مدخل البيت المفتوح ، ويرفع له الجريدة المطوية بالسلام ، والحاج تأمله وهو يغيب بالقميص والبنطلون ، ثم صاح فجأة : « اتفضل يا أبو عمارة » ٠

وأشعل السيجارة ٠

عندما لاحظ أن الأستاذ عبد العظيم سلم عليه كعادته فى أغلب الأيام ، ارتاح وقال لنفسه ان اهتمامه بالحكاية أكثر من اللازم ، وأنها هايفة وممكن أن تقع لأى واحد مهما كان وضعه فى شارع فضل الله عثمان ٠ والحاج هز دماغه وقال : يا سلام لو أن الولد فاروق وشوقى وجابر لم ينتبهوا له ، ويحملوه لغاية البيت ! ، كان بوسعه أن يظل جالسا حتى يفيق وحده ، ويعيد المحفظة الى جيب الصديرى ، والدرج الى مكانه : « ولا من شاف ولا من درى » ، وعدل الطاقية وقال : نهايته ! ، وقام ودخل الدكان يسوى مقاطف الفحم ويشغل نفسه لكى ينسى ٠ وبعد فترة خرج وقعد على الدكة بعدما لاحظ أن : « مفيش فايدة » ٠ لأنه لما نسى دخلتها عليه فى الدكان ، تذكر نظرة عينيها ، ولما نسى نظرة عينيها تذكر شعرها المحلول ، ولما نسى شعرها المحلول تذكر صدرها العريان ، ولما نسى صدرها العريان ، الحاج تذكر اللمة ، وتذكر صوت العيال

- ٢ -

عبد العظيم عمارة خلع الحذاء وهو واقف ، وقذفه من رجليه لغاية الجدار ، وقلع القميص والبنطلون والشراب ، وألقى بهما فى الصالة ، وقعد على الكنبة بالفانلة واللباس ٠ عبد العظيم ركن ظهره على المسند وضم شفتيه فارتفعتا الى أعلى وبدا كأنه يشم شاربه القصير الشايب، وهو ينظر الى عمارة الصغير الذى وقف بين ركبتيه العاريتين ، ورفع له وجهه المتسخ الضاحك ٠

وجاءت اصلاح من ناحية المطبخ وهى تحمل طفلتها على صدرها ، ورأت الهدوم المرمية وقالت : « ياشيخ قلبت القصرية على الحصيرة»، ومدت يديها بالبنت ، ولمت الهدوم وعلقتها فى مقبض باب حجرة النوم من الداخل ، وحملت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

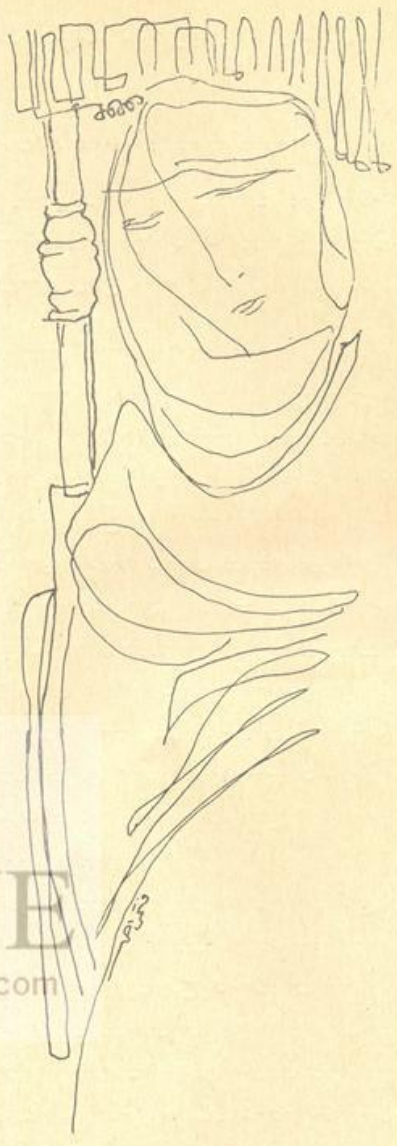

القصرية وذهبت بها ناحية المطبخ ورجعت بالطبلية ، وعبد العظيم نظر الى طبق المحشى وهو يناول البنت لأمها وقعد يأكل ناحية اليمين حتى لا يدخل الأرز فى ضرسه المخروم ناحية الشمال ، وبعد أن أكل خمس أصابع من المحشى شبع وضايقته رائحة الكرنب ، وقام ودخل المرحاض وخرج ، ووقف على باب حجرة النوم بعقب السيجارة وطلب من اصلاح ألا توقظه بعد الآن لأنه لن يذهب الى العمل ، واصلاح أخذت كمية أرز من أصبع مفكوك ونفخت فيها ووضعتها فى فم الولد عمارة وقالت : « لازم ادوك أجازه » ٠

« لا » ٠

« أمال ايه ؟ » ٠

« خلاص ، مش رايح الشغل بعد كده » ٠

« هيه ايه الخيبة دى ؟ » ٠

« زى ما بقولك كده » ٠

وألقى بعقب السيجارة ناحية الباب دون أن يطفئه ودخل الحجرة وطلع السرير العالى ذا الأعمدة الطويلة السوداء ، ونام على ظهره ووضع رجلا على رجل ، وأخذ ينظر الى السقف ويلعب فى ركبته ويقول : « أبوكى مرة بنت كلب ؟ » ٠

— ٣ —

ثامن سيجارة وهو قاعد ، الليل مضى دون أن يأتى زبون واحد ، ولم تمر من فضل الله عثمان أية امرأة غريبة ، لكن على العموم مسير الحى يتلاقى ، والحاج سأل نفسه وقال : «وافرض قابلتها ، حتعمل ايه يعنى ؟ ده كل شىء نصيب ٠ صحيح ، لو أنه يومها لم يترك المعزى قبل أن يبدأ الشيخ عباس فى الربع الثانى ، «كانت جاءت هى ولم تجده» ، ودخلت على جابر المقال أو أى دكان آخر ، والحاج هز دماغه، أصله كان يوم سبت ، عندما وقفت وطلبت منه نصف كيلو من الفحم ، وهو دخل يعمل لها القرطاس ، وهى أخذت قطعة فحم من وراء ظهره ضربته بها فى دماغه واستدارت الى الشارع وقالت : « امشى يا واد يا قليل الأدب » ٠ وهو التفت على الخبطة التى آلمته فى قفاه ولكنه بهت من جمال المرأة التى كشفت الملاءة ووقفت أمامه بشعرها المحلول وعينيها الكبيرتين وصدرها الأبيض العريان ، رآها هكذا بين هباب الجدران ومقاطف الفحم الأسود وعتمة الدكان ٠

كانت تبتسم وترفع له حاجبها المنتوف باعجاب ، لكن الحاج مسك نفسه ودخل يكمل لها الميزان ، وهى أخذت هذه المرة حفنة من الفحم قذفته بها فى جانب وجهه وقفاه وصاحت : « يا أولاد اختشوا يا اولاد » ٠ والحاج استدار واسرع ناحية المدخل ووقف على العتبة ونظر هنا وهناك ولكنه لم يجد أحدا ، وعاد وهو يستغرب لتقابله بعينيها الكبيرتين وشعرها المحلول ، ورآها تمد يدها داخل فتحة صدرها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العريان وتخرج منديلا ملونا وتمسح له أثر الفحم عن أنفه وأذنه اليمنى وقفاه . والحاج لم يحس بعد ذلك بأى شىء . لقد عرف أنهم وجدوه جالسا بين مقاطف الفحم لا يرد ولا يرى وهو مفتح العينين ، والمحفظة الكبيرة ملقاة فى حجرة وهى خالية من النقود ، والدرج المفتوح لايوجد به أى قرش يوحد الله . لم يحس مع أن الولد فاروق وشوقى وجابر حملوه على الدكة لغاية البيت ، والحاج رجع يتذكر اللمة ، وصوات العيال .

— ٤ —

« أبو عمارة ، انت نمت واللا أيه ؟ »

عبد العظيم التفت برأسه الى الباب ، ورأى محمد أفندى عثمان وهو يقف بوجهه الأبيض وجلبابه القصير ، وأراد أن يقوم لكى يلبس البيجامة ويدارى ساقيه العاريتين ، ولكن عمه محمد وقف بحيث كانت المراتب تلامس صدره وقال : « والله ما انت قايم ! » ، ووضع يده بالمسبحة على كتفه وجعله ينام كما كان فى الأول ، وعبد العظيم نام وهو محرج ، وأبو عبده سأله ان كان هناك أى شىء حدث فى المصلحة :

« واللا أيه الحكاية ؟ »

« لا أبدا » .

« قول بس » .

« مفيش والله » .

محمد أفندى أخبره أن أم عمارة قالت أنه لا يريد أن يذهب غدا الى العمل . وعبد العظيم فكر وقال : « ان شاء الله » .

« من غير اجازة ؟ »

« أنا أجازاتى خلصت »

« خلى بالك ، ده يعتبر انقطاع ، بدون اذن أو اخطار » .

قال : « عارف » .

« طيب وبعدين ؟ »

« يرفدونى » .

« طيب وده اسمه كلام ؟ »

« صدقنى يا عم محمد ، أنا عاوز اترفد » .

« ومصاريف البيت ، الايجار ، والعيال ، والدخان ؟ »

« مصاريف ايه وهباب ايه يا عم محمد ؟ »

عمه محمد ابتسم وقال : « والله يا بنى معاك حق » ثم تلاشت ابتسامته وقال بجد : « بس لازم برضه الواحد يروح الشغل » .

عبد العظيم أقسم بالله انه لن يذهب ، وأراد أن يقوم وعمه محمد قال : « والله ما انت قايم » لكن عبد العظيم قعد وسحب علبة السجاير من تحت المخدة ومد له يده بسيجارة أشعلها وقال : « اطلع يا عم محمد اطلع » . محمد أفندى ترك المسبحة تنزلق على ذراعه وتعلق بيديه فى عمود السرير ونام بصدره على المراتب وهو يبحث برجله اليمنى عن الملة لكى يطلع عليها لكن السرير اخذه وانهار فجأة من وسطه ومحمد أفندى وقع فى قلبه والمراتب انطوت عليه هى والفرش والمخدات وعبد العظيم من فوقهم ، والملة دربكت والأعمدة خبطت فى الجدران ، ومحمد أفندى صرخ من تحت بأعلى صوته وقال : « يا نهار اسود » لان السيجارة لسعته فى خده وكان يظن أن البيت هو الذى وقع ، واصلاح قفزت بالبنت الى الحجرة ، ورأت الدنيا وهى مقلوبة وعمها محمد يصرخ ولا يظهر منه الا ساقاه النظيفتان وهو يرفص بهما تحت الفرش والألواح ، وعبد العظيم يقف فى الركن بالفانلة واللباس وفى يده عمود السرير وعيناه مثل الدم . اصلاح خطفت الولد عمارة من كتفه وأسرعت من باب الشقة الى فضل الله عثمان وهى ترقع بالصوت ، والناس جاءت وسألوها ، وهى قالت للحاج محمود الفحام ان عبد العظيم: « اتجنن » وضرب عمها محمد برجل السرير : « وموته » .

الولد جابر البقال وفاروق وشوقى كانوا أول من وصلوا الى الحجرة ، وجابر كان يمسك بصندوق كازوزة فارغ وقفر وضرب عبد العظيم بالصندوق على دماغه وسيح دمه وحمله على كتفه وخرج به من مدخل البيت ، والحاج محمود رفع رأسه لفوق ورأى الاستاذ عبد العظيم عمارة وهو يجلس على كتف جابر بالفانلة واللباس ناحية الدكان وجابر لحقه ومال بحمله وألقى به على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقاطف الفحم وعاون الحاج على انزال الباب الصاج ، والحاج عدل المشبك الحديد وأغلق بالقفل والمفتاح ، واتجه الى البيت وهو يدفع الواقفين ، ورأى فاروق والولد شوقى وهما يحملان محمد أفندى عثمان على ظهره ، واحد من الأمام وواحد من الخلف ويتجهان به الى الشقة الأخرى ، والحاج أسرع داخلا ورأى أم عبده وهى تنزل من على الكنبة وتقول : « هو ايه اللى جرى؟ يا مصيبتى ، ده أبو عبده » . والحاج صاح فى الولدين أن يضعاه على الكنبة ، واقترب منه وربت على خده وقال : « أبو عبده ، محمد افندى » .

ومحمد افندى فتح عينيه الدامعتين ، وتأمل فيهم ، ثم أغلقهما ، وأم عبده أسرعت ومسكت باب الشقة وبدأت تقول : « كده برضه يا اصلاح ؟ » .

لكن الحاج محمود لحقها ورفع صوته وقال : « أم عبده ، الكلام ده كله زى قلته » .

« هو ايه اللى زى قلته يا حاج ؟ »

الحاج كشر والتفت ناحية أبو عبده وقال : « ارتاح انت دلوقت وانا راجع لك تانى » ، وخرج مع الولدين ووقف بين الناس وقال : « كل خير انشاء الله ، كل خير » ، ولاحظ فى الأولاد الذين ركبوا على الدكة ، وصفق بيديه وطلب من كل واحد أن يذهب الى حال سبيله ، وفكر ، مجلس الصلح هذه المرة ، لازم يكون فى البيت .

— ٥ —

الحاج محمود الفحام وقف أمام الدكان الذى حبس فيه عبد العظيم ، كان مسرورا وهو ينقل عينيه من باب لباب ، وظل يدخن ويفكر حتى هدأت الحالة ، ورأى جابر البقال يسحب الدراجة، ويأخذ الولدين لكى يحضروا أكياس اللبن من الزمالك ، وعندما ابتعدوا سمع خربشة وشيئا يقع وراء ظهره داخل الدكان ، وعرف أن عبد العظيم عمارة قلب كفة الميزان . الحاج ابتسم وأخرج المفتاح من جيب الصديرى ، وفتح القفل وعدل المشبك الحديد ورفع الباب الصاج ، ولكن عبد العظيم لم يكن موجودا . الحاج تناول كفة الميزان وأعادها الى مكانها ، وأسرع يعبر الطريق ودخل من باب البيت ونظر الى شقة عبد العظيم المغلقة ، واتجه الى شقة محمد افندى عبده كان نائما على ظهره . والحاج قال وهو واقف : « ايه الحكاية يا ام عبده ؟ »

« حكاية ايه ؟ »

« مش الحمد لله ، أحسن ؟ »

« نحمده »

الحاج نظر ناحية الشقة الأخرى وقال : « هو أبو عمارة نام واللا ايه ؟ »

« نام ايه يا حاج ؟ ما هو عندك ، مش عندك ؟ .

« أنا بأسأل عن أم عمارة » .

ام عبده قالت انها لمت هدومها وذهبت لأهلها ، والحاج وقف يفكر ، واقترب من محمد أفندى وربت على خده : « أبو عبده ، محمد افندى » .

وأبو عبده توجع بصوته الخفيف وهو مغمض وقال : « آه » .

« عامل ايه دلوقت ؟ »

« آه » .

« انت سامعنى . عارف مين اللى بيكلمك؟ »

أبو عبده هز دماغه .

« مين ؟ »

« عباس »

« لأ . انا مش عباس »

« طيب » .

« أنا الحاج محمود » .

« آه »

« لا حول ولا قوة الا بالله » ، وأسرع بالخروج وهو يقول : « كترى له السكر يا ام عبده » ، ورجع يبحث عن عبد العظيم فى الأركان وجر مقاطف الفحم ، وفتش فى كل مكان .

الحاج قعد على الدكة يستغرب ويسأل نفسه: أمال ايه اللى أنا حبسته فى الدكان ؟ وايه اللى وقع كفة الميزان ؟ »

القاهرة — ابراهيم أصلان

محاولة للتواصل

□ محمد فهمى سند

ها هى الأرض دوّارةٌ
نستفيق على ركضها فى الصباح
نرى أوجه الناس مرسومة فى الحوائط .
أعينهم تتدلى مع الشمس
من فتحات النوافذ ،
أعمدة البرق ،
أجنحة الطائرات ،
تحدّق فى الظلمة البارده . . . ! !
ها هى الأرض ،
تأكل خطواتنا ،
حين نسكن جلد الزمان ،
يطوّحنا بين فكّيه ،
يعصرنا بين أمعائه ،
نتحول عمرًا فعامًا فشهرًا ،
فيومًا ، فثانية نتأرجح بين الأنين ،
وبين صدى اللحظة الجامده . . ! !
إن قلبى يدور مع الأرض دورتها .
باحثًا عن شجيرات عشق ،
يخاصرها فى الصباح ،
يراقصها فى المساء ،
ويُلقى بأيامه حولها ،
مستظلاً بأوراقها ،
دالفًا فى الجذور ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورائحة الشوق ،
لكنَّ قلبي يعود بحزمة عشب .
تصفر فيها رياح الخريف
وأغربة الأزمن الجاحده . . !!
إنه يتمطَّى على جبهة الأرض .
يغمس فيها مناقيره الهامده
يتواصل بالرمل والنبع ،
يُلقى على جسد العشب أثقاله ،
يتشرب قطرة طل ،
يلاعب قوقعة البحر ،
يستنطق « الودعات » المليئة بالسِّمر ،
عن نجمة فى الفضاء ،
تداعب كهفاً على ربوة الوحدة
الخامده . . ! !

هاهى الأرض تسكننا ،
يازمان التشبُّث بالوهم ،
تكتب فى أعين القادمين تعاويذها
تستبيهم بأغنية خالده ..
كتبتها على جبهة الراحلين ،
فظلوا يفكون ألغازها ،
يقرأون كتاب الأحاجى ،
فلايفتح العمر بابا على كوَّة الضوء ،
حتى تذوب الخطى ،
تحت أنيابها البارده . . . ! !

ظهران الجنوب ـ محمد فهمى سند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغريبان

إبراهيم عبد المجيد

- ١ -

حين خرج من المطار بفعل التكييف القوى اصطدم وجهه بالشمس · أغمض عينيه للحظات أمام الفضاء الأبيض المتسع ·

« مشوار · مشوار ·· مشوار ·· »

سمع أكثر من سائق يروح ويجئ ويدور حول سيارته · السيارات الكثيرة مدهشة الأحجام والألوان تفرش الأرض الواسعة أمام المطار · يقولون انها هنا مكيفة كلها ·

قفز داخل أقرب تاكسى · دخل السائق وقال وهو يجلس « ياهلا » · وانطلق فى سرعة مجنونة ·

ـ ها · خفت ·

ـ لا

خاف اسماعيل فعلا · نظر الى السائق الأسود الصغير · أعجبه جلبابه الأبيض النظيف و « الغترة » البيضاء الحريرية والعقال الأسود اللامع المجدول فوقها · قال مبتسما :

ـ المشوار عشره ريال ·

لم يعلق · لحظة فكر كيف كان يتحرك داخل المطار ذاهلا · أدرك فقط فى انتباهة لا ارادية أن حوله ضجة عارمة · لكن عينيه تركزتا على قاعة زجاجية غاصة بالرجال والشباب · كانوا من جنسيات مختلفة فيما يبدو من ثيابهم وسحنات وجوههم ، لكن بدا له أنهم جميعا مصريون · كان أمام باب القاعة بعض الجنود · حولها يدور عدد من الرجال والنساء والأطفال يتفرجون ويتحدثون · فهم من الحديث أن هناك حملات تقوم بها الشرطة للقبض على الموجودين دون اقامة شرعية وترحيلهم الى بلادهم · كان قد سمع كثيرا عن الذين يسافرون للعمرة والحج والزيارة كوسيلة للبقاء اذ أصبح الحصول على عقد عمل أمرا صعبا لا يفوز به الا المحظوظون · وهو منهم ·· لماذا لم ير فى المطار غير ذلك ؟ ربما صرفه الذهول الذى رآه مخيما على وجوه المحبوسين فى القاعة عن أن يرى أو يسمع شيئا آخر · لكنها القاهرة اللعينة بلا شك هى التى أصابته بهذا الداء · فهو يستطيع أن يقف فى ميدان العتبة طيلة النهار ولا يصاب بالجنون · قوة مجهولة فى نفسه أقامت حوله خط دفاع من نوع غريب ، فاذا توسط الزحام والضجيج ابتعد · صار خيطا رفيعا معلقا فى الهواء · ليست هذه علامات موت ، هنا حيث لا صخب مثل القاهرة ستعود لنفسه القدرة على التمييز · وطلب من السائق أن يدير تكييف التاكسى ··

ـ افتح النافذة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتحها فدخلت قذفة لهب ، وابتلع الهواء الساخن وعطس !

ـ سوق البطحاء بعيد ؟

ـ ها .. مستعجل يا مصرى ؟ .

لم يرد . تابع الحركة السريعة للسيارات فى الشارع الواسع . أغلقت الاشارة فحاصرته السيارات من كل جهة فى زحام شديد . ماكاد يخرج الأجندة التى بها عنوان صديقه الذى أرسل اليه عقد العمل حتى فتحت الاشارة . اندفعت السيارات فى أرتال طويلة مختلفة السرعة . لاحظ أن الشارع يستوعبها جميعا فى راحة . قرأ العنوان :

ـ ها . هذا ليس فى البطحاء !

ـ نعم .

ـ ليس فى البطحاء . هذا بالناصرية !

ارتبك بينما فتح السائق مسجل السيارة . « تشيك شاك شوك » . « تشيك شاك شوك » . ضاق صدر اسماعيل بالغيظ . صديقه لا يمكن أن يخدعه . شهق ثم زفر بهدوء وتحكم فطالت الزفرة .

ـ أرجوك . العنوان بالبطحاء .

رفع السائق صوت المسجل فملأ العربة فجأة كأنما انطلق من عشرات السماعات فى جوانبها وتحت المقاعد . لكنه عاد وخفضه .

ـ هل تعرف الرياض مثلى . يا أخى أنا نزلت القاهرة مرة فقالوا لى ان فندق شيراتون بالاسكندرية وما تكلمت . دفعت مائتى ريال للسائق وما تكلمت . وأنا لا أطلب منك مزيدا . هل أغشك ؟ هذا العنوان بالناصرية .

هل يمكن أن يكون صديقه ، الذى أمضى الآن سبع سنوات بالرياض ، قد وقع فى خطأ ما ؟ يعرف جيدا دقة صديقه . ماذا يفعل لهذا السائق ؟

ـ اسمع . أنا لا أعرف البطحاء ولا الناصرية . لا أعرف الا صديقى . أوصلنى الى سوق البطحاء وأنا سأقوم بالباقى .

ـ ها ...

وتوقفت السيارة . نظر اليه السائق مبتسما فلم تلمع أسنانه . كانت صفراء خربة . لكن عينيه كانتا بارقتين واسعتين .

ـ هنا عنوانك .

قال وهو يشير الى شارع جانبى .

ـ تدخل فى هذا الشارع وتسأل .

وفتح يده الممدودة :

ـ عشره ريال .

ـ هنا البطحاء ؟

قال اسماعيل فى قلق . أوقف السائق المسجل قال :

ـ هذا شريط مصرى .

توتر اسماعيل قال :

ـ أسألك . هنا البطحاء ؟

تجهم السائق فجأة واندفع يطلق الكلمات :

ـ لماذا تعاند يامصرى . تقول البطحاء والعنوان فى الناصرية . انزل الله يرضى عليك . اركب سيارة أخرى اذا كنت أكذب ..

دفع اسماعيل الأجرة ونزل . رأى السيارة تنطلق فى الشارع الواسع الذى خلا من السيارات فجأة . أحس أن الشمس سقطت فوق رأسه . كانت المبانى العالية ممتدة على جانبى الشارع الذى بدا بلا نهاية ، ولم يكن لها ظلال . والسيارات الواقفة ممتدة مع امتداد المبانى . بدت المبانى خالية ومصمتة فى عينى اسماعيل . السيارات راضخة ذليلة . أفرغت شمس الظهيرة كل شىء حوله من الحياة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٢ —

قال لنفسه قد يكون السائق صادقا · دفعته الشمس الى الشارع الجانبى ، لعل وضع المبانى فيه يختلف فيجد ظلا أو أحدا يسأله · وجد منازل واطئة مبعثرة · سيارات متناثرة وشوارع قصيرة · مشى كثيرا وهو لا يدرى · الشمس التى بدا أنها استكنت فى رأسه كانت تلهب قدميه بالسياط فكان يقفز · التفت فلم يعرف كيف يعود الى الشارع الواسع · لمح هامشا غريبا من الظل جوار أحد البيوت · لم يشعر الا وقد جلس فوق حقيبته الجلدية الصغيرة · جعل هامش الظل الضيق يلتصق بظهره الى الجدار الساخن للبيت · كانت الحقيبة المنتفخة بالملابس القليلة طرية تحته حقا لكنها كانت أيضا ساخنة قبل أن يفكر فيما يجب عليه أن يفعله برز له رجل يحمل «صرة» كبيرة سوداء · بدا وكأنما انشقت عنه الأرض · ألقى على اسماعيل السلام وألقى « صرته » وسقط فوقها مرهقا · تعجب اسماعيل كيف يرتدى الرجل سترة سوداء من الصوف تحتها صديرى أسود من الصوف ! · واستند الرجل بظهره الى الجدار لكن « الصرة » الكبيرة أتاحت له الجلوس فى وضع أكثر راحة اذ مد ساقيه لا يبالى بتعرضهما للحرارة المرتفعة كان يرتدى حذاء أسود ثقيلا ضخما · وبينما أخرج سجائره وأشعل احداها وهو يلهث لاحظ اسماعيل أن فى وجهه غضونا وعلى عينيه تعب ، وأن ملابسه فى الحقيقة قديمة جمعها الرجل كيفما اتفق ·

— مصرى ؟

قال الرجل فابتسم اسماعيل ·

— تنتظر أحدا ؟

أشار اسماعيل الى المنازل المغلقة :

— كما ترى ·

توحد الرجل مع سيجارته للحظات ثم قال :

— حضرت من المطار الى بيته فلم أجده ·

— تعرف أحدا هنا ؟

قال اسماعيل ذلك وهو يفكر أن هذا الرجل قد يكون منقذه ·

— صاحب العمل · أعطانى عنوانه حين كان بالقاهرة ·

— اذن عرفت تصل الى البيت ؟!

— طبعا · أعطيت السائق العنوان فأنزلنى أمام الباب ·

أشعل اسماعيل سيجارة بدوره ، وابتسم · مر وقت طويل تعرف فيه كل منهما على الآخر · وجد اسماعيل نفسه فى وضع أفضل · فالرجل جاء يعمل « جاينى » فى مزرعة صغيرة براتب ألف ريال بينما جاء هو ليعمل كاتبا على الآلة الكاتبة براتب ألف وخمسمائة ريال، ويستطيع أن يجعلها ألفين بالعمل الاضافى كما أخبره صديقه · الرجل فى الخمسين من عمره أو يزيد وهو فى الثلاثين · للرجل ولدان صغيران وخمس بنات فى سن الزواج وليس لدى اسماعيل أعباء الا نفسه · يستطيع بعد عام أن يخطب «نجوى» · وبعد عام أن يحجز شقة · وبعد عام يتزوج ويحضر « نجوى » معه بعد العام الأول فقط · كثيرون يسافرون وتلحق بهم زوجاتهم · وزوجات يسافرن ويلحق بهن أزواجهن أيضا ، كثيرون يتزوجون فى المطارات ، والطائرات تحمل العرائس دائما · وحين عرف الرجل منه قصته مع السائق قال انه فى كل بلد أخيار وأشرار ، ونهض وحمل الصرة الضخمة على كتفه وانصرف بخطى واسعة ·

كان اسماعيل قد قرر أن يصحب الرجل ليعرف من صاحب العمل كيف يصل الى العنوان الذى يحمله ، لكنه تابع الرجل بعينيه حتى رآه يختفى فى شارع جانبى · كان الظل قد زحف كثيرا الى الأمام · أخرج اسماعيل قطعة «الكيك» التى تبقت من وجبة الطائرة · لقد احتفظ بها بطريقة تلفت النظر حين رأى رجلا يخرج من أحد البيوت ويفتح باب سيارته فكر أن ينهض ليسأله · لكنه رأى عددا من النساء المحجبات والأطفال يخرجون خلف الرجل ويركبون السيارة من كل جانب حتى بدا كأن لها عشرة أبواب · تخاذل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وابتلع آخر جزء من قطعة الكيك ، لكنه فوجىء بالرجل المصرى يعود مضطربا ·

ـ الصرة ؟

ـ صرة ·· صرة ايه ؟!

ـ الصرة التى كانت معى والتى كنت أجلس عليها هنا بجوارك ·

وقف اسماعيل مندهشا وتلفت حوله :

ـ لقد حملتها على كتفك ومشيت ·

ـ لم أجدها معى · وصلت الى الباب وخرج صاحب العمل فلم أجدها معى ·

ـ لابد أنك تركتها فى مكان آخر · (وتلفت حائرا) ثم انها ليست ابرة لتختفى ·

دار الرجل حول نفسه ، ولطم خديه بصورة مفاجئة ومخيفة ·

ـ أنا لم أجلس فى مكان آخر · فى الصرة هدومى وأكلى ومحفظتى وجواز السفر ··

وبدا أن الرجل لن يتوقف عن الصراخ ، وتقلص وجهه بشكل غريب فحاول اسماعيل تهدئته ·

ـ طيب · طيب · تعال · سأبحث معك · صرة كهذه لا تختفى ·

وأخذ الرجل من ذراعه ومشيا ·

ـ أنا لم أبتعد هكذا ·

قال الرجل منزعجا ، فقال اسماعيل :

ـ لكنا لم نجدها · لابد أنك ابتعدت اكثر ·

ـ لا ·

قال الرجل يائسا ، ووقف متحيرا يزوغ بصره فى السماء العالية اللامعة والممتدة فى ارتياح رحب لا يعرف أحد كيف فكر الرجل وهو يرى السماء صافية الزرقة بشكل رائع · لكنه على كل حال ظنها بيضاء ·

ـ هل تعرف بيت صاحب العمل · لابد أنك وضعتها جوار الجدار قبل أن تدق الجرس · أليس للبيت جرس ؟

قال اسماعيل مغتبطا بهذه الفكرة التى قفزت الى رأسه لكنه للحظة فكر أن الرجل لم يخبره باسمه ··

ـ لم أدق الجرس · وصلت الى الباب فانفتح وحده · كان صاحب العمل فيما بدا خارجا ·

ـ طيب · طيب · نعود الى بيت صاحب العمل · سنجدها جواره · صدقنى ·· أظن أننا أتينا من هذا الشارع ·

ـ ٣ ـ

عادا · فى الحقيقة أنهما قصدا فى البداية الوصول الى بيت صاحب العمل · لكن الاندفاع فى البحث جعلهما يدخلان في كل شارع يقابلهما · ارتفعت بهما الأرض أكثر من مرة وانخفضت · وجدا شوارع مسفلتة · شوارع ماتزال مفروشة بالحجارة البيضاء · وشوارع من رمال ·

ـ ألا تذكر أى علامة فى الشارع الذى به البيت ؟

ـ لا ·

قال الرجل الذى بدا وقد سيطر عليه هلع دائم ، فقال اسماعيل بايقاع رتيب :

ـ طيب · شكل البيت · أصفر أحمر · عالى · واطى ؟

ـ يشبه هذا ·

أشار الرجل الى بيت مواجه رآه اسماعيل يشبه الذى يجاوره والذى يقابله ويشبه أكثر من بيت ·

فكر اسماعيل قليلا وقال :

ـ اعطنى العنوان الذى معك · ندق أى باب ونسأل ·

فتش الرجل جيوبه وأخرج بطاناتها المتسخة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتدلت على الجاكت والسروال · بدا مثل بلياتشو وصرخ :

ـ نسيت الورقة مع السائق ·

ولطم خديه من جديد فأمسك اسماعيل بيديه · ولأن الفضاء صار أقل اتساعا أدرك اسماعيل أن النهار يمضى ·

ـ أرجوك أن تهدأ · نستطيع أن نجد الصرة لو ساعدتنى ·

ـ هذا هو الشارع ·

هتف الرجل مشيرا بذراعه ·

لكن اسماعيل الذى أصبح خائفا قال :

ـ كيف عرفته · ؟

ـ على ناصيته بيت مهدم ·

رأى اسماعيل بيتا مهدما بعيدا الى الامام حقا · لكنه صار متعبا ·· لابد أنهما مشيا كثيرا · أسرع والرجل خلفه · عند البيت المهدم توقفا :

ـ انظر جيدا · تحقق من البيت · حاول أن تتذكر أى شىء ·

وبينما وقف الرجل الهلع يحملق فى الشارع التفت اسماعيل الى الناحية الأخرى فوجد بيتا مهدما على أول الشارع المقابل أيضا ·

ـ بوابة البيت حديدية · لقد تذكرت ·

هتف الرجل فلم يشأ اسماعيل أن يخبره بالشارع الثانى · قرر أن يقطع معه الشارعين صامتا ·

مشيا فى الشارع الأول ينظران · كانت البوابات كلها حديدية · وقف الرجل يصرخ من جديد ·

ـ لابد أن نعود الى حيث كنا نجلس · ربما انتقلت أنت من مكانك · لقد تركتها جوارك · لقد تركتها جوارك ·

ـ هناك شارع ثان به بيت مهدم ·

قال اسماعيل يائسا من الرجل ومما يحدث له اليوم · تبعه الرجل الذى صار يلهث · لم يكن فى الشارع الثانى بوابة من أى نوع · البيوت كلها محاطة بأسوار · فى كل سور فتحة بلا بوابة بينما يقع باب البيت نفسه بعيدا من الداخل حيث يفصل البيت عن السور مساحة من النجيل أو الزلط أو الرمل · فجأة اندفعت من أحد البيوت مجموعة من الماعز والأغنام وراحت تجرى بالطول والعرض وتتقافز وتتأمىء · اختلطت بهما واصطدمت بسيقانهما وتعثر الرجل فى معزة صغيرة بيضاء وكاد يقع لولا أن سنده اسماعيل الذى كان يشم رائحة كثيفة لم يميز اذا كانت من الماعز أم من الرجل · ظهر رجل طويل رفيع كعامود يمسك بيده خيزرانة · نظر اليهما وابتسم ثم راح يجرى خلف الماعز والأغنام التى جرت أمامه وقفزت الصغيرة منها فوق السيارات المركونة جوار الجدران ·

فكر اسماعيل أن يهرب · لكنه وقد رأى الرجل يغمض عينيه ويشرع فى البكاء صار الفضاء أكثر ضيقا · كاد يسأل الرجل اذا كان يعرف لون أو ماركة سيارة صاحب العمل التى لابد أنه رآها أمام البيت لكنه تراجع · اختلاف أشكال السيارات وكثرة ألوانها وأعدادها الهائلة تجعلها متشابهة ! ·

فى حالة من اليأس التام تملك اسماعيل يقين عجيب بأنهما سيجدان « الصرة » لو مشيا كيفما اتفق · تحرك اسماعيل جارا قدميه بينما استند الرجل على ذراعه · عند نهاية أحد الشوارع ظهر الشارع الواسع الذى ترمح فيه السيارات · هبت نسمة هواء طرية لم تخل من سخونة · دخل الليل والا ما اضيئت المصابيح على الجانبين ، ولا تسابقت أنوار السيارات صاعدة هابطة فى الاتجاهين · كانت المبانى كما هى صامتة · والسيارات كما هى راضخة · فكر اسماعيل أنه لو مشى على استقامة هذا الشارع لابد سيجد محلا به تليفون يتصل منه بصاحبه ليجد لهما مخرجا · لكنه على نحو مباغت أدرك أنه وضع الأجندة التى بها عنوان صاحبه وتليفونه فى حقيبته الصغيرة ، وأنه حين قام يبحث مع الرجل عن الصرة ترك حقيبته على الأرض · ابتعد عن الرجل متداعيا واستند الى الجدار القريب ، لم يعد قادرا على أن يتذكر رقم تليفون صاحبه · تذكر جيدا أنه رأى هذا الرجل قادما معه من القاهرة على نفس الطائرة ·

القاهرة ـ ابراهيم عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حبّ عرضه السّموات والأرض

مجاهد عبد المنعم مجاهد

جنة عَدْنٍ وسط جحيم الأحزان
يخضرُّ زماني بوجودِكْ
فأُلُفُّ عليكِ أنا عُودِى حتى أكتسبَ
الخضرة من عُودِكْ
شِبنا فى الزمنِ قليلاً لكنْ مازلْنا عُشاقا
الزمن يهزُّ لنا شجر العمر يُنفِّضُ عنَّا
أوراقا
فعَلى بعض خفْنا فتَدَاخلْنا رُوحًا
وعناقا
منْ زمنى اختبىء أنا كالخمرَة فى
عنقُودِكْ
فِي عصر النفطِّ لقد عطرتُ أنا زمَنى
من وردِ خدُودِكْ
ولكى لايخطفنِى زمنِى أنْتِ تَمنْطقْتِ
علىَّ وراءَ نُهُودِك
بل إنَّك فى الزمن الوغْد لقد خفْت
علىَّ تكحلْت علىَّ فلنْ يقدرَ أن يأخُذَنِي أحدٌ
حتى لو سرَقُوا كُحلَ عيُونكْ
فى الزمن الوعرِ لقَد خفت علىَّ بَنَيْتِ
لروُحى بيتًا فى بالك .. بل خبَّأت البيتَ
فلاتعرفُهُ حتَّى خطراتُ ظُنُونكْ
فى الزمنِ الليلىِّ أنَا أختبىءُ وراءَ سنَابل
شَعرِكِ
أبقى مُختبئًا حتَّى ينْحسرَ اللَّيل
ولهذا فى الزمنِ الصعبِ احتْجنَا بعضا
فَتلاصقْنا حتَّى لنْ يعرفَ مَخْلوقٌ كيفَ
يُفَرِّق مابين حدُودِى وحدُودِكْ
عَمُودُ الشمسِ انْكسَرَ فمالَ الظِّلُّ
مات الشَّىء الأَخْضَرُ وانتحرَ الفُلُّ
وَغرِيبٌ منْ حيثُ أرادَ الزمنُ موتَ
الحبِّ نَما وتجاوَزَ أرضَ وجُودى ووجُودكْ!!

القاهرة ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنويعات على الزمن المتغير

جهاد عبد الجبار الكبيسي

عبثا يحاول تخليص نفسه ، وحيـــدا تركوه يواجه قدره · تبرق من خلال الأغصان الشائكة المتشابكة عينان تلتمعان · تتقبض الأشواك ، تفرز أنيابا تحت العينين ، تتقبض الأشواك يتبدى رأس ، تتقبض الأشواك ، يطلع صدر · تنقبض وتتقبض وتتقبض ، ينزلق من رحم الأشـــواك المظلمة ذئب · يكشر عن أنيابه · يزوم · يتقدم نحوه · يحاول الفتى النهوض لملاقاته · تكون قدماه مقيدتين · يقترب الذئب أكثر · يحاول الفتى الصراخ · يستغيث بقومه · يوحون اليه أن الذى يراه مجرد وهم ، ومحض تخيلات ·

حقيقة كالحلم ، أو حلم كالحقيقة ، ذلك الذى جرى · قبل أن يتحركوا فى رحلتهم الزمنية ·· قالوا يا أبانا : مالك لا تأمنا على يوسف ، وانا له لناصحون ، أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ، وانا له لحافظون » ·· وافقهم على مضض · ومضوا به وسط الأحراش يتوغلون · بجعابهم متاع ، زاد للطريق ، وأيضا سلاح ، لمواجهة الوحوش ·

يخترقون الدغل ، يحاذون التماسيح · يمرون بالسباع · يتحادثون · يتراكضون · يتقاذفون الثمار · يضـــحكون · يجتمعون ويتفرقون · يتفرقون ويجتمعون · يتباعدون أحيانا · ويعودون يتقاربون · يتشاغل كل منهم بهم ، يطارد غزالا · يعابث قردا · يتصيد طيرا · يقتطف ثمرا · يأنس الفتى لحيوانات الأحراش الأليفة · يكره الضوارى منها · يستقبح شكل القرد · تنقبض نفسه ، ويضيق به حين يفطن الى انه قد يشغلهم عن ضرورة احتراسهم من كواسر الحيـوانات ووحوش الأحراش · من سهل الى وعر ، ومن يسر الى عسر · كأن بهم يمضى الزمن الغافل ·

يهاجم الذئب الفتى · بمخالبه يبقر بطنه · يتلوى الأخير وجعا · يستنجد بقومه · يردون :

ـ الزم السكون ، حركتك تثير شراسة الذئب ·

حين بدأوا رحلتهم ، كان اجماعهم على أن الغنيمة للكل · وأن المصـاب فى الجميع · ولما طرحت مخاوف الأب و·· قال : « انى ليحزننى أن تذهبوا به ، وأخاف أن يأكله الذئب ، وأنتم عنه غافلون » ·· قالوا : حماية الكل للواحد أمانة بأعناق الجميع · وأنى لعدو أن ينال من أخينا ، ونحن عصبة ·

يتحول الذئب الى فخذ الفتى ينهش لحمه ، يستغيث بقومه ، يجيبونه :

ـ أطمئن · فقد اجتمعنا لنتشاور فيما يمكن فعله ·

متفردا برؤيته هو عنهم · أكثر تحليقا كان منهم · فكر أن يلقى بأسلحته ، تخففا من عبئها · ليجـــوب الأحراش والأدغال · كالطـير بالحب والغناء · اعترضوا حذروه ، وأوصوه أن القوة شريعة الغاب · وأن الوحوش لا تفهم غـــير لغة الحراب · لتتغذى وتعيش لابد لها أن تقتل · ذلك هو القانون الذى يحكم حيواناتها المفترسة · لأجل هذا تكون البندقية هى المعادل الآمن لضمان حياة المرء · حاورهم بمنطق طفل برىء : لا أريد معاداة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحد · أجابوه : لكنهم سيعادونك · قال : فلتكن سياحتى بين الطيور والغزلان · ردوا عليه : لكن الذئاب لن تتركك وشأنك · تساءل : لماذا لا يعيش الانسان انسانا فى كل مكان · قالوا وقالوا وقالوا · تحدثوا وأفاضوا ، عن الأحراش والذئاب ، عن الموت والحياة ، عن البندقية والأمان · أنعطفوا الى التاريخ ، اهتبلوا من خزين الشعر ودلقوا · قالوا عن مجد قومهم والمثل · وعما فعله الأول · تحدثوا عن الحمية والثأر ، وعن الكر والفر · وعن السيف والحرب · وعن الشرف الرفيع الذى لا يسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم · انتزع أحدهم عقاله عن رأسه ولوح به مفاخرا :

اذا استل منا سيد غرب سيفه
تفزعت الأفلاك والتفت الدهر

تبارى القوم فى أشعارهم ، تغنوا بالبطولة ومجدهم · فرح الفتى بحميتهم ، اطمأن لعصبيتهم شعر أنه بهم أقوى الأقوياء · وأن أشد الوحوش ضراوة لن يجرؤ على الاقتراب منه ·

يصعد الذئب الى صدره · ينشب مخالبه فيه ، يمزق عضلاته ، يستصرخ الفتى قومه يردون :

ـ قاوم · فقد أعلنا لساكنى الأحراش وحيواناتها عن وحشية اعتداء الذئب عليك ·

حين توغلوا فى الزمن الحارق ، وراحت سهام الشمس تخترق رأسه · نشر القوم مظلة فوق رأسه ، وقالوا له : الحر شديد ، وثقل البندقية يزيدك رهقا · أزحها نحملها عنك · نظر اليهم ، تردد · همس فى نفسه : ولكن ·· عالجوا تخوفه · صدقهم ، واعطاهم بندقيته ·

لما توغلوا فى الزمن المعتم ، وراحت أذيال الظلام تتساقط حول عينيه ، عاودوا نشر المظلة فوق رأسه ، وقالوا له : طلق النار يهيج الوحوش من حولك ، أعطنا مسدسك نحتفظ به لك · نظر اليهم ، تردد · همس لهم : ولكن ·· بددوا توجسه · صدقهم ، أعطاهم مسدسه ·

لا يشبع الذئب ، يلتفت الى ما تبقى من جسد الفتى · ما تزال الذراعان سالمتين · يشرع بالتهامهما · يصرخ الفتى فى قومه · يجيبونه :

ـ لا عليك ان مت · ستكون أسطورة نفاخر بها بين العالم ، وأنت تواجه الذئب وحدك ·

حين توغلوا فى الزمن التائه ، وصارت معالم الأشياء بلا وجه ولا حقيقة ·· أعادوا نشر المظلة على رأسه ، وقالوا له : لمعان نصل الخنجر يدل الأعداء على مكانك · رده الينا نخبئه فى متاعنا لك · نظر اليهم · تشكك فيهم ، لم يصدقهم · ساورته ريبة فى نواياهم · رفض · ألحوا · قاوم تدابروا · تمسك بآخر ما عنده · انتزعوا الخنجر منه عنوة · جردوه من كل أسلحته · ذكروه بوصايتهم عليه · تساءل : والذئب ؟ ·· قالوا : « لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذن لخاسرون ··

تخور قواه · لا تعود به قدرة على الحركة أو النطق · يواصل الذئب افتراسه · يهمس الفتى بيأس · يجيبه قومه من غير أن يسمعوه :

ـ دمك لن يضيع سدى · ستتصدر صحفنا بالخط العريض · سنطبع صورتك على كل الملصقات · وسنصدر طوابع تذكارية بمأساتك ·

مشوا ومعهم مشى · لا سلاح معه ولا طعام · مكرها كان · لم يكن هناك بديل · كانوا يأكلون ، ويتحدثون عن الثروة المنتظرة فى الأحراش ، عن كنز الذهب المدفون ، عن بئر البترول المطمور ، عن أنياب الفيل العاجية ، عن فراء النمر الأرقط ، وعن ، وعن ، وعن ·

يتبعهم كان : كسرات خبز يابس يقضمها · على دفعها يعاون بازدراد الخيبة « ما ذلك الذى اتفقنا عليه ، ولا العهد الذى تعاهدناه · اختزنتم زادى · جردتمونى من أسلحتى · نشرتم فوقى مظلة قاتمة · ما سألتمونى فيها رأيا » ·

فى داخل حفرة مغطاة بأعشاب خضراء زاهية سقط · شرك نصبه آكلو لحوم البشر · لما حاول النهوض أحس بقيد الفخ المطبق على قدميه ، يعتصرهما ، فيصفده سجين الشرك ·

يصرخ مستنجدا بقومه · يطلب اليهم اغاثته · لا يسمعون صرخته ، يسمع صيحاتهم الفرحة منتشية بما لقوه · كنز الذهب · بئر البترول · الناب العاجى · فراء النمر الأرقط ، ينشغل ، ويتشاغل كل بما عنده ·

حين تتحول أشلاء الفتى مزقا مبعثرة ، ولا تعود فيه بقايا رمق ، يتناهى الى سمعه أصوات قومه ، وكأنها تأتى من مكبرات صوت ، تردد جنبات الأحراش أصداءها :

ـ نعلن للعالم شجبنا وبشدة لاعتداءات الذئب ونطالب الضمير العالمى بالوقوف الى جانب القتيل ، كما نؤكد على ضرورة توجيه تحذير للذئب من قبل السبع ، محذرا اياه ، من معاودة قتل القتيل ·

جسد الفتى نتف متناثرة مختلطة بالدم · قلبه المطعون ينزوى بعيدا ينزف مع دفقات الدم حزنه الآسى · قومه المجتمعون يتفيأون ظلال شجرة وارفة · يقشرون أصابع الموز ، يشربون ماء جوز الهند · يتدابرون أمر قتيلهم · وكيف سيواجهون أهاليهم · يتفقون على صيغة واحدة : « انا ذهبنا نستبق ، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب » ··

واحدهم منشغل بالحديث الى صحبه ، يمد يده عن يمينه · يتناول جوزة هند · يقبض بأصابعه على ليفها · يحاول جزه · يسمع آهة متوجعة · يكون الذى بين أصابعه شعر رأس القتيل · يفزع ، يقذف به بعيدا · يصطدم الرأس بحجر · يتأوه متوجعا · تختلج الأجفان · ترنو العينان بنظرات عاتبة الى وجوه قومه · يتحرك اللسان فيه · يهم بلعنهم · يتوقف · يتذكر ، لابد من الابقاء على صلة الرحم بينهم · علهم يدفنون جثته · ذلك كل ما بقى له فيهم من أمل ·

يقفز القرد الذى ألهاهم بقذف الثمار من شجرة الى أخرى · يختار الشجرة التى يجلس القوم أسفل جذعها متحلقين · يتسلق أحد أغصانها ، يمسكه بأصابعه · يتعلق به · يدلى جسده منه · عيون القوم تلاحقه بنظراتها ، فرحة أمله فى مزيد من اسقاط الثمر · يفرج ساقيه وهو ما يزال يتأرجح · يبول على رؤوسهم ، فى أعينهم ·

جهاد عبد الجبار الكبيسى ـ العراق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيف والظل

□ عبد الله السيد شرف

أتأرجح بين السيفين ..
قواما مرتجفا . . .
يقترب السيف الثالث من عينيَّ ..
تذوب الأرقامُ ..
الخامسة .. الثامنة العاشرة .. الألف ..
أميل فلا يهتز الظل .. وأهبط ..
لايهتز .. وأصعد لايهتز ..
تسمّر ظلى فوق الحائط ..
ينغرس السيف بظهرى أصبح شبحا
يتأرجح ..
ويحملق فىّ الظل بعينين كمثل القبر ..
يسائلنى .. ماذا أعددت ؟ ! ..
حفنة أيام .. وفراغا يأكل أوقاتى ..

* * *

خادعنى الحرفْ ..
أنظر فِي كفىَّ .. وفى ذاكرتِي ..
لا أبصر إلا أوراقا متناثرة ! ...
وهزيع أغان .. وقصائد شعر
تعلكنى . فأدور ..
محصّلتى عدم ..
فانثرنى ياسيفى فى وجه الريح ..
وبعثرنى فى وجه الشمس ..
ولكن.. لاتتركنى رهوا فى وجه الموت !

* * *

كان السيفان إذا ماالتحما يحتضنان ..
ويفترقانِ ..
تعود الدورة للميلاد . فأطحن بين
الحدينِ ..
تسيل دمائى .. أرقد منتشيا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحلم بلقاء المحبوبة ..
ألقى بين يديها أشواق القلبِ ..
نسلُّ الحبَّ دقائق وجد من بين براثن
قوقعة الزمن المجنونِ ..
تذوب الدنيا بين يدينا ..
ونقطّع عشقا .. أوردة الوقت .

* * *

حين أراهـــا ..
أقترب فتدنو ..
أدنو .. تقترب فيلتصق القلبان ..
وأبصر في عينيها آثار السيف بوجهي
فتفـــرُّ ..
أنكّس رأسي ..
أسقط مطحونا أنبش بالأظفار ..
فرائحتك ياسيدتي مازالت في ذاكرتي ..
أتساءل ..
من منّا أرغم قلبينا أن يفترقا ؟ ..
السيفان .. ترى .. أم أنت ! ؟ ..

* * *

حين يقبِّل حد الأول نصل الثاني أصرخ ..
أضناني سيري فوق الشوك..
ويرتفع السيف ويهـوى ..
يسقط رأسي ..
يصبح قعبا بين الأيدي ..
في ساحات الفعل الماضي ..
يضحك ظلي ..
يفتح نافذة ويطيرُ ..
فأبصر جسمي يتأرجح بين السيفين ..
فأسقط زفراتٍ ..
زفراتٍ .. في وجه الصمت !

عبد الله السيد شرف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحصار فى صندوق مغلق

■ رمسيس لبيب

فاضت أنهار الدفء بصدرى فأعدت قراءة القصيدة ، رايت الهواء الاسن فى قاع الصمت يرتجف ، يجن ، يتحول الى ريح ملتسحه ، عاصفة ، والأمواج الرادعه تصطخب وتتحدى الشواطىء ، وسيوف البرق تضوى وتطعن الظلمه ، أطلقت قلبى فى البروق والرعود ، رقصت مع الرجال والنساء فى المطر ، وأسرعت عاريا الى الشمس فى مهرجان الشفق ، وانتبهت على السقف والجدران الأربعة فخلعت منامتى الرمادية القديمة واندفعت الى الطريق .

وعند باب البيت عانقتنى الأنسام الحانية فابتسمت لها ، ملأت بها صدرى ، رفوت الى السماء فألفيتها بلا نهاية ، ونجوم لا حصر لها تخفق وتلمع ، والقمر يضحك وبريق ضوئه الناعم على البيوت والطريق ، وددت أن أخلع ملابسى وأستحم بضوء القمر ، أن أمد يدى لأداعب النجوم ، وانسابت على شفتى أغنية خضراء حفظتها فى أيام صباى ، ولاح وجه صبيتى أسمر ، نقيا ، ضاحكا ففاض قلبى بالحنين ، نويت أن أذهب اليها وأعتذر لها عن السخافات التى ارتكبناها معا ، وأن أدعوها الى الخلاء الرحب خارج المدينة .

وقفزت الى الطريق ، استشعرت شيئا ينتصب الى جوار البيت فتوقفت ، حدقت فيه ، واجهنى رجل فارع القامة ممتلىء بوجه فحمى وصلعة نحاسية لامعة ، بدا سواد عينيه صلبا منطفئا فى بياض ثلجى متسع ، وبدت شفتاه كبيرتين داميتين وتوهج فى رقبته الغليظة السوداء سلخ كبير دام . ابتسمت له :

ـ سعدت مساء يا أخى .

فبدا وجهه مغلقا

ـ الليلة يحلو الحب .

وحدق الى بثلج عينيه فلوحت له بيدى ومضيت فى الطريق .

وضحكت المصابيح على جانبى الشارع ورقصت الأنسام فى فرح فانطلقت رفيق الخطو أحضن خفق قلبى وأعانق بعينى النجوم

لمحت شابين مقبلين بخطو لاهث يخافتان صوتيهما وعيونهما مشدودة الى ظلين قائمين ، لوحت لهما فلم يتلفتا الى ، هممت بأن أقترب منهما وأشير الى النجوم البعيدة فأسرعا بخطوهما المحموم .

وأقبل صبى صغير يتقافز ويحجل ويبتسم لنفسه ، ابتسمت له فتوقف وتطلع الى بعينين نقيتين وبسمة مغتسلة ، خطر لى أن بسمتى كانت كبسمته وأن عينى كانتا فى صفاء عينيه وأنا صبى تمنيت أن يكون لى من حبيبتى ابن مثله ، داعبت شعره الحريرى بأناملى فتفتحت بسمته ، تذكرت أن فى جيب سترتى صورة ملونة لقطة فى فراش دافىء فأخرجتها وقدمتها اليه ، ضحكت عيناه ورقصت غمازتاه ، وأشار الى القطة باصبعه الصغير وأغرق فى الضحك ، ملت عليه أقبله فأطلق صرخة مفزعة وجحظت عيناه فى رعب ، وسرعان ما أفلت الصورة وانفلت هاربا واجهنى الوجه الفحمى والعينان الثلجيتان والرقبة المسلوخة ، نظرت الى الرجل فى عتاب ، وأشرت الى الصبى الهارب :

ـ الصبى خاف منك .

فحدق بياض عينيه فى . دفعته بيدى ضاحكا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ألا تضحك ؟ ٠٠ ألا تبتسم ؟

وظل كتلة سوداء خرساء قلت لاشك أنه أصم أو أبله ، وتركته ومضيت فى الطريق ٠

تناهى الى دبيب قدميه ، رأيته يتعقبنى عن قرب ، انعطفت فى طريق آخر كى أنطلق وحدى، سمعت دبيب قدميه فاستدرت اليه ، وجدتنى أقف على ظله الكبير الداكن ، اقتربت منه وسألته باسما :

ـ من أنت ؟

فحدق الى فى سكون ٠

ـ لماذا تتعقبنى ؟

واتسع بياض عينيه ٠

ـ أتريد شيئا منى ؟

وظل وجهه الأسود أخرس ٠

استفزنى صمته وتحديقه فى وجهى ، هممت بأن أدفعه بيدى لعله يتحرك أو يبتعد لكننى تمالكت نفسى ، حاولت أن أتذكر اذا كنت رأيته من قبل ورفت سحابة رمادية فى سماء أنهارى فانتزعت نفسى من ظله وانفلت فى الطريق الى الحبيبة ٠

ولاح البيت الأبيض الصغير الأنيق فى نهاية الشارع ، لمحت حبيبتى فى نافذتها المضاءة فرقصت خفقات قلبى وأسرعت خطاى ، فرحت عينا حبيبتى وتفتحت شفتاها عن بسمة ندية ، ولم أجد أحدا فى الطريق فاقتربت من النافذة :

ـ سعدت مساء يا حبيبتى

بدت حلوة ورقيقة ، وددت أن أضمها فى القلب وأنطلق بها الى الفضاء الرحب خارج المدينة ، وهمست لها :

ـ أنا آسف ٠

ـ وأنا آسفة يا حبيبى ٠

وأختلجت بسمتها ، وهمست فى حياء :

ـ أدخل ٠٠٠ لا أحد فى البيت

ودخلت الحجرة الزرقاء المضيئة ، عانقت كفيها بكفى وسبحت فى بحار عينيها ، وتخلقت فى موجات الدفء كلمات لم تنطق أبدا ، وأجلستها الى جانبى ، ووسدت رأسى صدرها ، وفجأة أيقظتنى صرخة مرعوبة وأجفلت حبيبتى مبتعدة التفت الى النافذة فواجهنى الوجه الأسود ينظر فى برود صفيق ، اندفعت اليه وصفعت وجهه بمصراعى النافذة ، وأحكمت الرتاج، وعدت الى حبيبتى فألفيتها مصلوبة على الجدار ترتجف وعيناها جاحظتان بالرعب ابتسمت لها وقربتها الى فنظرت فى خوف الى النافذة ولاذت بصدرى ، وهمست بصوت مرتعش خافت :

ـ رأيته بالأمس ، كنت فى الطريق الى بيتك وتعقبنى من شارع الى شارع فخفت منه وعدت الى البيت ٠

ضحكت من عينيها القلقتين :

ـ تعقبنى أنا الآخر ٠٠٠ يبدو أنه أبله ٠٠ لا تهتمى به ٠

وأجلستها الى جوارى ، ومددت يدى الى مذياع صغير فانسابت موسيقى راقصة ، أخذت أداعبها وأحدثها عن الأشعار التى قرأتها وأنهار الدفء وطلبت منها أن ننطلق الى خارج المدينة فأشاحت بوجهها وقالت فى جفاء :

ـ لا أريد ٠٠ لماذا تأخرت فى الاعتذار الى ؟

قلت مداعبا :

ـ لننس الأشياء الصغيرة !

ـ أنت لا تراعى مشاعرى ٠

لم يكن صوتها عذبا ورقيقا كما كان دوما بدت ملامحها متوترة ، تبين لى أن أنفها الكبير لا يلائم وجهها ، تساءلت كيف لم أكتشف ذلك من قبل ٠

دائما تهرب فى الصمت عندما تحاصر ٠

ونظرت فى عينيهـــا ، بحثت عن البحار التى سافرت فيها كثيرا ·

ـ أنا لا أهرب فى الصمت ·

ـ أنت لا تحبنى ·

ـ أنت أحب كائن الى نفسى ·

ومددت يدى اليها فابتعدت فتكاثف الضباب فى سماء أنهارى ، وكفت الأنهار عن الفيضان ، وقالت فى حدة :

ـ أوشك والدى أن يعود ·

فاجأتنى مهـانة الطرد ، تأملتهـا ، لم تكن حبيبتى التى حلمت بها طويـــلا ، همت كلمات جـارحة أن تفلت من شـــفتى فتمالكت نفسى وغادرت البيت دون كلمة ·

بدا الطريق طويلا وضيقا يختنق قرب النهاية، جفت أنهار الدفء ورزح الضباب على صـــدرى تمثل لى الوجه الفحمى فتمنيت لو أراه حتى أكتم أنفاســـه ، لم أدر أين أذهب ، تثاقلت خطاى وتلكأت ، وابتلعنى شـــارع مقســـع يزدحم بالأضواء والصخب ، ضقت بالضجيج والزحام ، اردت أن أنفرد بنفسى ، خطـر لى أن أذهب الى الخـلاء البعيد لكننى ألفيت رغبتى فاترة فقررت أن أعود الى البيت ·

مضيت فى طـريق خال ترف فيه العتمـــة والظلال ، وحانت منى التفاتة فرأيته يقف فى عرض الطريق ، انتفضـــت كل ذرة فى كيانى وغلت الدماء فى عروقى ، أسرعت اليه ، سألقنه درسا لن ينساه ، سأجعله يكف عن تعقب الناس بدت قامته تســـد الطريق وظله يمتد أمامه كبيرا وقاتما ، أخذت قامته تستطيل كلما اقترب منه ، توهج السلخ الدامى فى العتمة ، ما شـــأن هذا الرجل بى ؟ ··· لا يمكن أن يكون أبله أو أصم ، من بعث به ليتعقبنى ؟ ··· هل يمكن أن أقاتله أنا الذى لم أقاتل انســانا قط ؟

تلفت فى الطريق ، ألفيته خاليا تماما · البيوت تنتصب على جانبيه كجدران شاهقة ، السـماء الضبابية لا تكاد تبين المصـــابيح الصـــغيرة توشك أن تختنق ، والصـــمت مطبق موحش ، والتمع ثلج عينيه ، وزاد توهج السلخ فى رقبته، وبدا هادئا وراسخا ، أحسست بأننى ضـــئيل ووحيد أمام قامته العمـــلاقة ، ارتعش قلبى ، تسارعت دقاته ، وتباطأت خطاى ، واستدرت وأسرعت مبتعدا عنه ·

تناهى الى خطوه مكتومـــا وعنيدا لا يرد ، الأبواب والنوافذ موصدة الا نوافذ قليلة متباعدة لا يطل منها أحد ، صدى خطواته يرجف صمت الطريق الخالى ، أوشكت أن أعدو ، تمالكت نفسى ، وضاعفت من سرعتى ، قدماه تصـفعان الطريق بسرعة ، انعطفت فى أول شارع صادفنى وانفلت أعدو ، ملت الى شـــارع آخر ، امتد الشـــارع بلا نهاية وأنا لا أبصر شيئا ، خطر لى أننى أخطأت، بالعـدو أمامه ، كان ينبغى أن أتماســـك ، أن أتجاهله وأمضى فى هدوء الى بيتى ، حاولت أن ألجم خطاى فاندفعت ساقاى بلا ارادة ، خيل لى أننى أفلت من مطـــاردته ، وانعطفت فى طريق ضيقة وأخذت أجرى ، وفجأة تقهقرت أمام جدار بيت ، كان الطريق مسدودا ، وارتميت على الحائط منهوكا لاهثا مغمض العينين ، أحسست ســاقى تتراخيان ، أوشكت أن أسقط فتماسكت واحتميت بالحائط سالت قطرات العرق المالح في فمى، حاولت أن أتمالك أنفاسى اللاهثة وأن أهدىء وجيب قلبى· فتحت عينى فوجدته يقف عند الناحية القريبة تحت مصـــباح الطريق الشـــاحب مديدا ممتلئا وأمامه تمتد أرض خراب ، حدق الى فى ثبـات كقدر عات لا يرد ، غلى الحقد فى صدرى ، لا مفر ، لابد أن أشتبك معه ، لابد أن أقاتله ، وشددت أعصابى ، واســتجمعت بقية قواى وضـــممت قبضتى ، واندفعت اليه ·

القاهرة : رمسيس لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيناريو الحفل الأخير

□ حسين علي محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجهُك يبسمُ لى ، يضحكُ ، ويشعُّ (وادى) ـ أظمأُ للحبِّ ، فأين مياهُك
بضوء الحبِّ الأخضر ، نقترب من الساحة ، يانهرى ؟
نترقرقُ ، وندخلُ تلكَ القاعة ، ارتجف من (أصل إليك ، ، وأنتظرك شمساً)
البرد ، الضوء الساطعُ يأتى من كلِّ جهتِ قالوا : تهذى
المسرح ، أقفُ أمامَ الميكروفون ، سيوف قلت : سيوفٌ فوقَ الرقبةِ
فوقَ الرقبةِ (أينَ المهربُ ؟) أصرخُ ، قالوا : قاتل ، ناضل
تهتزُّ الحلبةُ ، يرتجف الناس ، وينفصلُ قلت : فإنى أخشى أن أروى من نهر يلتمّ
الكفُّ عن المقبض ، ورقابُ الصحب فيه الماءُ
أراها تجأرُ قدامى بلصوتِ الهادرِ :قل ، فقلوا : تبعثُ ثانيةً لو متَّ
أتحفنا بالشعر ـ أنا ؟ لا أقدرُ ، هذا زمنُ فقلتُ : وإنِّى ما زلتُ أعانى من موتى
البتر ! الأوَّل
(وقلبى فوقَ الكف ، وأهتفُ من أعماق قالوا : غَنِّ

(انطلقت أحزانى شلالا ، واختلطت كلماتى ، أهتف) : أيتها الريحُ الليليةُ عودى كى أدخل ، أعتمرُ بدارك .

قالوا : الظلمةُ كابيةٌ

قلت : فأين شموسٌ أعرفُها ، تقتلعُ جذوراً يبَّسهَا الخوفُ ؟

فقالوا : فى جيب المعطف !

ضحكوا (صدرى منتوح للريح ، ودفء الحضن يحاورنى) –

– ماذا يحمُل حضنُ حبيبتكَ الخضراء ؟

قالوا : باقة شعر ، وحديثاً بكراً مختوماً

(أنلمتُ إذْ أبصركِ الليلة تأْتينَ ، وتلتفتُ الأعناقُ إليك ، تضجُّ القاعةُ ، بالتصفيق ، وتأْتين إلىّ ، نغنّى ، نرقصُ ويحوّطُنا الناسُ ، وأغمضُ عينىَّ) فكم دُبتُ حنيناً للصدر الطفل ، وللصوت الفضه

قلتُ : أقولُ القصة

والأصواتُ الفظةُ فى القاعةِ : نحفظُها !

قلت : فإنى أختمُها

(وابتسموا)

: ياكم عانيتُ وحيداً فى طرق الصمت ، غيابُك يذبحنى ، والآن أتيت ، ابتهجت أيامى ، لَن أتركَك فقد عانيتُ كثيراً .

(وانفضَّ الجمعُ ، وصرت وحيداً)

فى غيبتك القمرُ غريبٌ ، وغريبٌ قلبى فى هذى المدن المكتظة باللَّحم البشرىّ .

القاهرة – حسين على محمد

البكاء فى الطريق العام

جمال عبد المقصود

على الرصيف وقفت أنتظر عربة أجرة · الى جوارى وقف رجل يحمل « لفة » ضخمة ينتظر هو الآخر عربة أجرة · تبادلنا نظرات جانبية يفهمها المتنافسون · تقدم الرجل عشرين مترا لكى يركب قبلى · تقدمت ثلاثين مترا · رمقنى بنظرة غيظ واختفى · فرحت · المكان خال الا منى · الله يحبنى :

انتظرت · لم يجد جديد · وحدى · افتقدت الرجل · كان يؤنسنى وحدتى ، فهدفنا كان مشتركا رغم تنافسنا ·

تعبت يدى من كثرة الاشارة الى عربات الأجرة التى تمر سواء كانت خالية أو كان بداخلها ركاب ، فلا أحد يدرى أين يكمن الخير هذه الأيام ·

حاولت أن أغير مكان انتظارى ربما يتغير الحظ · سرت على قدمى بضع دقائق ثم توقفت ·

ظهرت من بعيد عربة أجرة ففرحت كما أفرح يوم رؤية الهلال · عندما اقترب السائق منى وسمع كلمة « شبرا » أسرع بالعربة بعيدا مثيرا غبارا كثيفا مفاجئا ومحدثا صوتا مدويا بموتور العربة وكأنى قرصته فى سواد عينه · أقبلت عربة أخرى · أبطأ السائق عندما رآنى رافعا يدى ونظر الى نظرة سريعة فاحصة · فتحت فمى لأتكلم الا أنه انطلق بعيدا ولم ينتظر ليسمع ما سأقوله كأنه قط خطف دجاجة مشوية وامتدت اليه يدا صاحب الدجاجة · لابد أن شكلى لم يعجبه ·

نظرت الى حذائى · لم يكن لامعا · تحسرت على السائق الأول الذى استمع الى · صحيح أنه أسرع بالفرار عندما سمع كلمة « شبرا » الا أنه على الأقل استمع الى ما أقول · لقد لعنته وقتها الا أنى الآن أحس أنى ظلمته · ربما كان له بعض العذر ، أليس من الجائز أن كلمة شبرا تمثل لديه شيئا يبعث على الفرار كأن تكون شبرا هى الموطن الأصلى لحماته ؟

مرت عربة أخرى جديدة وأنيقة أعتقد أنها فرنسية رغم أنى لا أعرف فى أنواع العربات · انبعث من السيارة صوت تسجيل لأغنية شعبية مرحة وكان السائق سعيدا يغنى ولم ينظر الى الشارع مطلقا وكأنه نزل من منزله بالعربة لكى يستمع الى الأغنية · لم تكن له أية علاقة بنا كأنه سائق عربة نراها على شاشة السينما · تحسرت على السائق الذى لم يعجبه منظرى ، على الأقل فهو قد فحصنى بسرعة وأصدر قرارا بناء على هذا الفحص وربما لو كنت قد اهتممت بمظهرى كان قد أخذنى معه ·

تصبب العرق من جبينى · كان الجو حارا والرطوبة عالية · فكرت فى أن أجلس فى الظل على الرصيف بائسا عندما أتت عربة أجرة قديمة تسير ببطء شديد وتتأرجح يمينا ويسارا كأنها بطة كسيحة · لم أرفع يدى لها يأسا الا أن السائق توقف · ظننت العربة تعطلت · نظر السائق الى وفتح الباب لدهشتى · شكرته

ودخلت وأنا لا أكاد أصدق · تحرك بالسيارة التى عاندته قليلا وأصدرت أصواتا مزعجة مخيفة · خفت ان نطقت بكلمة « شبرا » أن يرفض · لم أتكلم · التفت الى وابتسم ابتسامة أبوية حانية كمن يسألنى طريقى ·· فى خوف شديد قلت « شبرا » · لم تتغير ابتسامته العذبة الصافية · كان هذا الرجل لا ينتمى الى عالمنا هذا ، كانه فارس من فرسان العصور الوسطى نزل عن حصانه لينقذ سيدة جميلة وقعت فى مأزق ·

كانت قامة السائق قصيرة وكان نحيلا · مالت عيناه الى اللون الأخضر كان وجهه وديعا كوجوه الأطفال علته ابتسامة دائمة غير متكلفة ·

سارت العربة وكأنها ترقص · انبعثت منها أصوات مختلفة ركأنها ورشة متنقلة · وقفنا أمام الاشارة · ببساطة شديدة تحدثنا أنا والسائق وكأننا أصدقاء · شكوت له من بعض السائقين · لم أبذل جهدا فى التعبير عن رأيى فقد كان متفهما · قال ان سبب المشكلات يرجع الى الأخلاق · لا أحد يراعى ضميره ولا أحد يعمل لآخرته مع أن الحياة الدنيا لا تساوى شيئا وأن الكل زائل ولا يبقى غير المعروف · أحسست بكثير من الراحة · تفرست فى وجه السائق الطيب · ان الزمن قد حفر على جبينه الذى يشع نورا وعلى خده علامات كثيرة · لقد اكتسب الحكمة من كثرة ما رأى بنفسه · ان نظرته للأمور تختلف بالتأكيد عن نظرة سائق مفتول العضلات صغير السن قليل التجربة ·

مررنا بسوق للخضر · قال ان جشع بعض البائعين يرجع الى الأخلاق أيضا · ان ما ثمنه عشرون قرشا يبيعونه بثلاثين أو أربعين قرشا · الضمير · تلك هى المشكلة ، اختفاء الضمير · والحرام لا يفيد · يكسب المرء مالا حراما فينفقه كله على مرضه أو مرض أحد أبنائه · عندما كان شابا امتدت يده الى الحرام مرة سقط بعدها ابنه مريضا ومات · اغرورقت عينا الرجل بالدموع وقرأ الفاتحة ·

أحسست بالذنب · لقد تسببت فى اثارة مشاعر الرجل · أهذا هو جزاؤه ؟ لكنى لم أقصد الى ذلك · فكرت أن أخرج قلما وورقة وأكتب عنوان السائق وأكتب له عنوانى · نظرت الى الرجل · كان شارد الذهن حزينا · صحيح أن الحكمة لا تكتسب الا بثمن ! ساد صمت جاد لم يقطعه صوت أى منا ·

أخيرا وصلت الى المكان الذى أريده · لم أسعد كثيرا لسرعة وصولى · كانت صحبة الرجل ممتعة ومفيدة · نظرت الى ساعتى · غير معقول · لقد مرت ساعة كاملة ، كما لو كانت خمس دقائق ·

قبل أن أفتح باب العربة قرأت العداد · واحد وسبعون قرشا · أعطيت السائق الطيب ثمانين قرشا وابتسمت له أى احتفظ بالباقى وكان جزء من ابتسامتى يعنى اعتذارا للرجل عن ازعاجى له بمسألة النقود أثناء حزنه النبيل · أمسك الرجل بالنقود وقال والابتسامة الوديعة لم تفارق شفتيه الدقيقتين « كمان جنيه » ·

أحسست بالخجل الشديد فأنا لا بد قد أخطات فى القراءة ·

نظرت ثانية الى العداد · كانت القراءة واحدا وسبعين قرشا ·

أشرت الى العداد وقبل أن أفتح فمى بكلمة قال « عارف » ·

كأن ماء باردا ألقى على جسدى · حرت ماذا أفعل · أخرجت جنيها من جيبى وأعطيته للسائق دون أن أنظر الى وجهه ·

القاهرة : جمال عبد المقصود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توقيعات على حوائط الزمن

محمد سليم الدسوقى

(١)

لاتنتظرى . . .
يافاتنة البحر الهادر
. . . ياجنية
لاتنتظرى . . .
لاتنتظرى فى واجهة الشمس .
لاتنتظرى أوراق - أشواق -
. . . كلمات الأمس .
لاتنتظرى . .
فخيولى رحلت منذ صباح اليوم الباكر
. . . تهجر ساحات الأشواق
تركل كلّ عباءات الليل ، وحراس الأسواق
وعيون الليل الناعس عبر ملايين الأجيال تسافر .

(٢)

وطيورى تسقط فى أعماق الأمس
. . . تنقر فى عينيك وداعا
. . . ترسمه فوق حوائط « منف »
ألوان الطيف
فى واجهة مدينتنا لافتة للعشاق
يكتبها عصفور الواحة للأطفال
. . . يرقّشها بالأصباغ وبالألوان
يقرؤها بَبَغاء حاذق
يحفظها عنه السُّوقة ، والرسامون
وسراة الرواد .
يحفظها عنه الأولاد .
وأنا أعشق شمس مدينتنا الفضّية
وأدارى ليلك فى الواجهة الأخرى
لعيون الشمس
أحرق فى أمسيتى كل لفائف « آمون »
أحرق أغصان الزيتون
أحرق تبغ العالم
أحرق أعطاف الغُليون
أحرق أشرعتى
. . . ومياه البحر
أحرق لافتة الأشواق

. . . أمزق أغنية العصفور ، نشيد الببغاء

أعلق فوق جدار مدينتنا . . .

لا تنتظرى . . .

لا تنتظرى . . .

* * *

(٣)

انتظرينى خلف قصاصات الريح

خلف شعاع الشمس الغاربة الذهبية

خلف الأيام الشاردة الفضية

« ياجنيَّة »

انتظرينى آخر يوم من أيام القرن

. . . الواحد والعشرين

بعد الموجز

. . . فى أنباء الثامنة صباحا

. . . قد تجدينى

تستمعين لأنباء خيولى وهى تدمدم

. . . فى زنزانة « منف »

تجتاح وسائد حجرتنا

. . . ودثار الموت

وتبعثر ألحِفة الغرقى

. . . وبقايا صوت

قد تجدينى

. . . ممتقع الوجه خفيض الأنفاس

آخر سطر فى زاوية صحيفتنا

« أخبار الناس »

قد تجدينى

. . . فى القنوات الصامتة العشر

من خلف (المرناة)

انزع أربطة الأمسيّة

أرسم للأجيال قضية

أحمل للأولاد هديّة

ألتقط الصورة لكن . . .

سأظل حبيس الأصوات . معصوب

العينين لأنى . . .

أصبحت رفات .

أصبحت رفات !

محمد سليم الدسوقى

نقاط طائرات

■ سعد الدين حسن

● سرت ببطء ، وأنا أحمل على صدرى كما من الكتب وبعض الجرائد ، والمجلات · ولما أفسحت الطريق لطفل يلعب الكرة اصطدمت قدمى بكتلة خرسانية متبقية من بناء الكوبرى العلوى فسقط على الأرض الجزء الثالث من « شخصية مصر » ، وثلاث من الجرائد اليومية ·

تركت الجرائد فى التراب وحملت الكتاب على صدرى ثانية · وأنا أنتصب توقفت عيناى على مجموعة من ذوى القبعات البيض يقفون فوق الكوبرى يحملون آلات التصوير يصورون النيل ثبت عينى وسرعان ما تحولت آلات التصوير الى بنادق عجيبة الشكل · أطلقوا الرصاص ومضوا

قلت ربما يصورون فيلما وواصلت سيرى · تأملت الأفق · كان حزينا · اقتربت منه سحابة كالوردة قبلته ثم تهاوت مبتعدة وهى تودعه ، تابعتها ورأيتها تبكى وهى تتلاشى بعيدا ، ورأيت فيما رأيت النيل بطوله العملاق راقدا يلهث من شدة العطش وعددا لا يحصى من العصافير متناثرة على صدره هنا وهناك وقد انغرست فى طميه الطرى حتى منتصف كيانها الدقيق لا تقوى على الطيران · وبين الحين والآخر تبللها قطرات من الماء اكتشفت بعد قليل أنها قطرات من المطر الضعيف تسقط قطرة قطرة ·· لحظتها كانت السماء رمادية البنايات رمادية السيارات · انتابتنى فرحة طفولية غامضة تحولت على الفور الى رغبة جامحة أن أجمع حفنة من الحصى وأقذف بها العصافير المغروسة فى الطمى علها تطير · ضممت الكتب الى صدرى ثم نظرت خلفى لمحت طفلا صغيرا يرتدى جلبابا رماديا يجمع الحصى ليقذف به العصافير · بعد لحظات توقف عن جمع الحصى وبحركة سريعة خلع جلبابه وقذف بنفسه فى النيل تجاه العصافير فظهر ذوو القبعات البيض والبنادق فى أيديهم · فجأة هبط رجل من الفضاء يرتدى قميصا لون شجرة السيسبان الصغيرة · خطوط صفراء لون صحراء سيناء تتقاطع بخطوط خضراء لون حقول الدلتا · فى لمح البصر طوقنى بذراعيه فى حنان أبوى بالغ ·

بين الذهول والدهشة وقبل أن أنطق من أنت ؟ ! قال على الفور :

ـ أنا هو

قلت :

ـ هو من ؟

قال :

ـ الذى تحلم به فى قلبك منذ زمن بعيد

وقبل أن يكمل جملته ظهر ذوو القبعات والبنادق فى أيديهم ، فطار الرجل محلقا فى الفضاء وهو

يتشكل فى هيئة نسر وراح يصيح « تماسك وانتظر .. سأجىء حتما ذات يوم .. سأجىء حتما ذات يوم » .

نظرت الى النيل فلم أجده . ظهرت مكانه محطة سكك حديدية كبيرة يقف بها عدد من القطارات القصيرة . القطار يقف على الرصيف خليط من عربات الدرجل القديمة والعربات العادية ذات النوافذ المحطمة وفناطيس قطارات البضاعة والقطار يقف بدون حراك بينما المحطة تحوطها أشجار كثيفة من كل جانب كما لو كانت المحطة فى قلب غابة . المحطة خالية من الركاب . اقشعر بدنى فرفعت الكتب على صدرى ومشيت أبحث عن أحد ومع أول خطوة خطوتها سمعت صوتا جليا يناديني من نافذة قطار يقف على الرصيف الثانى . توجهت ناحية الصوت كانت أمى تمد يدها الى من نافذة القطار مددت يدى من بعيد . عندها ظهر ذوو القبعات البيض وهم يشهرون بنادقهم . وعند الخطوة الثانية فى الطريق اليها اختفت تماما . فأسرعت أقفز بين الرصيف الأول والثانى فبانت أمامى العصافير المغروسة فى الطمى فكدت أسقط على القضبان

مشيت متثاقلا بين الرصيف الأول والثانى فرأيت فيما رأيت رجالا كثيرين يرتدون جلاليب رمادية من الكتان القديم يجلسون القرفصاء فى انتظار ترحيلهم الى السجن بينما العساكر الذين يحرسونهم وقفوا يتضاحكون مع ذوى القبعات البيض وهم يعبون زجاجات « شويبس » المثلجة .

اتجهت حتى آخر الرصيف . نظرت الى شمالى فرأيت شارعا ذا حديقة بها عديد من المصاطب الطينية ينام عليها رجال كثيرون يرتدون جلاليب رمادية ممزقة .

نظرت الى يمينى رأيت شارعا ممتدا الى بعيد ترتفع فيه وحدات سكنية متقابلة تعلوها أبراج زجاجية كبيرة . وجمع من العساكر يحملون بنادق طويلة يروحون ويجيئون فى هدوء .

اتجهت الى الشارع ذى الحديقة حيث النائمون . وقبل أن أنطق بكلمة لايقاظهم أقبل ذوو القبعات البيض ورفعوا بنادقهم تجاهى .

القاهرة ـ سعد الدين حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجاء الى السادة الكتاب

ترجو أسرة تحرير مجلة « ابداع » الأدباء الذين يرسلون انتاجهم الى هذه المجلة ، أن يكون على ورق غير شفاف ، وأن يكون مكتوبا على الآلة الكاتبة (نسخة أولى) . ومصححا طباعيا ، واملائيا ، ولغويا ، تصحيحا سليما ، أو على الأقل ، أن يكون بخط واضح ، سليم اللغة والاملاء . حتى يمكن لأسرة التحرير قراءته ، والبت فى صلاحيته للنشر ، وحتى يمكن لعمال المطابع والزملاء المصححين ، اخراج أعمالهم فى أفضل صورة ، وبدون أخطاء طباعية .

كما ترجو أسرة التحرير من السادة الكتاب . أن تكون كتاباتهم . لمجلة ابداع ، غير منشورة من قبل ، فى أى صحيفة أو مجلة أخرى ، والا فسوف تلجأ الى قطع صلتها مع الكاتب الذى لا يحترم حقها فى نشر ما لم ينشر من قبل ، وحق القارىء العربى فى قراءة الجديد من الابداع والنقد دائما على صفحات هذه المجلة .

الستـــاتر

سمير مصطفى الفيل

كانوا قد بدأوا فى ازالة الساتر عندما عدت من المدرسة · شمروا عن سواعدهم وراحوا يطرقون كتل الأسمنت التى تعلو الطوب الأحمر · كبيرهم جلس القرفصاء أمام المنزل ، وراح يرشف الشاى القاتم من كوب زجاجى رخيص · تسمرت أمام المنظر · لم أفهم السبب · رفض جدى أن يهدم هذا الساتر مرات ومرات · عندما جاء مهندس البلدية ليخبره أن هذا الساتر يعرقل انسياب المارة على الرصيف ، هز جدى كتفيه وتغضن وجهه وهو يصيح فى سخرية : ولماذا أقمتموه ؟

تمالكت الحيرة المهندس ثم عثر على الاجابة أخيرا ، فقذف بها لتنقذه من توتر ذهنى كان قد اعتراه : انتهت الحرب !

يومها صمم جدى على أن يظل الساتر قائما طالما هو حى يرزق · عندما وصله المظروف الأصفر بخاتمه الحكومى الأسود المستدير ، أمسكه فى يده ، وألقى به فى الهواء ، ثم قذفه من النافذة دون أن يقرأه : انذار ! قفزت درجات السلم ، وعدت به الى جدتى ، فتحت المظروف وصدق حدس جدى · جاءنا صوته الذى تشرب بهدوء عميق : سأدفع الغرامة ولن أهدمه !

ما الذى حدث حتى يتذكروه بعد تلك السنوات؟

صرخة انخلع لها قلبى · انتزعتنى من أفكارى المشتتة · كانت الصرخة تنبعث من نافذة منزلنا · وجه أليف أطل ، وصوت شرخه البكاء : رايح فين وسايبنا ؟آ

قفزت الدرجات · كنت أقف أمام الباب الذى فتح على مصراعيه ، وأقاربى فى وجوم · رأيتهم · النسوة يبكين ويلطمن الخدود ، أما الرجال فكانت أعينهم محمرة من أثر بكاء حدث · وأمى التى ارتدت السواد عندما رأتنى اندفعت نحوى تحتضننى : جدك مات !

أنزلت حقيبتى من فوق ظهرى ووضعتها على المقعد الخشبى وحاولت أن أبدو متماسكا رغم الدموع التى انحدرت : عايز أشوفه ·

شخط عمى مختار فى وجهى : أخرج بره ·· انزل الشارع !

انكمشت بين فخذى أمى ، تضاءلت · صحت فيهم جميعا : جدى ·· عايز أكلمه !

فى تلك اللحظة كانت طرقات المعاول تتعالى ·· اندفعت نحو النافذة كان الساتر قد تناثرت أشلاؤه · والرجل الذى يشرف عليهم يحتسى كوبا آخر من الشاى ويستند بظهره الى جدار منزل عمى حسانين ·

رآنى عمى أحاول أن أطل من انفراجة الباب الموارب ، كان يصفعنى بكلماته ، نظر الى طويلا ·· تبادل النظر مع أمى : عايز تشوفه ·· اتفضل آ

تسللت من الفتحة الضيقة ، انحشر جسدى ، بصعوبة دخلت ، كانت الملاءة تغطى جسده ، أزحت طرف الملاءة ، فبان وجهه الذى أحبه ، كان بشوشا كالعادة · خيل الى أنه نائم ، يفتح عينيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

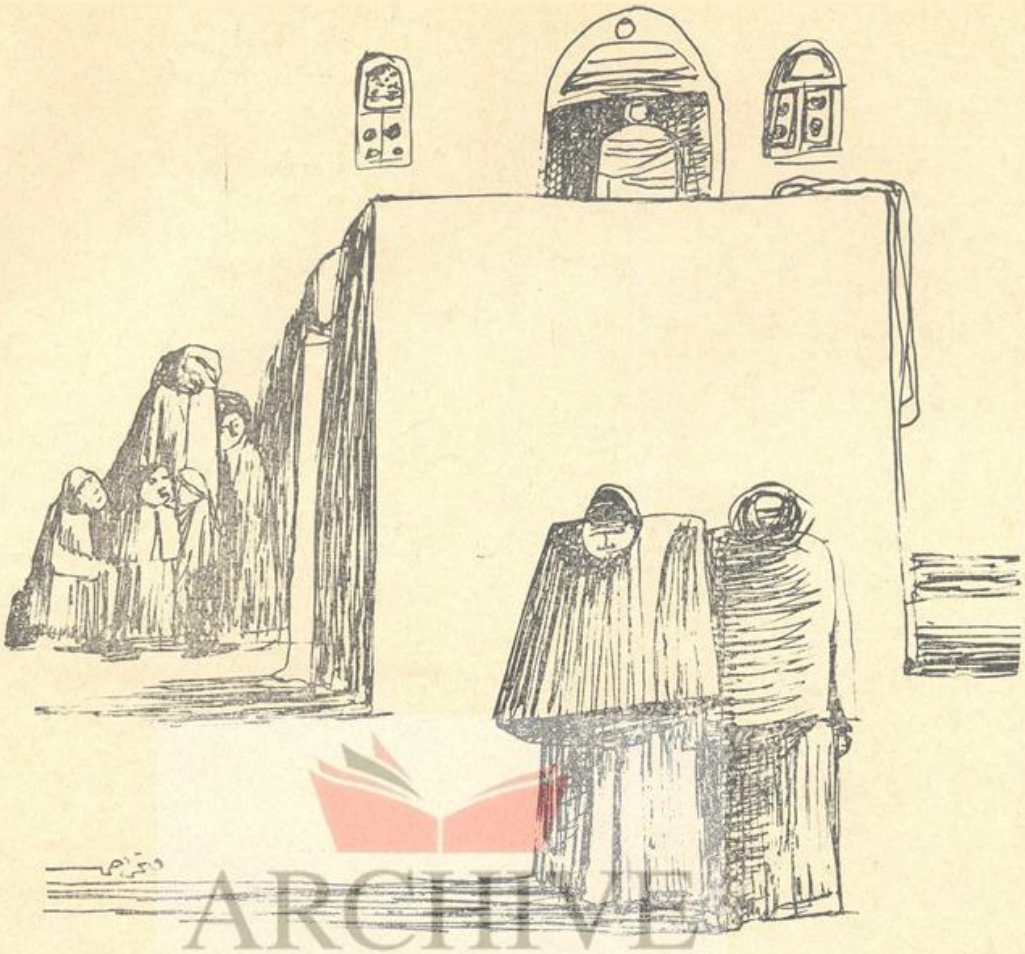

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما يشعر بى ، يحدثنى بنبرات صوته الحنون:
اقعد يا أسامة ·· ورينى واجبك !

لكن صوت البكاء بالخارج كذب ماتخيلته ، أكوام من علب الأدوية وشرائط الحبوب المسكنة تتناثر على المنضدة القريبة من سريره النحاسى ، وكوب به قليل من الماء : عملت ايه فى المدرسة النهارده ؟

كدت أنفذ من الانفراجة الضيقة ، أحضر كتيباتى وأعود ، لكن أمى أتت · جذبتنى من يدى ، التصقت بها : يالله بينا ·· الى كان بيحبك مات !

الموت ·· الموت ·· دائما الموت · كلمة قاسية محددة باترة كالخنجر قابلته أكثر من مرة واليوم يزور منزلنا ·· فى حجرة جدى · أراه وأقابله : وجها لوجه ·

عندما ذهب أبى للحرب ، فرحت لأنه سيحرر لنا الأرض التى ضاعت ، ويرفع العلم الذى نكس، ويعيد لنا الكرامة التى رحلت ·· كانت الحرب تعنى بالنسبة لى : مارشات عسكرية ، أغنيات حماسية · سواتر · طلاء الزجاج بالأزرق · ووجوه مبتسمة ترفع قبضاتها بعلامة النصر · وعساكر منتصف الليل يزعقون وقت الغارات فى أى ضوء يتوهج : « طفرا النور ·· طفوا النور » وخطابات لها رائحة البارود والدم · لكن أن يموت أبى · فهذا هو الشىء الوحيد الذى لم أتصوره · ويومها يوم أن أتانا الخبر شقت أمى ثوبها ، خرجت فى الطريق تعدو ، تعفر شعرها بتراب الزقاق ، أخرج فى أثرها ، أضيع بين الأقدام ، تصرخ وتصرخ حتى ينحبس صوتها وتعود بها جدتى · ترقدها فى سريرها· وتجلس الجدة على الكليم البنى الذى اشتراه أبى قبل الحرب ، تحدثه : ليه يا أبو أسامة

تروح ماتجيش ·· ليه ؟ أحاطنى الحى بأكمله بعطف كان يشعرنى كل لحظة بمعنى الموت · ذهب أبى ولم يعد ·· الموت ·· الموت · وعندما سألنى مدرس الفصل عن مهنة أبى ·· نطقت كلمة واحدة · مات ·

وعندما رفع زكريا ابن عمى «حسانين» تاجر المعسل يده ، وأخبر المدرس أن أبى مات فى الحرب · اقترب منى المدرس وهمس فى أذنى: لقد استشهد · لا تقل مات مرة أخرى · لكننى لا أعرف ما الفرق بين الكلمتين ؟! كل ما أعرفه أننى لم أعد أنتظر عودته ساعة الظهيرة · أسمع صوت المفتاح يدور فى طبلة الباب ، ينفتح ، أفاجئه بالسؤال : جايب ايه ·· عنب واللا خوخ ؟! يخفى بيده الفتحات التى تشى بنوع الفاكهة ، يغطى القرطاس : لو عرفت تأخذ صاغين ! أخمن وأنطق : عنب ! يحملنى بين يديه ، يقذف جسدى فى فضاء الغرفة ، أهبط بين ذراعيه ، يتركنى أتحسس ذقنه النابتة كشوك ألفته وصرت أحبه : ادينى صاغ ·· طيب بلاش ·· كفاية جنيه ! تضحك أمى · يضحك أبى ·· وشمس الظهيرة تتسلل من النافذة ·

المرارة التى فى نفسى والألم الذى اجتاحه قد هجرنى · اللحظة يجتاح الألم المنزل ·· الوجوه المتجهمة ، وعشرات الصدور تعلو وتهبط : وحدوه ! ··

أنزل الحوش الواسع · وضعوا الآن المقاعد أمام المنزل · العمال قاربوا الانتهاء من ازالة الساتر ، وعرفت ساعتها أن النعش لم يكن ليخرج محمولا فوق أكتاف الرجال الا بعد أن يحولوا الساتر المتماسك القوى الى كتل متناثرة من الطوب والأسمنت ·

جلس عمى حسانين ، بجوار زوج أختى « خالد » الذى تصادف موت جدى أثناء اجازته السنوية من عمله «بالسعودية» · كانت سيارته تقف على الناصية اليسرى ، تلمع تحت وهج الشمس · الأطفال يركبونها ، يصرخ فيهم : أمشوا بعيد · يا أولاد الـ ·· ! يخرج علبة سجائره « الدانهل » ويقدم لفائفه المذهبة للمعزين · نزل عمى مختار وجلس بجوارهما · وجهه مصفر ، الموت · الموت · فى الأفلام الامريكية التى أراها بالتليفزيون ، يموت العشرات من أفراد العصابات بمسدس البطل · ولا يشعر أهلهم بمثل هذا الحزن · لا تجلس أسر القتلى تنوح وتلطم مثلما نفعل · رأيت منذ يومين « الرجل الخارق » يحمل سيارة ويقذفها فى النهر ، فيغرق الأشرار وأصفق · يميل جدى من فوق سريره نحوى : لا تصدق كل ما تراه ·· لا تبتلع الخدعة ! لم أفهم كلمات جدى المبتورة، فقد كان البطل يبتسم لى ، والموسيقى تحوطه ، وأنا أريد أن أصبح مثله ، لى عضلات بارزة وقوى خارقة ، أتنقل فى زهو بين الحدائق والفتيات والموائد !

كانت المقاعد قد غصت بالمشيعين ، صوت النسوة خفت ، والنوافذ مفتوحة ، والمحال بالزقاق قد أغلقت أبوابها · الساتر أزيل تماما · كوم العمال معاولهم بدأوا ينفضون الأتربة من على ملابسهم التى استحالت الى لون الرماد · وكبيرهم نادى على عمى مختار ، كلمه، فمد عمى يده فى جيب سترته وأعطاه نقودا ·

الساتر لم يعد له وجود · كنت قد كتبت عليه أيام الحرب : تحيا مصر ، وبهتت الكلمة مع مرور الزمن ، لكننى ـ وحدى ـ كنت أستطيع قراءة الحروف بوضوح ، وأتمنى أن أعيد كتابتها مرة ثانية · لكنهم أخبروا جدى أن الحروب قد انتهت ، وأن الساتر الذى أقيم منذ سنوات قد صار عائقا للمارة وأفكارهم فى تنظيم الشارع ·

جاءت خالتى (بهية) منفرشة الشعر ، جاحظة العينين ، تلوح بمنديلها الأسود ، تولول فى كلمات منغمة يصبغها البكاء : ماكانش يومك ياغالى ! وتذكرت أنها تبكى ابنتها التى ماتت الشهر الماضى · غبش الفجر وصياح الديكة ، عندما شقت صرخات ألم سكون حذر : آه ·· آه ·· آه ··

لحظتها التصقت بأمى ، همست فى أذنى : أمينة ·· أمينة تلد · وأمينة هذه ابنة خالتى بهية · رأيتها تنشر ملابسها على حبل مشدود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوق سطح منزلهم المواجه لنا ، ورأيت بطنها المتكور · سألت أمى ، وعرفت أن الطفل يرقد وسيخرج عندما يكبر · لم تخبرنى امى بالصرخات التى شقت الظلام والصمت · صرخات تلو صرخات ، ثم صرخة واهنة ممتدة، وصوت خالتى بهية يأتى عبر النافذة : البنت راحت ·· راحت · فى الصباح كان جنازها ، والبكاء ينضح من العيون ، سرت فى المقدمة حتى بانت (الجبانة) ·· شواهد رخامية وأهلة من خشب عتيق ·، زخارف ، وآيات محفورة على مداخل الأضرحة ، أفرع الخوص المتناثر ·· رجال كالذين رأيتهم يزيلون الساتر ، شمروا عن سواعدهم ووقفوا أمام الفرجة التى كان أمامها كومة من رمال · أبعدنى عمى مختار بيده: ايه اللى جابك هنا ·· يالله روح ··

خنقنى البكاء · بينى وبين الموت رحلة انتظار وترقب وألم · وكنت أريد يا عمى أن يكون لأبى قبر ، أزوره فيه ، أجلس على مقربة منه ، وأقرأ له الفاتحة ·· أبتاع خوصا أخضر، وباقات زهور · أضعها صباح كل عيد على قبره، كما تفعل أمى مع الموتى من أقاربها ·

لكنه أختار أن يسقط بعيدا بعيدا ·· وسط انفجارات الشظايا والدانات · الرمال هى كفنه · والخوذة التى كانت تعلو رأسه هى شاهده · تحسست دموعا لها ملمس صرت أعرفه · الموت ·· الموت ·· لا أعرف ما سيحدث · جثة جدى سترقد بالصندوق الخشبى ، ويمضى الخلق من خلفه · انحنيت كالقوس أفكر فيه : الموت · بالأمس كان جدى المريض يدير مؤشر الراديو ، وكان يستمع الى نشرة الأخبار، وأتاه صوت المذيع يعلن أنباء ضرب طائرات اسرائيل لبيروت ، ومصرع عشرات الأطفال والنساء ·

عندما سمع جدى النبأ ثار ، سب ولعن ، غطى وجهه بيديه المرتعشتين صاح بصوته الواهن : أغلق الراديو ·· اننى مريض ·

كان يبكى بلا دموع ·· صدره يعلو ويهبط وعيناه تمسحان الفضاء البعيد · اعتدل فى رقدته · بلع بعض المسكنات ، رفعت كوب الماء ليشرب ، أفرغ كل الماء فى جوفه ، تنهد ، أجلسنى الى جواره : مش قلت لك · الساتر لازم يفضل · الحرب ما انتهتش !

هززت رأسى مستوعبا كلماته : حتى لو هدوه · أبنيه من تانى ·

لم أدر لحظتها هل يحب جدى الحرب أم يكرهها مثلى · مستحيل أن يحبها وهى التى بطشت بأبى ، لابد أن الأمر يحتاج الى شرح وفهم ·· وجدى صار لسانه فى حلقه لا يقدر على تحريكه · أمره الطبيب بالراحة ·· عندما كانت يده المرتعشة تجوس فى شعرى ، ويحكى لى حكاية الأسد والبقرات الثلاث · كنت ألمح خيوطا من أسى ترتسم على وجهه الحبيب · يطلب منى أن أتذكرها · وأحكيها له مرة أخرى: صلى على النبى يا جدى ·· وكمان زيد النبى صلا ·· كان فيه ·· الموت ·· الموت ·· الصراخ يعلو ويعلو · الرجال انتفضوا وتركوا المقاعد· النسوة بالنوافذ يلوحن بمناديلهن · تختلط كلماتهن الباكية بنواح البنات بالداخل ، النعش أراه الآن ، تحركه الأذرع ليتفادى الاصطدام « بالدرابزين » ·· أمام المنزل · الصرخات تخفت · المشيعون يصطفون · الأعلام الخضراء فى المقدمة على أكتاف الرجال·· وعم (حمص) بشارته الصوفية الخضراء ، يقود مجموعة الرجال بطرابيشهم الحمراء ، وتراتيلهم المنغمة · والساتر لم يعد له وجود ·

خنقتنى أحزانى · كنت أريد أن أقبله · خفت أن يرانى أصدقائى أبكى· وكنت أريد أن أودع جدى · حشرت جسدى النحيل بين الصفوف · وفى الجنازة غلبنى البكاء ، وقدمى تطأ بقايا من الساتر الذى هدموه · لم أكن موقنا : هل بمقدرتى عندما أكبر أن أقيم ساترا جديدا ؟!

دمياط ـ سمير مصطفى الفيل

المفارس

□ يوسف أبوريّه

● لما طلب أبوه ذلك منه ، شعر فجأة بالرجولة تملأ كيانه ، وعبر الردهة ، تعثر فى الحطب ، لكنه لم يقع كما لا ينبغى للرجل أن يقع ، وهش الدجاج المتكاثر عند باب الزريبة ، فتح هيكل الباب المرقع بالخشب القديم ، وحين وقعت عينه على الحمارة فى مذودها ، شمر جلبابه حتى لا يتسخ بالروث الذى تكثفت رائحته الحصبة فى أنفه ، ضربها على كفلها ، وانحنى يفك القيد ، لكنها رفست رجلها بقوة فى الهواء ، وما كان من الممكن أن يسكت أو يستغيث ، زعق بخشونة لم تفت على الحمارة تكلفها ، فلم تخضع الا بالعصا التى انهالت على جلدها ، انتهز الاستكانة المضمرة ، وفك القيد الذى علاه الوسخ ·

عند الباب ·· هيأ أبوه الغبيط على ظهرها ، وعقد رأسه بالمنديل الكبير وقاية من عين الشمس التى تضرب رؤوس الصغار ·

أوصاه بالسير تحت ظل الشجر ، ودس فى جيبه ربطة القروش ·

قال : ستجده ضخما بحجم خالك الا أن وجه الآخر بشارب يحوط شدقيه ، سيسألك عن اسمك ، فاذكر له اسمى ، وان طلب علامة ، أخبره أنك كنت معى أول أمس على مقهى المدينة · وان لم يكن بالدار فاسأل عنه زوجه ، ولا تعط القروش الا للرجل ·· فان أعطاك الشىء ، فاحرص عليه كما تحرص على نفسك ·· وهذا القرش لك لتشترى حلاوة من بقال قريتهم ·

● لما استوى أمامه الطريق ، أدخل قدميه فى فتحتى الغبيط ، ضرب الحمارة على رقبتها ضربتين ، فانتفضت لتلقيه عن ظهرها ، غير أن الولد تشبث بها وأحس من لحظتها أن الحمارة تضمر له الشر ·

لما وصل (الهدار) قال لنفسه : ها هنا تنتهى ترعتنا ، يتقاطع معها المصرف الموازى لسكة الحديد ويتفرع طريقان الأول ممتد الى المدينة ، والآخر يصعد الى بلد الرجل ، بين الطريقين يتكاثر الشوك الشيطانى الذى تسكنه الفئران · دخل بداية الطريق ، فتجمع الغبار حول حوافر الحمارة ، وانتشر حتى وصل وجهه · عن يمينه المصرف يغطيه الريم ، والطريق الضيق بباطن شريط القطار ، وعن شماله كانت أرض الاصلاح ، فتذكر أن أباه كان يمتلك حمارة ركوب ، كانوا يدعونها « حمارة الاصلاح » رآها وهى تموت لما أكلت من ورق القطن المسموم ، ورآها وهى نافقة فى ماء المصرف ، فبكى عليها ·

رأى التراب مكوما على حوافى الأرض ، قال : هنا ترقد الثعابين والحشرات القاتلة ·

ولما قفزت الحمارة فجأة لتعبر القناة المحفورة فى الجسر ، لعن ـ فى سره ـ اهمال الفلاحين ·· هكذا يفعل أبوه حين يسخر من زرع جيرانه · على البعد البعيد رأى الدخان يتصاعد من التراب كأفاع أهلكها العطش ، فى هذه اللحظة ، شعر أن عين الشمس تقصده هو بالذات ، فقد تسلطت على قفاه وظهره ، حتى طفح جسمه كل العرق ·

على طريق القطار رأى نقطة سوداء تكبر كالمارد ، وسمع صفيرا ، عرف أن القادم هو قطار الظهيرة ، وهو أحمر ، حين يمر يكون وقت الغداء ، فتخرج الأنفار من خطوط القطن ، تفرغ الديدان

فى النار ،وتجتمع فى ظل الصفصافة حول مناديل الخبز والجبن والخيار والملح ·

اهتزت الأرض لعجلات القطار ، والمسافرون كانوا فى النوافذ وعلى الأبواب ، أشار لهم بيده ، وقال لنفسه : انهم يستعدون للنزول فى محطة المدينة ، ليركب غيرهم ·

كثيرا ما فكر فى السفر البعيد ، فى الخطوط بين الأنفار ، أو حين يجمع ورق الأذرة الأخضر للماشية ، يرى فى الحلة الانيقة ، ويرى وجوها لا يعرفها الا أنها نظيفة بملامح متناسقة ، تبتسم له ، وتقول : ها هو الولد الأعجوبة فى السفر الى المدن ذات الشوارع المسفلتة والبيوت العالية ، لا بد من المعجزة ، ما هى ؟ لا يدرى ، قد تكون القدرة على ضرب فتية حى بكامله ، وتكون الجميلة بالشرفة فتشير اليه : أرسلوا فى طلب هذا البطل ·

عاد الطريق للصمت الذى لا يحركه غير حوافر دابته ، تأملها حين أرخت أذنيها ، وشعر بأنه بعيد ، وتمنى لو يعود ·

لما اقترب صف أشجار العبل الذى يقطع المصرف ليعبر المزلقان ، عرف أنه سيجد هناك « عكاشة » بسترته الثقيلة الخضراء ، لا يقوم الا ليفتح البوابة أو يغلقها ، وأكد لنفسه : سألقى عليه السلام ، تماما كما يفعل الرجال · ها هو العم « عكاشة » فوق المصطبة ، وتحت الظل يجرى من تحته ماء رائق لترعة لا يعرف اسمها · كم من حكايات سمعها عنه ، هو الذى تلقى اليه عفاريت المقتولين بالقطار ، ألفها كما ألف كلابه الراقدة تلك · رأى وابور الماء فتأكد له الطريق الواسع الممتد الى القرية المنشودة · هذا الطريق ينام ترابه تحت رشاش الماء ·

والقرية قد بدت من بعيد مظلمة يحوطها النخيل وأبراج الحمام ، تذكر كلمة أبيه : أنت لا تعرف القريه ·· دع الحمارة تدخلها ، وتسير فى شوارعها ، ولما تقف على باب ، تكون هى دار الرجل ·

قبل أن يدخل بين الدور رأى الصنابير يغتسل بمائها صبية كشفوا عن عورانهم ، قال : هذه القرية تنعم بالماء ، بينما بناتنا يذهبن بالحمير ليملان من مكان بعيد ·

ورأى رجالا يرقدون على الأبواب ، بالقرب منهم ترقد الخراف والدجاج والجاموس ، ورأى شوارع ضيقة ، ومنازل بطابقين ، وبقالا فى دكانه يطرد الذباب ، فتذكر القرش · بعد أن حصل على الحلاوة ألقاها دفعة فى فمه ، زامت عليه الكلاب ، فرفع رجله على ظهر الحمارة ·

● كان الباب ضخما ومسورا ، يربطه بالحائط مزلاج خشبى متين ، وفوقه نصف دائرة كبيرة يتورع فيها الخشب ليتجمع حول الدائرة الصغيرة ترقد بينهما حمامة تهدل ·

ربط الحمارة فى قضيب النافذة ، تهب منها رائحه ظلام وتوم ورطوبه عطنة ، كانت ساكنة بسريرها المفروش بملاءة عليها بقع دم باهتة ، وحصيرها اللامع المنقوش والدولاب المركون على الجدار ، تجمعت عليه أشياء كثيرة · ضرب الباب ضربة هينة ·

خرجت العجوز بالوجه المحطم داخل الطرحة البيضاء ، وحدقته بالفم الخالى من الأسنان ، قالت: ما تريد يا صبى ؟ قال : أنا فلان ابن فلان جئت أسأل عن صاحب هذه الدار ، أدفع اليه قروش أبى ، ليعطينى طلبه الذى لم يبح به ·

قالت : أخبر أباك أن صاحب الدار قد قبضت عليه شرطة المدينة صباح هذا اليوم ، وأخبره أن العجوز أم صاحب الدار تطلب اليك أنت الحاج صاحب المكانة أن تتوسط اليه لدى مأمور المدينة ·

● فى الطريق قال لنفسه : أبوك أعطاك القروش تدفعها للرجل مقابل شىء لا تعرفه ، والرجل قبضت عليه الشرطة ·· فهو خطير ·· وللشرطة عيون فى كل أرض ، ورجالها يحملون البنادق المعمرة ، وأنا طرقت باب رجل كرهته الشرطة ، والليل بدأ خطواته فى هذه القرية ، وسينتهى فى قريتى كوجه العبد ·

لكز الحمارة فى جنبيها ، فاندفعت فى الطريق بين الاشجار ، عند بوابه القطار ، تذكر عفاريت « عكاشة » التى تفك قيد الجاموس ، وتدلق آنية اللبن فى دواليبها ، وراح يتسمع لأنفاس تلهث خلف ظهره ، لا ينظر اليها فيحرقه الشرر المتطاير فى الأفواه والعيون ، بينما تكاثرت الأشباح أمام الحمارة ، وعلى جانبى الطريق تجرى بسرعته ، وتنظر اليه بخطواتها المنتظمة ، والبنادق على أكتافها، وفى اليد سكاكين مطفأة لاتلمع · لو يرى وجه القمر · لو يرى ذبالات المصابيح عبر طاقات الدور المعتمة لكنه رأى النقطة السوداء التى تنمو وتستطيل كلما اقتربت منه ، لما صار الوجه فى الوجه رأى الشارب الكثيف المتدلى ، والعيون المظلمة العميقة كعيون البندقية ذات الروحين ، لطمته اليد القوية فصرخ الصرخة التى اهتزت لها فروع الشجر ، وماء المصرف ، وتراب الطريق ·

القاهرة ـ يوسف أبو ريه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحيى حقى والشخصية الصعيدية

د. عبد الحميد إبراهيم

١ - تمهيـــد :

ولد يحيى حقى سنة ١٩٠٥ ، بدرب الميضة وراء مسجد السيدة زينب وبعد أن تخرج من مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٥ عمل معاونا للادارة لمدة سنتين فى مدينة منفلوط بالصعيد الأوسط ، وقد تركت هذه الفترة تأثيرها عليه مما نراه واضحا فى ذكرياته التى سجلها فى كتابه « خليها على الله » وفى قصصه التى استوحى فيها الصعيد والتى دونها فى « مجموعته » « أم العواجز » و (دماء وطين » .

وقد كتب معظم هذه القصص فى الثلاثينات من هذا القرن فى وقت كانت فيه القصة كما هى ممثلة فى نتاج المدرسة الحديثة - تدور حول فرد ، أو مشكلة عارضة ، أو أزمة فردية كل الفرجة - على حد قول يحيى حقى - أن القصة بها أسماء أشخاص وأماكن مصرية (فجر القصة ص ٦٩) .

ولكن يحيى حقى - وهنا سر التفرد عن جيله - لم يكتف بتصوير فرد مسمى، يكون بطل القصة فيحتل المساحة الكبيرة منها بالحديث عن ملامحه الجسدية والنفسية ، أو حتى بتصوير « نموذج » يتسع فيشمل عدة أفراد ، يشتركون فى صفة واحدة قد يمليها الهدف الخلقى لمجتمع ما .

ان يحيى حقى قد تجاوز الفرد أو النموذج ليصور روح المكان ومن ثم فان قصصه لن تزول بموت محمد أو على أو غيرهما من الناس، أو بالوصول الى حل لمشكلة كانت تشغل المجتمع فى فترة ما « كمشكلة بيت الطاعة » أو « تعدد الزوجات » أو «شرب الخمر » أو غير ذلك من مشكلات كانت تشغل المجتمع المصرى فى فترة الثلاثينات . لأن يحيى حقى قد تجاوز الفردى والوقتى ، ليكتب عن شىء باق من صنع المكان ، بمحتواه الجغرافى ، وموروثاته التاريخية والأسطورية والثقافية .

(★) ألقى هذا البحث فى مؤتمر القصة القصيرة الذى عقدته جامعة المنيا . وهو أحد الأبحاث الثلاثة التى اختارتها المجلة لنشرها . والبحثان الآخران : « انكسار البطل فى دماء وطين » للدكتور مصرى عبد الحميد حنورة . و « يحيى حقى مبدعا » للدكتور : محمد عويس محمد . سينشران فى الأعداد التالية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب يحيى حقى فى مقدمة « دماء وطين » عن هذا الروح ، أو تلك الشخصية التى هى من صنع المكان فاذا بها شخصية وان كانت من صنع المكان والزمان ، الا أنها تتأبى على المكان والزمان ، ولا تفنى بمرور الليل والنهار ، انه يحس بها حين يستيقظ صباح يوم على نداء غريب يتردد فى أرجاء حارته بوسط القاهرة « عوف الله ، عوف الله » فيعلم أن النيل قد فاض بالقوة والحياة ، وقد أقبل من الجنوب يتدفق فى خيلاء وعنف · ويحس بها أيضا حين يصغى الى العمال الصعايدة يقيمون العمارات بالقاهرة ، ويتغنون بأغنيات حزينة متدفقة :

يا بابـور الساعة اتنـاشر يا مقبـل ع الصـعيد
نـارى يـا بـوى
سـلم لى ع الحبـايب ومحمـد ولـدى
نـارى يـا بـوى
يا جريد النخـل العـالى طاطى ورد السـلام
نـارى يـا بـوى
سـلم لى ع الحبـايب أيا غايب من زمان
نـارى يـا بـوى

تلك هى الشخصية التى صورها يحيى حقى فى قصصه عن صعيد مصر ، وهى شخصية من صنع المكان ، انه يكتب عن روح يظل باقيا مهما امتد الزمن ، ولا يكتب عن انفعال وقتى يزول بزوال أسبابه ، يقول يحيى حقى منهيا تلك المقدمة : « وكان من حسن حظى أننى عشت فى صدر شبابى سنتين فى الصعيد ، فأتيح لى أن أطل على بعض أسراره ، ثم تغربت عن مصر ، وكان خليقا أن يشغلنى الجديد عن القديم، ولكنى وجدت نفسى أجتر على مهل ذكرياتى عن الصعيد ، كأننى لم أفارقه ، وأنت لا ترى الشىء حق رؤيته الا اذا غاب عن بصرك » ·

ولكن يحيى حقى ـ وهذا تفرد آخر ـ لم يكتف بالشخصية المكانية ولم يحجبه الخاص عن العام ، أو المحلى عن الانسانى بل انطلق من أرضية ثابتة ليعانق آفاقا عالمية ، ولكن السؤال المثار الآن يدور حول كيفية التوفيق بين هذين الشيئين · ان الكثير من القصص فى أوائل هذا القرن كانت تغرق فى الواقع ، فيحجب عنها الآفاق الانسانية ، والكثير منها أيضا كان يطير فى آفاق فلسفية دون أرضية ثابتة، ولكن يحيى حقى ـ ومن منطلق فنى ـ قد جمع بين الخاص والعام · ان الصفحات القادمة قد تلقى الضوء على طريقته فى الاجابة على هذا التحدى الفنى ·

٢ ـ حتمية المكان :

ان بطل قصة « البوسطجى » ليس هو عباس أفندى ، أو حتى المعاون أو جميلة وخليل ، أو غير ذلك من مسميات ترد فى القصة ، ولكن البطل هو « كوم النحل » ·

وكوم النحل هنا ليست مجرد قرية فى مديرية أسيوط ، تعنى مبانى وفلاحين وزروعا وحيوانات ، بل هى محتوى يرمز الى شخصية مكانية ترسبت جيلا بعد جيل ، حتى أصبحت كيانا يمارس ضغوطا على من فيه وما فيه ، هى حقا من صنع الانسان ، ولكنها قد انفصلت عنه ، وأصبحت كيانا متميزا ، ومن هنا فقرية يحيى حقى ذات مواصفات خاصة « الظواهر تدل على أنها بلدة قديمة ... فهى لم تتأثر بالطوفان العربى ، وتكاد تنفرد عن بقية بلاد المركز ، بأن اسمها ليس مسبوقا « ببنى » أو بما ينم عن اسم قبيلة ... بيوت قبطية تربى النحل وراثة لا اختيارا، عن تلقين لا عن سعى ، تجارتهم محاطة بسر ، هم ككهنة دير هدمت محاريبه فى نظر بقية السكان الذين غيرتهم الزراعة فى ذلها واستعبادها . فليست تملك كوم النحل ـ على اتساعها ، وكثرة سكانها ـ سوى الأقل من عشر زمامها والباقى وقف لسلالة من الشركس لها قصر خرب فى البندر » (ص ٥٠) .

وليس دقيقا أن البطل هو « كوم النحل » فحسب ، بل ان البطل هو ذلك التصادم بين « كوم النحل » كشخصية مكانية ، وبين الانسان كرمز لضحية تراجيدية ، ومن هنا فان الجانب الآخر من الصراع (الانسان) يقدمه يحيى حقى فى مواصفات خاصة أيضا .

فتحت عنوان « عباس أصله وفصله » يقدم لنا شخصية البرسطجى ، فاذا هو من أسرة كل أفرادها موظفون صغار ، لم يبرحوا القاهرة ، كلهم يؤكدون أنهم من سلالة عربية (تشهد عيونه السود ووجهه الضيق الطويل) ، هبط جدهم الثالث من طرابلس ، واستقر بالفحامين ، وكان عباس يحس بالغيرة ، كلما يرى طلبة المديرية الواحدة يجتمعون ويتناقشون فى موعد السفر الى القرية ، أو التذاكر المخفضة للجماعات ، فكان كثيرا ما يتساءل « هل أسرته نبات شيطانى عائم على وجه الماء ؟ فى نفسه ضعف لشعورها بأنه ينقصها ـ على خلاف من حولها ـ جذور قوية تربطها بمكان معين » (ص ٢٨) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن اذن أمام قطبين متنافرين ، شخصية مكانية ثابتة لها أبعادها التى تكونت عبر الأجيال ، ومفاهيمها التى لا تقبل المناقشة ، وعنصر دخيل ممثلا فى عباس أفندى ، ويحدث الصراع على أشده ، ومن أول لحظة : « **من ساعة ما حطيت رجلى فى البلد ما طقتهاش ، حسيت بأنى محبوس ... شوية طين مكوم وناس وسخين مقملين ، وتو ما يدن المغرب كل واحد ينام فى بيته ، والعتمة ؟ يابای من العتمة يابای ، طول الليل حمير تنهق وكلاب تعوى** » (ص ٢٩) .

وتبرز روح التحدى عند عباس أفندى ويصارع قدره وفى نيته أن ينتصر عليه « ففى العمل الذى سيقدم عليه خير انتقام منهم ، سيطويهم جميعا علمه ، وتضمهم قبضة يده ، وسيقف أمامهم صامتا » ولكنه يهزأ منهم فى قرارة نفسه ، وسيكون هو الفائز لا محالة (ص ٣٦) .

ولكنه حتما سينهزم ، ان حادثة « الجلابية » قد تبدو للوهلة الأولى أن المؤلف يبالغ فى أهمية شىء عارض لا يستحق كل هذا التهويل أو « العياط » من عباس أفندى ، لقد قال له الصراف قبل وقفة العيد : « **مش ح تفصل لك جلابية على العيد ؟** » . ان هذه الجملة العادية تهز عباس أفندى من الأعماق ، انه يقول : «**مش فاكر قلت له ايه ، فاكر انى رحت أوده تانيه . حاجة محيرانى . أضحك ؟ دى أول مرة اسمع فيها انى ابقى زى ولاد البلد وأفصل بدل البدلة جلابية تصور ؟ كل فرحة**

العيد قال تفصل جلابية ، حاجة تضحك واللا تبكى؟ الدمعة طفرت من عينى مرة واحدة وهات يا عياط عمرها ما حصلت لى ، ماكنتش أتصور أن كلمة سخيفة زى دى تخلينى أعيط زى العيال العياط دا كله » (ص ٣٣) ٠

ولكن هذه الكلمة التى تبدو سخيفة من الوهلة الأولى ، ذات دلالة ايحائية تبرر هذه المبالغة ، وتجعلنا نفهم اضطراب عباس أفندى وصياحه أن الجلابية ـ التى بدأ يرتديها على الرغم من نفوره ـ هى بداية تغلب حتمية المكان وانتصار القدر ٠

٣ ـ المأساة الكونية :

ان الأحداث فى « البوسطجى » تدور على مستويين المستوى الظاهرى والواقعى ، والمتمثل فى حادثة عباس أفندى ، وفى قصة جميلة وخليل ، ومستوى مأساوى يعطى القصة مفهوما قدريا ٠

وتأتى ألفاظ يحيى حقى وتعبيراته محملة بايماءات ذات دلالات كونية ٠ انه يصف عباس ، وكأننا ازاء بطل لتراجيديا اغريقية ، يتعاطف معه المشاهد ضد قدره الذى لا يقبل التراجع ، يتساءل حسنى أفندى المعاون المكلف بالتحقيق فى حادثة تمزيق عباس للخطابات : « **ولكن لا يدرى لماذا لا تطاوعه نفسه على السير فى تحقيقه ؟ فليس من شك أن وراءه ضررا لهذا الشاب ولكن ما الذى يربطه به ؟ وماذا يهمه منه ؟ فى قرارة قلبه ميل خفى هل مبعثه حلقات الشعر المشتبكة ، أو احساسه بالشفقة نحو هذا الوجه المدفون فى غرفة مظلمة رطبة فى بلد حقير** » ٠ وينتصر القدر الأعمى ويسقط البطل ، وبصورة اغريقية أيضا تثير العطف والشفقة « **العيون التى كانت تلتهب رماد قديم حركاته بطيئة مجهدة ، أين عباس الثائر وحدته من هذا الجسد النحيل المحطم وجهه فى صفرة الليمون ولكنه هادىء بل حاول الابتسام فبدت على شفتيه ابتسامة ذابلة ما أحدث الا أنها أكدت مرضه** » (ص ٢٥) ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويصف يحيى حقى ظواهر البطل المرضية فاذا بنا أمام شخصية قد تحطمت ، لا تستطيع أن تتحدث بطريقة منتظمة ، مرة تبدأ من أول الموضوع ، وأخرى من وسطه ، وثالثة من آخره ، وربما تجىء بالنتيجة قبل السبب ، وهى مع ذلك تثير جاذبية وشفقة حسنى أفندى من جديد ، فعيناه « **صادقتان مواسيتان تشربان من الحديث لا لبس فى نظرتهما هو فاهم وشاعر بكل مافى قلب محدثه ، رغم الغموض والاضطراب وضياع المنطق والتسلسل لم تفته نغمة واحدة ، مهما كانت خافتة من لحن صديقه** (ص ٢٦) ٠

وقد يكون تعبير « **ويسقط البطل** » تعبيرا تراجيديا يوحى بمصير البطل الاغريقى ، ولكنه فى الوقت نفسه مستمد من عنوان داخلى فى القصة فتحت عنوان « سقطة البوسطجى » وهو آخر عناوين القصة يصف المؤلف انكسار البطل ، ويحشد من الظواهر ما يؤكد سطوة القدر ٠

لقد أحس عباس أفندى البوسطجى بالملل فى كوم النحل ، فبدأ يسلى نفسه بفتح الخطابات ، فاذا به يطلع على عالم جديد ومتوقد ، يختلف عن هذا العالم الراكد انها قصة حب بين جميلة وخليل « **هل كان يظن أن أسطح القش وجدران الطين فى كوم النحل تخفى قلبا متوقدا يتفطر كل يوم على الورق ، ولا يهمد أو يذوى ص ٤٦** » ٠

هى « جميلة وبنت ناس » كما يصفها المؤلف تحت هذا العنوان الذى يوحى بالتعاطف مع ضحية أخرى من ضحايا القدر ، تعلمت فى مدارس أسيوط « **ويوم يمر ويوم يأتى ، والفتاة النحيلة القصيرة يتمشى سر الحياة فى جسمها ، فينبت ثدياها ، وتعرف الخجل وغض العين ، وصعوبة النوم** » وفى تلك السن تتعرف فى النخيلة بخليل ، ويقع بينهما المقدور ويسافر خليل الى عمله بالاسكندرية ، وتعود جميلة الى كوم النحل ، ولكن بعد وعد منه بأنه سيأتى لخطبتها وفعلا يأتى ، وتبدأ الشكليات ، ويتغلب على عقبة بعد أخرى ، ولكن العقبة الأخيرة لا يستطاع زحزحتها « وقابل الجميع القسيس فاذا هو ماء بارد ، يصـــب بلا رحمة على نار عجلتهم ، العريس بروتستانتى ، والعروسة أرثوذكسية ، فلابد أن يكتب لمصر ليستأذن ، هل جاء بشهادة من كنيسته بالنخيلة أنه غير متزوج ؟ الخ ... الخ . شروط شكلية ، ولكنها تستلزم وقتا وخليل فى أجازة قصيرة قاربت الانتهاء ، اذن يعود من جديد » (ص ٦٤) .

وبدأ البوسطجى يتابع فصول الرواية ، من خلال الخطابات التى كان يفتحها لقد عرف أنها حامل وأنها تلح فى استدعائه ، لقد أصبحت فى شـهرها السادس وأصبح منظرها مفضوحا « **لو جاء وعقد عليها ، وأخذها معه بعيدا عن هذا الأب ، وهذا المنزل ، لتعيش طول عمرها خادمة تمسح حذاءه ، ليضربها كل يوم ، ليعطيها عيشا حافا كالكلاب** » (ص ٦٨) .

ولكن الأمور تتأزم ، لقد أرسل لها نبأ نقله الى الاسكندرية ، ولكن هذا الخطاب لم يصل ، لقد فتحه البوسطجى ، وبطريق الصدفة « **كان قد انطبـع تحت امضـاء خليل ختم (كوم النحل ـ وارد) فى اسـتدارة أم خمسة تلمع الحروف والأرقام ، حبر زفر ملعون ويحتفظ بالخطاب لنفسه ، ولايسلمه لأم أحمد ـ رسول الحبيبين ـ حتى لايفتضح أمره** » .

وتظن الفتاة أن خليل لا يزال بالقاهرة ، فتراسله ، وتلح شـكواها ، ويكون البوسطجى يد المأساة ، وضحيتها فى الوقت نفســه ، وينتظر بلهفة خطابا آخر من خليل ، ويأتى هذا الخطاب ، ويتدخل القدر من جديد ، لقد سأل عن أم أحمد لكى يعطيها الخطاب ، فاذا بالنسوة نائحات حول منزلها ، لقد ماتت ، وهذا الجمع الأسود « **كسرب من غربان الشؤم** » يشبه كورس العجائز فى المسرحيات الاغريقية ، الذى يتنبأ بالمأساة ويعيشها ، انه يصف مأســاته بأسـلوب كأنه دف النـدابة فيقول : « **وقفت مذهول ، طب ماتت ، ماتت ماتت ، مرة كركوبة فى داهية لكن الجواب الى فى جيبى أعمل فيه ايه ، الغلطة بتاعتى بدل ما تتصلح اتهببت زيادة ، لو كنت ما بوظتش الجواب الأولانى ، كانت جميلة عرفت مطرح خليل ، وكتبت له عنوان جديد بعد موت أم أحمد ، واتفقت وياه على حـاجة ، جيت أنا بسـلامتى ، وقطعت الخيط اللى بين الاتنين ، والمصيبة أن الغلطة دى مابتحصلش الا والبنت فى كرب ، تقريبا بتستغيث** » (ص ٧٤) .

كانت ضربة من القدر تعددت ضحاياها ، جميلة « ترى نفسها أمام مشكلة ، ليست فى الحياة مثلها ، هى عقدة كلها اصطدام ، ونزاع ، وخيوطها من ديانة وتقاليد ووهم ، موشجة بحكم الدم والجسم وسر الحياة ، لا يهمه ماذا يعتقدالناس ، لا رحمة فيها » (٦٦) .

وعباس أفندى استخدمه القدر فى دمغة من حبر زفر ملعون ، فتحول الى

ضحية أخرى « **فهل كان يخطر على بال عباس عندما فتح أول جواب ، أن قدر هذه** المراسلات سيقاطع قدره ، ويختلط الاثنان جميعا ؟ أن تكون فى أول الأمر لعبته · ثم فى النهاية **مصرعه ؟ لم تصبح مراسلات بين اثنين ، بل بين ثلاثة ، ولعل أكثرهم تأثرا من لم يخط فيها حرفا** » ص ٤٧ ·

وتتوالى خطابات جميلة من جديد ، كل يوم جواب ، والبوسطجى يقرأ ، ولكنه عاجز عن أن يفعل شيئا الى أن يأتى الخطاب الأخير من كلمتين فقط « خليل ، الحقنى » ويتحدث البوسطجى عن وقع هذا الخطاب « **عمرى ما شفت واحد بيطالع فى الروح ، ولا شفت ميت ، الكلمتين دول خلوا جسمى يقشعر ، تعرف الخروف لما يشخر ويرفص وقت ماياندبح ، والفرخة لما تجرى ورقبتها مقصوفة ، كل ده مش حاجة جنب الكلمتين دول** » ص ٨٠ ·

وقتلت جميلة ، وجن عباس ، فى وقت واحد ، وانتصر القدر ، ان حسنى أفندى ينهى القصة بجملة ، يقولها مواساة لصاحبه « **ومين اللى فى الدنيا دى كلها مسئول** » ولكنها لم تكن جملة عفوية ، تلقى للمجاملة ، بل كانت كالمغزى الرئيسى ، للقصة يقول المؤلف «**جملة يتصيدها ليستخدمها ، وهو بعيد عنها ، فلما خلقها لسانه ، ركبته ، فهو تحت ثقلها ، كصدمة ممثل ببغاء ، عندما يستفيق على أن دوره يلبسه** » ص ٨١ ·

٤ ـ قصة فى سجن :

وتبلغ القدرية ذروتها فى « **قصة فى سجن** » وللعنوان دلالته ، ان الحادثة الظاهرية تتلخص فى « ان صاحب الأرض قد طلب من عليوى وهو فلاح بسيط ، أن يذهب بغنمه الى المنيا ، وسار عليوى محاذيا جسر الابراهيمية ، وفى الطريق التقى بجماعة من الغجر ، وأحب واحدة منهن ، جعلته يغير طريقه ويسلك طريقه للجبل · لقد ترك حياة الفلاحة ، لكى يصبح فردا من الغجر ·

ولكن الأحداث تدور على مستوى قدرى ، أعمق من هذا بكثير ·

والشخصيات يقدمها المؤلف فى صورة لا تحدد ملامح جسدية ، بقدر ما تنبىء عن رمز كونى ، فعليوى كالفراعنة ، ذى قامة مديدة ، وصدر عريض لايفتر عن الحركة « قوة خفية تسيل فى الوادى ، ولا تقل عن النيل جريانا ، لم يفنها صنم كالهرم ، ولا قبرتها آلاف السنين « والغجرية تملك » وجها شديد السمرة ، يكاد يكون كامل الاستدارة ، وأنفا دقيقا ، على جبهتها نقطة خضراء ، وعلى ذقنها وشم غصن قصيرة القامة معتدلة الظهر ، رأسها كثيرة اللفتات ، تنبىء عن عصبية قوية ، وكانت تخفى غضبها بضغطة ظاهرة على شفتها ، زادتهما طولا وضمورا » ·

ان القصة ليست قصة حب عادية بقدر ما هى استسلام لمصير أبدى ، يصف عليوى بداية وقوع المحظور بأسلوب درامى فيقول « **لسه عينى مادخلتش فى النوم ، الا ولقيت جماعة جايين على من ناحية البلد ، وسطهم حمارين ، وقدامهم شوية معيز ، لما حصلونى لقيتهم جماعة غجر ، قلت : أعوذ بالله من دا حظ ،يمكن ياواد يفوتوا طوالى ، وقمت ركنت نفسى أشوف ايه اللى حيحصل ، جم حداى ووقفوا ، وشوية لقيتهم فارشين حوالى** » ص ٨٩ ·

ان بطلى القصة وعلى الرغم من الوصف الظاهرى الذى ينبىء عن تحد ، يستسلمان فى النهاية لقدرهما ، ان الغجرية حين تسمع شاعر الربابة يغنى :

على ما جرى يا ويح قلبى لما جرى ... والبين قيدنى بست قيود
مما جرى لى من هموم تكيدنى ... وقت ايش يا ذاك الزمان تعود
نطق لسان الحال عن الدهر ... قال لى : زمان مضى ما عاد قط يعود
يا عين ابك على الزمان اللى مضى ... وأجرك على الله الواحد المعبود

حين تسمعه يغنى هذا الشعر المستسلم الحزين ، تتساءل : « **هل كان الشاعر المجهول يعلم ، وهو يصف آلام أبطاله ، أن شعره سيقابلها على الجسر فتتلقاه كضربة السكين ، ربما كان يعلم هذا وأكثر منه ، والا كيف تتكلم عما فى ضميرها ، وكأنه يعرفها من قبل ، وعاشرها واستمع لشكواها مرارا** » ص ٩٩ .

وعليوى تنتهى به المغامرة الى السجن ، ولكن هذا الأمر لا يغير من قدره شيئا. لقد انتهى كل شىء ، واستسلم كالأعمى لمصيره ، وأنهى قصته وهو يقول لصاحبه فى السجن « **أنا تو ما أطلع أخرج أدور عليها** » ثم أخذ يغنى موالا يعبر عن استسلامه:

تقدر تسيب حبيبتك ... وان كانت ياعين ، ساعتك
ولا جابت المسروف ... الكاس دوبتهولك وسقتك
ولا رفعت عليك عصاية ... وقدامها ، ياميت ندامة ساقتك
ليلى ليلى ياوعدى

٥ ـ الجنس والقدر :

ان ملحمة الصعيد عن يحيى حقى ، هى مزيج من حرارة وعنف كما رأينا من قبل ، ونضيف الآن « ومن جنس مستبد » يصف يحيى حقى اللقاء الأول بين عليوى والغجرية فيقول : « **أحس عليوى بقواه تذوب بين يديها ، وتراخت ذراعاه بجانبه** » ص ٥٢ .

ويصف اللقاء الأول بين جاسر والبحراوية فيقول : « **استند على الجدار وأحس بشىء يجذبه للأرض ، تنفسه سريع ، وعيناه مشتعلتان ، استيقظ فيه وحش طال رقاده ، فلما هم يقوم لم تسعفه قوائمه ، هو هائج تجمعت قوته فجأة ، لا يزال فى دوخة اليقظة ، وجلس جاسر القرفصاء ، وجسمه كله يرتعش ، ثم مالت رأسه ، وضمها بين ركبتيه بيدين متصلبتين ، وتملكته هزة متكررة ، نوبة تشنج صرعته** » ص ١١٧ .

ان قصة « أبو فوده » لاتملك الكثير من الأحداث بالمعنى الواقعى ، فهى فى الظاهر قصة حب بين جاسر ونرجس ، جعلتهما يتآمران على قتل اسماعيل ، وتنتهى القصة بجزاء الهى ، فقد أصيب جاسر بالعمى .

ولكنها تدور على مستوى آخر ، فتتخذ من تلك الأحداث أرضية لتشكيل ملحمة تجسد ما فى صعيد مصر من اندفاع وحرارة .

وهذا يبرر الأحداث والأوصاف التى تبدو استطرادية أو مبالغا فيها ، ولكنها فى الحقيقة تتعاون على ابراز صورة العنف .

هذه الغجرية التى ترقص حول قلة . وتملأ الجو برنين الصاجات (ص ١٠٥)، وهذا الوصف لفيضان النيل « **ليست آلاف الدوامات الا من دمه الفائر ، له فى كل**

موردة يد تغازل الفتيات ، بين كل حين وآخر تقتنص فريسة لا تشبع له نهما ، للشواطىء منه عبث الجبار » · وهذا الجبل « **أبو فوده** » تحس المراكب أمامه أنه « **واقف لها بالمرصاد كالشيطان ينفخ عليها ريحا خبيثة ، تملأ القلوع وتميلها للماء**» ص ١٣١ · وهذا جاسر ـ للاسم دلالته ـ شرس شكس الطباع ، يمضى كالعاصفة ، يصرع هذا ويطرح ذاك · وتلك النهاية الدموية ، فاسماعيل يسقط من فوق المحجر ، ثم لم ينطق : « **رقراق من الدم ، يسيل من طرف الفم على خده ، عين مسودة ، حاجبها مجروح ، وعين كبيرة جاحظة ، مر الرعب عليها وهو هارب ، فتلقفته منها يد الموت ، فهو فيها أسير مقيم** » ص ١٣٧ ·

وجاسر ينفجر فيه البارود ويتركه أعمى : «**وجهه مبقع ، حواجبه من جلد وجروح ، عيناه كعينى البوم اذا أغمضتهما** » ص ١٤١ ·

ان كل هذه الصور تبرز صورة العنف ، التى تتخذ من الجنس محورا لها · والجنس هنا يفهم بالمعنى الغريزى الحيوانى ، الذى يند عن كل عرف أو خلق · ان الصراع يدور بين ثلاثة أشخاص جاسر « **شرس الطباع يعجب بقوته ويزهى بها على زملائه** « **واسماعيل** » **مصفر الوجه متردد متلعثم** » · **أما نرجس فهى « امرأة بحراوية ، يعلم الكل عنها أنها نتاية ، أكثر فهما لطرق الاغواء للرجل من فتيات البلد** » والبقاء فى هذه الملحمة وبطبيعة الحال للأقوى · ان الأنثى ـ وكثيرا ما يستخدم المؤلف وصف البحراوية كبديل عن اسمها الحقيقى ـ تتآمر مع القوى فيزيحان عن طريقهما اسماعيل ذلك المتردد المتلعثم ، ويتزوجان « **وضمهما منزل واحد فى لذة لا يعرفها أكثر الناس ، هى عندهم شىء يذهب ويجىء ، وهى فى نرجس وجاسر عنصر مقيم** » ص ١٣٨ ·

جاسر هنا يبدو كأوديب جديد « **هو ضحية الجنس والطبيعة العنيفة** ، عمى أعمى**ولكن بعد أن تحدى قدره** · **من كان يظن أن خطوة جاسر المترنحة وقدميه الثقيلتين نبؤة عجيبة بعماه ، مشيته هى هى لم تتغير ، ولكنها لا تستثير الآن فيمن يراه دهشة أو عجبا ، فليس أمامه الا أعمى يتحسس لقدميه موضعا ، من أين له أن يعلم أن هذه المشية دمغة لا تزول ، ارث سجن طويل عاش فيه جاسر ، تربط** رجليه الواحدة بالأخرى سلسلة قصيرة » ص ١٤٢ ·

وهذا يلقى الضوء على مفهوم « الصدفة » عند يحيى حقى حقا ، تكثر الصدف فى قصته ، عباس يختم الجواب عن طريق الخطأ ، وتموت أم أحمد فتؤثر على حياة البوسطجى ، ويلتقى اسماعيل بالفجرية صدفة ، ويصاب جاسر بالعمى كجزاء الهى · ولكن كل هذا ليس من باب الصدفة العادية ، التى نراها فى حياتنا أو فى الأفلام العربية فلا نتساءل · ان الصدفة عند يحيى حقى هى صدفة فلسفية ، انها مقصودة ، وتلعب دورا كبيرا فى الأحداث ، وتتصل بفلسفة المؤلف من الكون ، وموقفه من القدر ، حين يقتل أوديب ـ فى المأساة الاغريقية ـ أباه ويتزوج أمه ، ليس هذا صدفة لكى يبرر المؤلف أحداث الدراما ، ولكنها فلسفة تكشف عن سطوة القدر ، وتعمق التعاطف نحو ضحاياه ، وكذلك الصدفة عند يحيى حقى ذات مدلول فلسفى ، وتلعب دورا كبيرا فى البناء الملحمى ، يعلق يحيى حقى على اللقاء الأول بين جاسر والبحراوية فيقول « **ان هو الا قدر محتوم يهبط على الخلائق فى حواشيه حوادث ، تسمى مرة مصادفات ، ومرة موجبات ، وماهى الا نغمة من نغمات الكون فى دورانه ، فليس للانسان فيها الا ما للثقب فى صفير الناى** » ص ١١٨ ·

٦ ـ الشكل الفنى :

ينفرد يحيى حقى عبر تاريخ القصة المصرية على امتداده ، بانجاز لم يجد الاهتمام من النقاد ٠

ان القصة المصرية جنس حديث ، عرف نتيجة الاتصال بالحضارة الغربية ، فاستورد منها قضاياه وأشكاله الفنية ٠ انقطعت الصلة بالنوادر والمرويات التاريخية والحكايات الشعبية ٠ ومن ثم لم نعرف الشكل الأصيل المستمد من ثقافتنا وتاريخنا ، بل عرفنا الشكل الذى استقر فى الحضارة الأوربية ٠ تحمسنا فى البداية لما يسمى الآن بالشكل التقليدى ، كما أرسى أصوله بووتشيكوف وموباسان ، ثم تحمسنا ثانيا لما يسمى « **التيار الشعورى** » كما هو معروف عند فرجيينا وولف وجيمس جويس ٠ وليس هذا فى حد ذاته عيبا ، فان الحضارة ـ أية حضارة ـ قاسم انسانى مشترك ولكن العيب بأن نجمد عند شكل واحد يتحول الى طقس دينى ، يعوق حرية الفنان ٠ كثيرا ما يقال ان الموضوع يخلق شكله ، وأن الشكل يتجدد عند كل فنان ، بل ومع كل موضوع ، ولكن هذه الحقيقة لا تجد تأييدا لها فى مسيرة القصة المصرية ٠

ويحيى حقى يقف شيئا متفردا فى هذا المجال ، أو على وجه الدقة يقف مع القلة القليلة ، الذين تنبهوا لهذه الحقيقة ، أمثال نجيب محفوظ فى « ملحمة الحرافيش » ويوسف ادريس فى مسرحية « الفرافير » ٠

ان الموضوع يخلق شكله عند يحيى حقى ، فقصة « قنديل أم هاشم » تتحدث عن شخصية الشعب التى ترسبت عبر الأجيال اسماعيل من أصل قروى ، يعيش فى حى السيدة ، ويتشرب شخصية هذا الحى « **من يقول له أن كل ما يسمعه ولا يفطن له من الأصوات وكل ما تقع عليه عينه ، ولا يراه من الأشباح لها كلها مقدرة عجيبةعلى التسلل الى القلب ، والنفوذ اليه خفية ، والاستقرار فيه ، والرسوب فى أعماقه ، فتصبح فى كل يوم قوامة** » ص ١٤ ٠

يتم تعليمه الثانوى ، ويسافر الى انجلترا ، وهنا يحدث التصادم بين حضارتين ، اسماعيل ومارى يعكسان حضارتين مختلفتين يقول لها « تعالى نجلس » فتقول له «قم نسر» يكلمها عن الزواج فتكلمه عن الحب ، يحدثها عن المستقبل ، فتحدثه عن حاضر اللحظة ، كان من قبل يبحث دائما خارج نفسه ، عن شىء يتمسك به ويستند اليه دينه وعبادته ، وتربيته وأصولها ، هى منه مشجب يعلق عليه معطفه الثمين ، أما هى فكانت تقول له « ان من يلجأ الى المشجب يظل طول عمره أسيرا بجانبه يحرس معطفه يجب أن يكون مشجبك فى نفسك » ص ٣٠ ٠

ثم يعود الى وطنه ، يريد أن يصلحه دون أن يتفهم روحه ، فاصطدم معه ، وكانت مأساته التى لم يتجاوزها ، الا يوم أن وصل الى الحل فى لحظة الهام ، وعرف أنه لا علم بلا ايمان » أين أنت أيها النور الذى غبت عنى دهرا ؟ مرحبا بك، لقد زالت الغشاوة التى كانت ترين على قلبى وعينى ، وفهمت الآن ما كان خافيا على ٠ « لا علم بلا ايمان » ص ٥٤ ٠

ومن هنا اتخذت هذه القصة الشكل الخارجى ، الذى يتناسب مع موضوعها ، وكاننا نقرأ فى كتاب الجبرتى ، انه يبدؤها بقوله كان جدى الشيخ رجب عبد الله وينهيها بقوله « وتزوج اسماعيل فاطمة وأنسلها خمسة بنين وست نساء وكان فى

آخر أيامه ضخم الجثة ، أكرش ، أكولا ، نهما ، كثير الضحك والمزاح والمرح رحمه الله » وهى بين البداية والنهاية تعتمد على الرواية ·

قد تبدو هذه الطريقة للذين تقولبوا عند شكل معين ، أنها سردية تخلو من الحديث ، ولكنها فى الحقيقة تناسب موضوعها ، الذى يلخص تاريخ شعب ، حتى الحوار يقل فيها ، وان ورد فانه يأتى بالفصحى ـ الا نادرا ـ التى تتناسب والتاريخ ·

أما الشكل فى « قصة فى سجن » فهو شكل شعبى ، انها تشبه سيرة شعبية، يرويها فنان شعبى على الربابة · وهذا يبرر ما يرد فيها من مواويل وأغان شعبية · ان عليوى يروى حكايته أمام صديق له ، وهو فى السجن ، يقاطعه بالتعليق وبالسخرية ، وكأننا فعلا أمام شاعر الربابة ، وجمهوره الذى يشاركه اللعبة ، فعند كل موقف غريب ، يلقى تساؤلات فيها التندر والخبث ، مثل « لكن مش ع الجسر ومش مع الغجر » واللا قسمتك جات كده » « أهى غنيمة وجات لك بلاش» « استنى مين اللى أكل الفرخة » ·

وتأتى العامية فى هذه القصة فى مكانها ، الذى لا يغنى عنه شىء آخر ، ان الراوى يسرد قصته غالبا بأسلوب الغائب ، وعند الموقف المثير يتحدث بضمير المتكلم ، وبالأسلوب العامى ، وكأنها الأشعار العامية التى توقع على الربابة ، لتجسد موقفا انفعاليا لا يغنى النثر عن تجسيده «**صحيت من النوم لقيتها ماشية ع الجسر، وجلابيتها تحت باطها ، كانت ماشية بشويش لكن فهمت طوالى انها هاربة منى** » ·

ومن ثم يأتى الحوار فى هذه القصة بالعامية ، ومن خلال حديث الراوى ، وكأننا فعلا ازاء حدوتة شعبية « **رحت جارى وراها ، حصلتها ومسكتها من ذراعها» :**

ـ رايحة فين ؟

ـ ماشيه ·

ـ ماشيه فين ؟

ـ مغربه للجبل يمكن أتلم على أهلى هناك ·

ـ لوحدك ؟

ـ أيوه ، خلينى فى سكتى وخليك فى سكتك ، ص ١٠٠

٧ ـ الأسلوب :

الشكل هو الاطار العام الذى يتحرك خلاله العمل الأدبى ، أما الأسلوب فهو المعالجات الجزئية داخل هذا الاطار ·

وحين أطالع أدب يحيى حقى أحس بشىء لا أستطيع تعليله حتى الآن · فهو من أكثر الكتاب حرصا على تصوير الشخصية القومية ورسم صورة المكان ، وتمييز الملامح الثقافية للحضارة الشرقية سافر الى أوربا ، وأقام بها مدة ، وتزوج أوربية ، وتذوق مختلف الابداعات الأوربية : الرسم ، والنحت ، والموسيقى ، وتنبه الى الفروق الحضارية الدقيقة ، وأتقن عدة لغات ، ولكن اخلاصه للشرق ، وللبيئة المحلية ظل واضحا فى قصصه وكتاباته النقدية تحدث فى برنامج « مع الأدباء » عن خلفيته الثقافية التى امتدت الى حضارات مختلفة ، ثم أنهى ذلك بقوله :

« **ولكنى والحمد لله أسأل عن المثل الأعلى الذى أؤمن به وأقدم له ولائى ، لا أجده فى الغرب ، بل فى الشرق ، وأنا من حيث الشعر ، لا أعدل عن أقبال شاعرا آخر** » (**سبعون شمعة ص ٢٨**) ٠

ولكنى مع كل هذا أحس ـ ولا أدرى لماذا ـ أن يحيى حقى يمثل نغمة غريبة بين الأدباء العرب ، دع عنك أنه يتصور الشخصية الحضارية ، فهذا شىء والطريقة الفعلية لاسلوبه شىء آخر ٠ ان الابداع العربى يعتمد على حاسة الأذن ، ومن هنا وجد نفسه فى الشعر ـ الذى كان قديما يعتمد على الرواية ـ أكثر مما وجده فى الرسم أو النحت ، ان انصراف الحضارة العربية الاسلامية عن الفن التجسيدى ، ليس لاعتبارات دينية ، بقدر ما هى اعتبارات ثقافية تاريخية ، ان الأذن تساعد على التحليل ، والصورة من خلالها تأتى غير محددة الأبعاد ، والأوصاف ، ويلعب ذوق كل مستمع دوره فى تشكيل تلك الأبعاد والأوصاف ٠

أما يحيى حقى فهو عين كبيرة ، ترصد وتحدد وتقيس وتلتفت للدقائق ٠ وهذا يفسر سر اهتمامه بالنحت أكثر من التصوير كما يذكر (سبعون شمعة ص ٢٥) فالنحت يحدد الخيال ، ويجسد الفكرة فى مادة ويعترف يحيى حقى ـ فى المرجع السابق ـ أن عنصر الخيال عنده ضعيف ، وأن ـ عنصر الحدث فى قصصه قليل ، وان فنه وصفى تأملى يجب أن يصل الى هدفه بسرعة ٠

ومن هنا لانجد عند أحد من الكتاب ما نجده عند يحيى حقى ، فى تنبهه حتى لدرجات اللون الواحد ، ففى كتابه « خطوات فى النقد » (ص ٢٠٢) يورد لنا قائمة من مفردات اللغة العربية ، تكشف عن تعدد الألوان ، ويدعو من خلالها الأدباء الى تحديد صورهم ٠

وفى كثير من صور يحيى حقى ، نلاحظ دقة الملاحظة والتنبه الى اختلاف درجات اللون ، يصف حقل قول فى قصة « البوسطجى » فيقول : « **هو حقل فول لم تظهر قرونه بعد ، أزهاره فى مقتبل عمرها بعضها أبيض ، وبعضها ضارب للحمرة ، كلها تهتز فى حركة خفية ٠٠٠ الحركة تجول فيه مختلفة النمط ، هنا عما هناك ، ولكنها رغم هذا الاختلاف شخصية واحدة** » ٠

ان الوصف السابق لا يكشف عن دقة فى التنبيه لدرجات اللون ، بل وعن دقة فى التنبيه لدرجات الحركة ٠ وفى « قصة فى سجن » يتنبه يحيى حقى الى درجات الصوت أيضا ، فيصف قطيعا من الغنم ويقول « **تتوالى نداءاته (ماء ٠٠ ماء) بعضها جاف قصير ، وبعضها يكاد يتكلم وتسمع فيه استغاثة لا شك فيها ، منها الأجش الغليظ يخرج من حلق أيبسته السنون وبعضها كذبذبة وتر رفيع تبعثها أحمال صغيرة لم يتبين لها بعد ظهر من بطن** » ٠

وتحت عنوان « حاجتنا الى أسلوب جديد » (خطوات فى النقد ص ٢٠٢) دعا يحيى حقى الى تحديد الألفاظ ، وعمق المعانى ، فقال : «**وسترون أنه متى تحددت الألفاظ وأصبحت حتمية زال الاستطراد ، ومال الأسلوب بلا ريب الى الجمل القصيرة التى ترتبط برباط ذهنى لا لفظى ، فتقل بذلك الزيادات ـ وهى عوائق لا داعى لها ـ من كثرة حروف العطف ، فان سير الذهن فى الأدب ليس خطوا متتابعا رتيبا ، بل هو توثب يفرض على ذهن القارىء توثبا يخرجه من سكون الى حركة** » ٠

وقد حملته الفكرة الى أقصى طرفها ، فدعا الى التخلص بتاتا من المترادفات فى اللغة العربية ، التى أصبحت تجرى على لساننا بدون تفكير ، مثل « **فى سهولة ويسر ، فى خفة ورشاقة ، فى دعة واطمئنان ، فى خفر وحياء** » .

ولكن تلك الدعوة النظرية لم يستطع يحيى حقى أن يلتزم بها فى أعماله الأدبية ، فمثلا فى قصة واحدة هى قصة « السلحفان تطير » (مجموعة قنديل أم هاشم ص ٦٥) ، ترد هذه المترادفات « وأنا منح مفقود وسط آلات المطبعة ، وجدته فى حدة وغضب وزاد عزما واصرارا » .

حقا ان التخلص من الاستطراد ومن الترادف شىء مطلوب ، ولكن دون مبالغة. فان تعبيرات مثل فى خفة ورشاقة ، فى سهولة ويسر لا أظنها من الترادف بل أصبحت تجرى على ألسنتنا وكأنها كلمة واحدة انها تعبير أو اصطلاح يكون برمته دالا على المعنى ، وهذا يحدث فى كثير من اللغات الأخرى .

وهنا يمكن أن تثار قضية العامية عند يحيى حقى . انه فى أحاديثه وكتاباته النقدية يتحمس للعربية فيقول مثلا : « **لابقاء لأدب عربى يكتب بالعامية لأن الفصحى هى القالب الفنى الوحيد للعمل الكبير ، فالفصحى لا العامية هى التى ضمت جوانحها لكل الأفكار والتعبيرات التى بفضلها انحدرت الينا ثقافتنا ، وتركيب مخنا ، ونسيج روحنا ، وتبعتنا هى تلقى هذا الفيض والسير به الى الامام لنسلمه لمن يأتى بعدنا** » (سبعون شمعة ص ٣٠) .

ولكن يحيى حقى لم يلتزم بالفصحى فقد استخدم العامية ، وبنوع خاص فى الحوار . وكان استخدامه لها يمثل خطرا على الفصحى ، فقد كتبها بطريقة جذابة فنية يمكنها أن تتباهى بها على الفصحى لنضرب مثالين من قصة « دماء وطين » **يقول ص ٤٨ : « بقيت أبص للبنات اللى ماشيين كلهم الطرحه على وشهم ملفوفين فى ملايات سود مصبوغة منيلة ، مرحش زى اللى ماشيين الارقين فى الحيطة زى اللى حيدخلوا فيها ما تلمحش وش واحدة منهم »** .

ويقول ص ٦٨ : «افتكرت جواباتها كلها وفهمت وقتها بس فهمت أقولك الحق قلبى وجعنى علشان البنت دى طول الليل وأنا أفكر فيها لو كنت فى مصر يمكن ماكنتش أترعب علشانها ، لكن هنا ، فى كول النحل ، حاجة مخوفانى ، حتى الهوا اللى الواحد يتنفسه يكتم الصدر ، ويخنق الواحد مافيش رحمه . كل أملى حطيته فى الرد اللى حيجى ماليش صبر استنى » .

فالجمال الفنى من حيث التأثير والتصوير يتوافر لهذين المثالين وفى الوقت نفسه ، يلتحمان مع البناء الكلى ان القصة تبدو كملحمة شعبية يوقعها راوية على ربابته . وتأتى العامية ، كما سبق أن رأينا ، لتجسد لحظات الانفعال والتوتر ، وكأنها الشعر العامى الساذج ، الذى يتغنى به شاعر الربابة .

٨ ـ الخاتمـــة :

وبعد فقد نجح يحيى حقى فى التعبير عن الشخصية المكانية ، وفى ثوب قدرى استطاع به أن يحل الى حد ما ، مشكلة الخاص والعام أو المحلى والعالمى . ولكن هذا النجاح كان محدودا بالملاحظات الآتية :

● وقف يحيى حقى عند الجانب الظاهرى فى الشخصية الصعيدية ، جانب العنف والقسوة ، ولم يصور الوجه الآخر المكمل لهذا الجانب ، ولكن يبدو أنه قد أحس بهذا القصور الذى لم يستطع أن يتداركه فنيا ، فألقى ببعض التعليقات أو المقارنات التى لم تنشر بها القصة ، فجاءت كاعتذار ، أكثر منها كلبنة فنية · فمثلا فى قصة « البوسطجى » وقد أحس أن بطله متذمر، يقف عند الحد الظاهرى ، فأراد أن يعوض هذا الموقف الرافض بتلك المقارنة التى ألصقت الى القصة بين عباس افندى البوسطجى وبين حسنى أفندى المعاون فيقول : **فى بعض الأحيان يمر بركوبته وسط هذه الحقول · وتشمله بعطرها فينسى كل همومه وثقاله في الصعيد،ويسرح ذهنه،ويشعر أن ما بينه وبين الله قد عمر من جديد ، هو اسير الصعيد ، ولكنه مذعن موطن نفسه على الرضا بما فيه** » ·

● يكتب يحيى حقى صعيدياته من وجهة نظر زائر يرقب ويعلق وهذا يفسر قلة الحدث ، وعدم معايشة التجربة · ان عينه خارجية ، أو قل هى عين كاميرا ، تصف ، وتعلق ، وتتأمل لقد قلت مرة موازنا بينه وبين يحيى الطاهر الذى انحدر من البيئة الصعيدية نفسها : « **ان يحيى حقى من أجل انه غريب عن البيئة كتب من الخارج بطريقة رجل يرقب ويشاهد ثم يروى ويقص ومن هنا يقل تزاحم الأحداث عنده ·· ان البوسطجى يروى مأساة داخل هذا المجتمع الغريب عنه ، ومن ثم فنحن نحس بحضور المؤلف وبفلسفته وتعليقاته ، أما عند يحيى الطاهر فنحس بحضور التجربة انه ينقل الينا حياة الصعيد بكل ماتزخر به ، وينقل الينا الموقف الحالى بكل مافيه من مثول ، والأحداث تتوالى فى حركة عنيفة ، ويتبع بعضها بعضا ، فيدخل القارىء فى الدوامة ، ويعيش داخل الملحمة حتى نهايتها المأساوية** (القصة القصيرة فى مصر ص ٨٩) ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● ومن ثم فان حتمية الجنس فى صعيديات يحيى حقى ، تقف عند حد السيطرة الحيوانية ، وتختلط بالقتل والحقد ، والتآمر ، لم يفلسفه فيجعله يفجر أرق العواطف ، ويدفع الى الطموح ، ولم يربطه برباط كونى يكون فى النهاية لصالح البشر ·

● ذكر يحيى حقى أن ميله للتحديد والحتمية أضعف من قبضته على الرواية ، وجعله يؤثر القصة القصيرة (سبعون شمعة ص ٣٠) ·

ولست أفهم أن التحديد والحتمية يتعارضان مع العمل الروائى ، ولكن الذى أفهمه أن ظروف الريادة هى المسئولة عن قصر النفس فى صعيديات يحيى حقى ، يكفيه فخرا أنه التفت الى الطريق الصحيح وأنه يحفز الأجيال لكى تكمل الطريق، عن طريق عمل ملحمى كبير ، لا يعكس حركة الواقع فحسب ، بل يعكس التاريخ ، والتركيب الثقافى ، والفلسفة الدافعة ·

ويوم أن يتم ذلك سيصبح أدبنا عالميا يعبر عن الشخصية الصعيدية فى اطارها المصرى ، واطارها العربى الانسانى وحينذاك سنتذكر ـ بكل اعزاز ـ الخطوة الأولى التى بدأها يحيى حقى ·

المنيا : د· عبد الحميد ابراهيم

الهجر

محمود حسفى

(١)

وقف يلتقط أنفاسه ويمسح حبات العرق التى تكاثرت فوق وجهه نتيجة لارهاق المشى الطويل. أخيرا وصل . وتعاظمت البناية الضخمة السامقة أمام ناظريه وهى تقف مهيبة ، بالمعدن الفضى الذى يكسوها والزجاج الذى تنعكس عليه أشعة الشمس المتوهجة . قال لنفسه بسرور : أخيرا وصلت ، وسوف أقابل صديقى وأتحدث اليه حديثا مستفيضا وأسر اليه بشجونى وأتخلص من وحدتى .

تقدم حتى بلغ البوابة ذات الأعمدة الرخامية المخروطة والمربعة الشكل ، وتوقف أمام الباب الزجاجى ، وهم بدفعه الى الداخل ، ولكن الباب فتح تلقائيا قبل أن تصل اليه يداه . توغل مبهورا الى نهاية بهو صامت نظيف جدرانه من الرخام المصقول ، ولاحظ وهو يقطعه أن مساقط الضوء تعزل البهو عن أشعة الشمس بدلا من أن تسمح لها بالمرور ، فتأمل مصادر الاضاءة الداخلية ووجدها تنشر فى المكان انارة باردة مكتومة . وأخذته قشعريرة نتجت عن احساس مفاجىء بالبرد ..

قال لموظف الإستقبال الذى استوقفه قرب نهاية البهو :

ـ جئت لكى أقابل صديقى ..

فتفحصه الموظف ذو الملامح الجامدة ، ثم قال بعد ذلك :

ـ انتظر هناك ..

وأشار الى دائرة من المقاعد الجلدية الفخيمة توسطت مساحة من أرضية البهو العريض ..

مشى وحيدا الى حيث أشار الموظف ، وكان أثناء ذلك قد بدأ يستشعر ـ بصورة غير واضحة ـ نوعا من الاحباط ..

(٢)

كان يجلس واضعا رأسه بين كفيه حين نادى موظف الاستقبال عليه ، فنهض على عجل وذهب اليه . ناوله الموظف ذو الملامح الجامدة ورقة وهو يقول له بنبرة رتيبة :

ـ املأ بيانات هذه الاستمارة ..

أخذته الدهشة وسأل الموظف :

ـ لماذا .. ؟

أجاب الموظف بالنبرة الباردة الرتيبة نفسها :

ـ اجراءات ..

ـ ولكننى جئت لمجرد أن أقابل صديقى .. هذا كل شىء ..

ـ أعرف .. ولكنها الاجراءات ..

ـ ليست لى أى حاجة عندكم .. مجرد لقاء بصديقى والجلوس اليه وتبادل المودة بينى وبينه .

ـ لا مفر من الاجراءات ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لقد مشيت طويلا تحت الهجير لكى أصل الى هنا · وقبل ذلك اتخذت قرارى بزيارة صديقى تحت وطأة عذاب رهيب ، وشـجن بالغ ، وفى ظروف وحشة تماثله ··

ـ كل ذلك لايدخل فى اختصاصنا ·· لا مفر من الاجراءات · املأ بيانات الاستمارة أو انصرف· تطلع الى الموظف ذى الملامح الجـامدة بعينين حزينتين ، ثم مد يده وتناول الورقة وراح يملأ الخانات الفارغة بالبيانات المطلوبة · وتنامى فى صدره أثناء ذلك الشعور بالاحباط ··

(٣)

سلمه موظف الاستقبال الى موظف أخر يشبهه فى الملامح ، فاصطحبه الأخير الى مصعد كهربى ، وسلمه بدوره الى عامل المصعد الذى أدخله ثم أغلق الباب وضغط على الزرار ، فارتفع المصعد ، ثم توقف بالطابق الثانى للبناية · كل ذلك حدث فى صمت ، ورقة شديدة ، وبرود ·

فى الطابق الثانى تسلمه موظف ثالث ، يشبه الموظف الأول والموظف الثانى ، فاقتاده عبر ممر طويل ملتو ، ودهاليز عدة متداخلة ، اكتست جدرانها كلها بالرخام المصقول ، حتى توقف به أمام باب مكتب فخيم ، ثم ضغط زرا على يمين الباب فانفتح الباب على الفور · قال له الموظف الثالث بنبرة الموظف الأول الرتيبة الجامدة نفسها :

ـ ادخل ··

وتركه وعاد من حيث أتى ·

وقف أمام البا ب المفتوح حائرا مترددا فريسة للقنوط · ثم سمع صوتا يناديه :

ـ تعال ··

تقدم خطوات داخل الحجرة ، راح خلالها يحملق فى فرشها الفاخر ويتعجب · وأخيرا وقف أمام شخص لا يختلف عن كل من قابلهم منذ اجتاز بوابة البناية · قال له الرجل الذى كان جالسا خلف مكتب ضخم :

ـ اجلس ··

شعر بروح آمرة فى نبرة صوت الرجل ، ولكنه جلس صامتا صاغرا · أخذ الرجل يقلب فى بعض أوراق كانت أمامه ثم بدأ يسأله أسئلة شتى : من أين ، وكيف ، ولماذا ·· وكانت لهجته أثناء كل الأسئلة رتيبة باردة · تصاعدت فى داخله مشاعر عديدة ، ودهش دهشة بالغة · تساءل وقد بدأ حزنه يتحول الى ألم :

ـ كل هذه الأسئلة مطلوب أن أجيب عليها قبل ان أقابل صديقى ، لكى أتحدث اليه وأتبادل معه الود وأبثه شجونى ؟

أجاب الرجل :

ـ أجل ··

فتساءل من جديد :

ـ واذا لم أجب ·· ؟

رد الرجل باقتضاب :

ـ سيكون من المستحيل عندئذ أن تنجز المهمة التى جئت من أجلها ··

أطرق وخبأ نظراتـه فى الأرض ، وأجاب عن كل الأسئلة التى رجهت اليه · دون الرجل كل الاجابات ، ثم نهض حاملا أوراقه واختفى وراء باب جانبى ، وبعد قليل عاد قائلا :

ـ اجاباتك صحيحة ··

وجلس وهو يكمل :

ـ سوف تذهب الآن مع موظف مختص لكى تجرى الاختبارات الضرورية : نفسيا ، وبدنيا ، وثقافيا ، واجتماعيـا ، وأخيرا شكليا ·· خـذ حذرك : اياك أن تستهين بشىء وأنت تجرى كل تلك الاختبارات الضرورية جدا ·· كن حريصا ، ودقيقا ، واقدح ذهنك تماما ، ولا تغلب العواطف الساذجة ··

حينئذ ، وعقب سماعه هذه الارشادات، شعر بالاحباط يتكثف بداخله · وخطر له أن يتراجع ويصرف النظر عن فكرة مقابلة صديقه ، ولكنه استمسك بالآمال العريضة ومنى نفسـه بحرارة اللقاء ، وأذعن ··

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤)

تلقفه الموظفون واحدا بعد الآخر ، وصعدوا به طابقا فوق طابق ، وعبروا بـه ممرات ودهاليز رخامية ملتويه ، وأدخلوه حجرات فخيمة باردة ، وكانوا كلهم يشبهون موظف الاستقبال ويتكلمون بنبرة جامدة مقتضبة ويطلبون منه باســـتمرار شيئا محددا ، الانصياع ..

أخيرا أوصلوه الى حجرة مكتب أكثر فخامة من كل مامر به من حجرات ، استقبلته فيها فتاة جميلة جدا ، جملت وجهها بزينة عروس ليـــلة زفافها ، ابتسمت له ورحبت به ، ثم دعته الى الجلوس فوق أريكة ذات كســوة ناعمة ، فجلس شاكرا وجلست هى الى جواره . قالت فور أن جلست :

ـ أنا سكرتيرة صديقك ..

اغتصب ابتسامة وقال :

ـ أهلا وسهلا ..

قالت :

ـ وقد علمت بكل شيء قبل أن يصلوا بك الى هنا .. كل شيء : بيانات الاستقبال ، والاجابات الصحيحة ، ونتيجة الاختبارات . والمفروض أن أدخلك الآن لتقابل صديقك ..

وتوقفت عن الكلام لحظة ، فبدا له أنها تمهد لشيء لن يرضى عنه . كان منهكا للغاية ، ممرورا تماما ، فتعلقت عيناه بشفتيها الجميلتين ، وترقب باقى كلامها صامتا وواجما ..

استأنفت الفتاة حديثها وقالت :

ـ أريدك أولا أن تجيبنى بصراحة : هل ترى فى مقابلة صديقك فائدة تستحق كل ما بذلته من عناء .. ؟

قاوم اعياءه وغالب انكساره ، ونطق قائلا :

ـ أجل ..

سألته بلهجة تخلو من الاقتناع :

ـ وما هى تلك الفائدة .. ؟

تلعثم وهو يتشبث بالاصرار ويقول :

ـ الود ..

ـ وما هو الود .. ؟

ـ صلة قوية بين اثنين من البشر ، بصيرة نافذة قوامها الرحمة ، عناق أرواح يعين على مشقة الحياة ويساعد على استمرارها ..

تضاحكت وقالت :

ـ أنت حالم جدا ، وهذا يعرضك للمتاعب ..

ومالت عليه وألصقت وجهها بوجهه وأكملت :

ـ دعك من كل ما تفكر فيه ، وعد الآن فورا قبل فوات الأوان . عد من حيث أتيت وانتظرنى هناك . سوف آتى اليك وأسقيك من ينبوع متعمى وأخلصك من وحدتك ..

انتفض واقفا وقال :

ـ لا . أريد أن أقابل صديقى ، الآن وفورا ..

ابتسمت وقالت :

ـ صديقك هو الذى أوصانى أن أعرض عليك هذا العرض السخى . أنا خادمته وأنفذ أوامره ..

قال متحديا :

ـ أريد أن أسمع هذا الكلام منه هو شخصيا ..

قالت بتحذير لا يخلو من الاستهانة :

ـ انك تضيع على نفسك فرصة لا تعوض ..

ركب رأسه وأصر على عناده :

ـ لابد أن أقابل صديقى الآن ، وفورا ..

نهضت وســـوت ملابســـها ، ومشت لتبلغ صديقه بوصوله ..

لم تنقض غير ثوان معدودات اثر أن وضعت الفتـــاة سماعة التليفون ، حتى فتح باب جانبى وخرج من ورائـــه شخص سريع الخطوات . ولما اقترب منه همس فى أذنه معاتبا :

ـ لماذا جئت .. ؟ ألا ترى كم أنا مشغول .. ؟ ولماذا ترفض العرض الذى تقدمت به لك هذه الفتاة الساحرة .. ؟ أكيد أنت مجنون .. أنت مجنون أكيد ..

وظل الشخص الذى خرج من وراء الباب الجانبى للحجرة الواسعة الفخيمة يردد ذلك القول مرات ومرات حتى أقنعه انه لن يقابل صـديقه الذى تجشم المتاعب والمشاق لكى يقابله ويفضى اليه بما فى نفسه ويبثه شجونه أبدا ..

الاسكندرية : محمود حنفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحمار والمرآة

مسرحية من فصل واحد

د. عبد الغفار مكاوى

الشخصيات :

- **جحا**
- **تيمورلنك**
- **حارس تيمورلنك الخاص**
- **قائد**
- **حراس وجنود مختلفون**

« خيمة تيمور لنك الحريرية ... وفرسانه يحاصرون مدينة جحا « آق شهر » بالأناضول استعدادا لغزوها حارسه الخاص يساعده على ارتداء ملابسه .. تسمع بين حين وحين أصوات أبواق وصلصلة سلاح كما ترى أشباح جنود تتحرك في الخلف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحارس : (ممسكا بفردة حذاء) : لم تبق الا هـــذه الفردة يا مولاى ..

تيمور : قلت لك لا أريد ..

الحارس : ويسير مولاى حافيا .. ؟

تيمور : (ينهض ويتمشى) : وما الضرر ؟ .. هل قالوا لك انى ولدت بحذاء فى قدمى .. ؟

الحارس : لم يقل أحد هذا ، ولـكن لن يصـدق أحـد أن تيمور لنك العظيم ..

تيمور : دعنى وشأنى .. قلت لك اذهب واتركنى وحدى ..

الحارس : عفوا يا مولاى .. ولكن من يتصور أن الملك الذى يضع التاج على رأسه يسير بقدم حاف ؟ من يتصور أن القدم التى تدوس على نصف العالم تمشى عارية .. ؟

تيمور : نفاق .. نفاق .. كلكم تجيدون هذا النفاق سواء كنت تيمور لنك السفاح الجبار أو كنت أضعف خلق الله .. المهم أن تروا التاج على الرأس أو السيف فى اليد ...

الحارس : ولكن يا مولاى ..

تيمور : قلت لك دعنى .. ألا ترى كيف لا أحتمل الكلام .

الحارس : أجل يا مولاى .. وقد عرفت دائما عنك .....

تيمور : تكلم .. ماذا عرفت .. ؟

الحارس : عرفت حبكم للصمت .. سمعت انكم تجلسون دائما وحدكم ، بجبين مقطب ووجه مكفهر حزين ..

تيمور : حزين .. ؟ نعم هذه هى الكلمة المناسبة .. هل جربت البكاء مرة واحدة فى حياتك يا ولدى ؟

الحارس : مرة .. ؟ بالطبع يا مولاى .. أظن اننى لا أختلف فى هذا عن أى انسان .. ولكنى لا أصدق ..

تيمور : لا تصدق أن تيمور لنك يمكنه أن يبكى ..

الحارس : لم أقصد هذا يا مولاى .. فانت ايضا بشر ..

تيمور : لأول مرة تترك النفاق . نعم أنا أيضا بشر ولكن الناس تنتفض رعبا اذا سمعت باسمى . انهم يسمونني الشيطان الأكبر والسفاح الأعظم والأسد الفاتك والاله الأعمى .. انهم لا يعرفون أن تيمور له قلب مثلهم ولا يتصورون أنه يبكى فى بعض الأحيان .

الحارس : ان أذنتم يا مولاى ... متى ؟

تيمور : متى بكيت ؟ .. بكيت دائما يا ولدى .. بدموع جامدة تغيب فى نفسى كأنها تغيب فى أعماق البئر ، كنت

في طفولتي أجلس على سطح بيتنا في المدينة الخضراء ، أمد بصري الى القوافل الذاهبة الى سمرقند ، وأسمع نشيد الفلاحين في عودتهم من الحقول ، ونداء المؤذن يدعو الناس للصلاة وأحاديث التجار والدراويش والشحاذين عن القوافل والحرب والمعارك ، كانت أمي قد ماتت وأنا صغير فلم أتذكر ملامح وجهها ، وكان أبي دائم الجلوس مع المشايخ والعلماء .. ثم ذهب الى صومعة انصرف فيها الى العبادة ..

الحارس : طفولة حزينة يا مولاى .. ألم يكن لك رفاق ، أتراب لعب ..

تيمور : هؤلاء أيضا كانوا دائما يعجبون لحالي ، كنت أسير بينهم مطرق الرأس كثير التفكير قليل الضحك ، لم يكن عبثهم يحرك في شعرة واحدة ، وكلما سألوني عن السر في ذلك أقول : على المرء أن يسلك الطريق الذى كتبه القدر ..

الحارس : وهذا القدر يا مولاى ..

تيمور : الحزن يا ولدى

الحارس : الحزن ؟ أيمكن أن يصنع الحزن رجلا .. لا بل ..

تيمور : نعم الحزن انه المسئول عن كل شيء عبوس الوجه تقطيب الجبين .. الصمت .. الصمت الدائم الذى لم أكن أخرج عنه .

الحارس : لا أفهم يا مولاى ..

تيمور : لم أكن كما تعلم ابن ملك كالاسكندر ولا ابن زعيم قبيلة مثل جينكيزخان .. ولكن الحزن هو الذى علمني الطموح .. هل تعرف من الذى حببني في الدم .. ؟ الحزن . هل تعرف من الذى فتح شهيتي لرؤية آلاف الرؤوس المقطوعة ؟ الحزن .. هل تعرف من الذى علمني القسوة التي لا ترحم الطفل ولا المرأة ولا الشيخ ؟ الحزن .. الحزن .. الحزن ..

الحارس : مولاى .. لا أتصور أن الحزن يمكنه أن يغلب الهند والصين وفارس وما بين النهرين .. أن ينتصر على كل الأعداء ويفتح كل الحصون .. أن يبث الخوف في نفوس الملوك والفرسان والعامة .. أن يكون ملك العالم ..

تيمور : نعم هو الحزن .. الحزن الذى جعلني أمشي وحيدا الى سمرقند لا أملك غير سيفي وليس معي سوى خادمي عبد الله ، الحزن هو الذى جعلني أصبح ملك العالم كما تقول .

الحارس : معذرة يا مولاى ، هل أتوسل اليكم بلبس هذه الفردة حتى يتم الحزن .

تيمور : ويحك ألا يتم الحزن الا اذا لبستها ؟

الحارس : ولكن منظركم هكذا .. أخاف أن أقول ..

تيمور : منظر مضحك ؟ ولكنه لا يضحكني كما ترى .. ولن يضحك أحدا .. اذ لم يخلق من يجرؤ على الضحك في وجه تيمور .. (بعد قليل) أين ذلك الرجل الذى طلبته .. لماذا تأخر ؟

الحارس : جحا ؟ .. انهم يبحثون عنه من ثلاثة أيام ..

تيمور : أريد اليوم أن أضحك .. أضحك من القلب .. أضحك وأضحك وأضحك ..

الحارس : اذن فليضحك مولاى .. يكفي أن يراني أجرى وراءه بهذا الحذاء فيضحك .. (يحاول أن يجرى فينظر اليه تيمور فيتجمد في مكانه .)

تيمور : أريد هذا الرجل .. ماذا كان اسمه ؟

الحارس : جحا يا مولاى ..

تيمور : وماذا تعرف عنه ؟

الحارس : أعرف عن حماره ، أكثر مما أعرف عنه .

تيمور : حماره ؟ .. ألم أسمع أنه قاض ؟ .. هل يتاجر أيضا في الحمير .. ؟

الحارس : أنه لا يكاد ينفصل عن حماره ، الناس لا يعرفونه من ملابسه لأنه يغيرها كل يوم . ولا من صنعته فهو يوما قاض أو واعظ في جامع أو معلم في مدرسة أو سائح في بلاد الله . ولا حتى من زوجته فهم يقولون أن له أكثر من زوجة ، وربما كان هو نفسه لا يعرفهن ، ولكنهم اذا رأوا حماره عرفوا مكانه ..

تيمور : وكيف سيهتدى اليه فرساني ؟ هل يعرفون ذلك الحمار .. ؟

الحارس : يعرفونه .. ؟ انه أشهر حمار في المدينة ، بل أشهر حمار في التاريخ .. انه ابنه ورفيق عمره ، ومستشاره وكاتم سره .

(ضجة في الخلف .. صوت جحا يصيح مستغيثا : حمارى .. حمارى .. ويدخل وهو يقول في غضب شديد .)

حمارى .. حمارى أيها الملاعين ! حمارى أيها اللصوص ! والله لا أعدل به قافلة جمال .. والله لا أرضى بفرسان تيمور كلها عوضا عنه .. والله ولا حتى بتيمور نفسه .. (يتلفت حوله ويستعيذ بالله) .. أقصد لا أرضى أن يركبه غيرى .. ولو كان هو نفسه أعوذ بالله من اسمه .. حمارى يا ناس .. حمارى يا عالم ..

الحارس : ما هذه الضجة أيها الرجل ؟ .. ألا تعرف أين أنت .. ؟

تيمور : (همسا للحارس) حذار .. لا تقل شيئا ..

جحا : وأين أكون اذن .. ؟ في جنة عدن .. ؟ في قصر أمير المؤمنين ؟ حمارى أيها اللصوص .. ألستم من فرسان تيمور ؟ أليست صناعتكم هي السلب والنهب والسطو على أملاك الناس وحميرهم ؟

الحارس : هل أحتمل هذه البذاءة كلها .. ؟

تيمور : هش ، قلت لك لا تفتح فمك ، أوصهم أيضا الا يدخل علينا أحد ·· (جحا) هيه · ماذا تريد ايها الرجل ؟ عم تبحث ·· هل أستطيع أن أساعدك ·· ؟

جحا : ماذا تريد ·· ؟ عم تبحث ؟ وكيف تساعدنى بالله عليك وأنت أصم ؟

تيمور : قل لى ماذا تريد ·· ؟

جحا : يظهر انك لست أصم فقط ، بل غبى أيضا ·· ألم أصح بملء صوتى ؟ ألم أصرخ كالمجنون ·· ؟

تيمور : هيه ·· فهمت ·· لقد ضاع منك شىء وتبحث عنه ·

جحا : ما شاء الله ·

تيمور : هل قلت انه حمار ؟ ·

جحا : نعم والله ·· وفيه شبه منك ·

تيمور : وكيف دخل الى هنا ·· ؟

جحا : كيف يدخل الى هنا ·· ؟ كما يدخل كل شىء بقدرة قادر (يشير اشارة السطو والسرقة) ·

تيمور : هل هرب منك مثلا ·· ؟ هل ضاع ؟

جحا : هرب ·· ضاع ؟ والله ان لك لأسئلة لا يسألها حمارى ·· وهل يهرب شىء أو يضيع وفرسان تيمور احياء يرزقون ؟ ان الهواء نفسه يخاف منهم · الشمس نفسها تخشى أن يسرقوا نورها ·· البحر والسماء والرياح ··

تيمور : كفى ·· كفى ·· أين كنت حين اختفى حمارك ·· ؟

جحا : (مقلدا صوته) كنت أنا وهو نختفى منكم ·

تيمور : (بصبر شديد) وأين ؟

جحا : وأين اختفى حتى لا يرونى ؟ أين أختفى حتى لا يعرفوا أننى حى أرزق ؟ فى الجبانة طبعا ·· نزلت فى أحد القبور المفتوحة حين أبصرتهم من بعيد ·

تيمور : (مبتسما وهو يقترب منه) : ومعك حمارك ·· ؟

جحا : يالذكاء الفرسان ! هل كتب على أن أتحمل ذكاءكم بعد أن تحملت شجاعتكم ؟

تيمور : تكلم ·· هل كان الحمار معك ·· ؟

جحا : بالطبع لا أيها الفارس الذكى الشجاع ·· تركت حمارى يرعى وأسرعت باخفاء نفسى فى قبر مفتوح وجدته صدفة أمامى ·

تيمور : كيف كان هذا ·· ارو الحكاية ··

جحا : يا عم أنا لم أجىء لأروى حكايات انما جئت لأبحث عن حمارى ·· حبيبى وصديقى ومنى عينى ·

تيمور : ورفيق عمرك ومستشارك وكاتم سرك ·

جحا : ومن أين عرفت ؟ ·· ان أحدا لا يعرف هذا ·· هل قاله لك الحمار بنفسه ·· ؟

تيمور : ربما ··

جحا : اذن ساعدنى فى البحث عنه ·

تيمور : ألم أعرض عليك هذا من قبل ؟ هيا نتكلم · ماذا فعلت حين رأيت الفرسان ؟

جحا : وماذا أفعل بالله عليك ؟ ماذا أفعل أيها الفارس الطيب ·· (يرى قدمه الوحيدة حافية فيضحك) ·· ماذا يفعل رجل على نياته مثلك حين يرى أحد فرسان تيمور ·· ؟

تيمور : (متجاهلا نظراته الى قدميه) نعم ماذا يفعل ·· ؟

جحا : يرتعش وينتفض ·· يتصور عزرائيل أمامه ·· يقرأ الشهادة على روحه ··

تيمور : حسن جدا ·· ولهذا أسرعت الى القبر المفتوح ؟

جحا : خلعت ملابسى أولا ·· ثم دخلت القبر كما ولدتنى أمى ·· ولما اقترب الفرسان ورأونى فى القبر عارى الجسم استغربوا حالى وسألونى : ماذا تفعل فى القبر يا هذا ؟ فحرت فى الجواب ولكننى استدركت بسرعة ·· أنا يا سادتى الفرسان من أهل القبور ، أرقد هنا من عشرات السنين ·· وقد سئمت طول المكث فاستأذنت ربى أن أخرج قليلا للفسحة ··

تيمور : (يضحك بصوت عال) ·

جحا : (ينظر اليه) : هكذا ضحكوا يا سيدى ·· ولكنهم لم يكتفوا بالضحك ··

تيمور : وماذا فعلوا ·· ؟

جحا : أعوذ بالله ، أبعد هذا كله تسألنى ماذا فعلوا ·· ؟ سرقوا حمارى الذى جئت أبحث عنه فاذا بحضرتك تعطلنى كل هذا الوقت (جحا يبحث فى كل ركن فى الخيمة تحت المقاعد ·· بين الكراسى ·· تحت السرير ·· وراء قماش الخيمة ، وهو يقول ·· :) حمارى ·· حمارى ·· اظهر يا نور عينى ، اظهر ولا تخف ·· أنا لست من فرسان تيمور السفاح ·· أنا صاحبك ·· صاحبك جحا المسكين ·· أرجوك يا حمارى ·· نهقة واحدة ترد روحى ·· (يقترب من تيمور لنك) ·

جحا : (يرفع ثوب تيمور لنك وينظر فى داخله وتحته) هل أنت هنا يا حبيبى ·· ؟

تيمور : ماذا تفعل يا جحا ·· ؟

جحا : عدت للسؤال يا ذكى ؟

الحارس : (يتقدم اليه غاضبا) أجننت أيها الأحمق ؟ أتبحث فى ثوب ··

تيمور : حذار ··

الحارس : فى ثوب هذا الفارس الشجاع عن حمارك ·· ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جحا : (بثبات وهو يواصل البحث) : ولم لا ؟ .. وهل يصعب شيء على الفرسان الشجعان من أمثاله .. انهم يسرقون مال النبي ويخطفون الكحل من العين .. يلهفون الرؤوس من على الأجسام .. انحن قليلا يا رجل ..

الحارس : كيف تخاطب الفارس بهذه اللهجة .. ؟

جحا : وما المانع ؟ .. وهل بقي شيء بعد أن ضاع الحمار ؟ .. (يمد يده الى عمامة تيمور وتيمور مستسلم له) .

الحارس : وهل يختفي الحمار في العمامة يا أحمق .. ؟

جحا : وهل هي ككل العمامات يا غبي .. ؟ هل تضيق عمامة احد فرسان تيمور عن حمار صغير لطيف مثل حماري ؟ .. أسنانك يا رجل ..

الحارس : (صارخا) وتبحث في أسنان مولاك أيضا .. ؟

جحا : وما المانع أيها الغبي العنيد ؟ ثم من الذي سماه مولاي ؟ هذا الجلف الضخم الـ ...

الحارس : (وقد نفذ صبره) انه تيمور لنك يا أحمق .. انه تيمور لنك ..

جحا : من ؟ .. ماذا قلت .. ؟

تيمور : (يربت عليه بهدوء للحارس) لا فائدة منك يا غبي لا تخف يا جحا . (جحا يسقط على الأرض مغشيا عليه ، تيمور لنك ينحني ويحاول أن يفيقه من غشيته . جحا يفتح عينيه ثم يقفلها بسرعة .. يرفع رأسه ثم لا يلبث أن يخفضها ويتماوت ..)

تيمور : اصح يا جحا .. اصح .

جحا : من ينادي علي ..

تيمور : أنا يا جحا بجانبك .

جحا : من .. ؟ عزرائيل .

تيمور : بل السلطان تيمور لنك ..

جحا : آه .. الله يرحمني ، ظننت أنني لازلت أطالع في الروح .. (يتماوت) .

تيمور : أفق يا جحا .. قلت لك لا تخف ..

جحا : الحمد لله أنني مت من زمان .

تيمور : لم تمت بعد .. الا تسمع صوتك ؟

جحا : ضعت وضاع حماري أنا . كنت على ظهره فضعت معه .

تيمور : (يضحك) : هيا أفق .. قلت لك لا تخف .. (ينهضه بالقوة) .

جحا : أسرع يا مولاي .. أسرع .

تيمور : وما الداعي للسرعة يا جحا .. ؟

جحا : ألم تأمر بالسيف والنطع ؟ هيا اضرب رأسي قبل أن أفيق من نومي .. ؟

تيمور : (مدعيا الغضب) قلت لك ألف مرة لا تخف .. أم تريد أن ترى كيف يتصرف تيمور لنك السفاح

جحا : أرجوك يا مولاي .. (يزحف الى قدمه) ها هي قدمك أقبلها .. انها حافية وهذا يسهل الأمر (يقبلها ..) .

تيمور : انهض .. قلت لك أفق والا ..

جحا : لا لا .. أفقت وصحوت (يتحسس رأسه) .. ومازال رأسي على كتفي أيضا .. أشكرك يا مولاي .. أشكرك وأتوسل اليك ..

تيمور : (يأخذ بيده في لطف ويتجه به الى أريكة) بل أنا الذي أتوسل اليك ..

جحا : أنت يا مولاي .. ؟ ملك العالم يتوسل لحمار مثلي ؟ .. (يمتنع عن الجلوس ..)

تيمور : اجلس ..

جحا : .. وأجلس أيضا ؟ .

تيمور : قلت لك اجلس أتدري لماذا أرسلت اليك .. ؟

جحا : مولاي أرسل الى أنا .. ؟

تيمور : فرقة كاملة من الفرسان تبحث عنك في كل مكان .. من ثلاثة أيام وهم يسألون عنك . كان يجب عليهم أن يسألوا عن حمارك ..

جحا : وجدته يا مولاي ؟ يا مولاي وسرقوه ..

تيمور : سأتحقق من هذا بنفسي .. اجلس الآن بجانبي (جحا يجلس) .

جحا : واذا لم تجده يا مولاي .. ؟

تيمور : أعوضك عنه .. هل قالوا لك أن تيمور لنك فقير أو بخيل ؟

جحا : عفوا يا مولاي .. ولكن حماري لا يعوضه شيء ..

تيمور : اذا لم أعثر عليه فسأعوضك تعويضا كافيا .. سأعطيك جرابا مملوءا بالذهب في حجم الجراب الذي تضع العلف فيه ..

جحا : المهم هو أن تجده يا مولاي .. وتستطيع أن تعطيه الذهب وتترك لي العلف .

تيمور : أتحبه الى هذا الحد يا جحا .. ؟

جحا : أحبه ؟ . ان كلمة الحب لا تكفي يا مولانا .. لقد ربيته كابني .. اخلص لي أكثر من زوجتي وأولادي .. فهمني أكثر من كل الناس .. واساني حين لم أجد أحدا يسمع شكواي . تحمل حماقاتي حين ضاق بها الجميع .. أتقول أحبه ؟ في بعض الأحيان أتصور أنه ظلي .. لا بل أنني ظله ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تيمور : (يضحك) .. لابد أنه شديد الاخلاص لك يا جحا .. الم تفكر مرة فى بيعه .. ؟

جحا : كلما ضاقت بى الحال وسدت فى وجهى أبواب الرزق فكرت فى بيعه . ولكنى كنت أشترط على الشارى شرطا لم يرض به أحد ..

تيمور : وما هو هذا الشرط يا جحا .. ؟

جحا : أن يشترينى معه .. أن يأخذنى لأكون بجانبه .

تيمور : (ضاحكا) الناس معذورون لرفضهم هذا الشرط يا جحا ..

جحا : اننى اخشى عليه حتى من نفسه .. يخيل لى أنه لو ضاع لضعت معه .. ولو مات فلابد أن أموت أنا ايضا .. جاء جارى يطلب اعارته فقلت اننى ذاهب للحمار أستشيره فعساه يقبل .. ثم دخلت الى الاصطبل وعدت لأقول له : لقد استشرت الحمار فلم يرض لأنه يزعم أن ملاك الحمير أوحى اليه بأنك ستضربه ضربا مبرحا وتشتمه وتسبه هو وصاحبه ..

تيمور : ملاك الحمير ؟ ها ها .. وماذا تفعل لو خانك الحمار تنهق مثلا ..

جحا : فعلها يا مولاى .. جاءنى جار آخر يطلب نفس الشىء .. قلت له ان الحمار فى السوق وما كدت أتم عبارتى حتى بدأ الخائن ينهق بصوت منكر من داخل الاصطبل فقال جارى : يا شيخ ! هذا الحمار يملأ الدنيا نهيقا وتنكر أنت وجوده ؟ واسمعنى طول لسانى فهززت رأسى وقلت : ما أغربك من رجل ! أتصدق الحمار وتكذب هذه اللحية الشائبة (تيمور يضحك ..) (يدخل أحد قواد الجيش .. ينحنى لتيمور لثم يحيى بجلبة السلاح ويقول) .

القائد : مولاى .. الفرسان ينتظرون الاشارة ..

تيمور وجحا : (معا) هل وجدتم الحمار .. ؟

القائد : (مرتبكا) حمار .. ؟ ماذا تريد يا مولاى .. ؟

تيمور : ماذا تريد أنت أيها القائد ؟ ماذا يريد فرسانى الشجعان .. ؟

القائد : ماذا يريدون ؟ .. لا يريدون الا ما تشاء ارادتكم يا مولاى .

تيمور : تبا لك يا جحا .. لقد نسيت لماذا كلفت الفرسان بالاستعداد ؟ . ذكرنى أيها القائد .

القائد : انهم على أهبة الاستعداد يا مولاى .. سيوفهم تتحرك شوقا لطعن هؤلاء الخبثاء ..

تيمور : الخبثاء ؟ .. من هم أيها القائد ؟ طالما أرحنا خبثاء كثيرين من نفوسهم الخبيثة .

القائد : ومن غيرهم يا مولاى ؟ أهالى آق شهر ..

جحا : (قافزا من مكانه) من .. ؟

القائد : الذين لا يخافونا بقدر ما يعبثون بنا ..

تيمور : يعبثون ؟ وكيف هذا أيها الفارس .. ؟

القائد : لم يخلق بلد فيها من الحمير بقدر ما فى بلدهم .. تصور انهم يرسلون الحمير للتجسس علينا

تيمور : (فجأة) وهل وجدتم بينها حمار جحا .. ؟

جحا : نعم يا ولدى .. اننى أستطيع التعرف على نهيقه من بين ألف حمار .. أرجوك يا ولدى

القائد : اننا نقتلها أولا بأول .. ونستعد الآن لتاديب أهلها ..

جحا : مولاى .. أتوسل اليك ..

تيمور : أيها القائد .. دعنى الآن قليلا . قل للفرسان أن يستريحوا حتى يأتى تيمور ..

جحا : أتوسل اليك يا مولاى .. انهم ضعاف مساكين ..

تيمور : قلت أنا الذى أتوسل اليك ، هيا عد الى مكانك ..

جحا : العجزة والأطفال والنساء ..

تيمور : قلت لك اجلس .. نعم هنا بجانبى .. هل تعلم لماذا أرسلت اليك .. ؟

جحا : لو كان حمارى معى لعرفت يا مولاى ..

تيمور : (ضاحكا) لا أشتهى سماع نهيق الحمار .. اريد ان اسمعك انت يا جحا .. ماذا كنت تقول .. ؟

جحا : ماذا كنت أقول ؟ .. انتظر حتى أستشير حمارى ..

تيمور : ولكنه ليس معنا يا جحا .

جحا : ولكن روحه دائما معى يا مولاى .. انتظر .. انتظر ما رأيك يا حمارى ؟ .. صحيح .. صحيح ..

تيمور : (ضاحكا) .. زدنى يا جحا ..

جحا : ماذا أقول يا مولاى .. ؟

تيمور : لا تقل شيئا أضحكنى .. أضحكنى .

جحا : انك تضحك يا مولاى .

تيمور : لا أريد هذا الضحك .. أريد أن أضحك من القلب .. الضحك الذى يغسل الروح ويطهر الجسد .. الضحك الذى يغسل الدماء من ضميرى وينسينى منظر الرؤوس المقطوعة والأجسام المصلوبة والبيوت المحترقة والمآذن المهدمة .. الضحك الذى ينسينى الخراب والموت والدم فى كل مكان داسته قدماى .

جحا : (ينظر الى قدمه الحافية ويضحك) .

تيمور : ما الذى يضحكك يا جحا .. ؟

جحا : تمنيت لو كان حمارى هنا .

تيمور : وماذا كان يفعل .. ؟

جحا : ربما كنت استعرت حدوته وأعطيتها لك ..

تيمور : (ضاحكا) قل لى يا جحـــا ·· كيف تضـــحك الناس ؟ ·· كيف تزيل العبوس من وجوههم ؟ كيف تحيى الابتسامة على شفاههم ·· ؟

جحا : أنا اضحك الناس ؟ ·· من قال هذا يا مولاى ؟ ·· انهم هم الذين يضحكون على أنفسهم اريهم العـالم المقـــلوب الذى يعيشون فيه فيكتشـــفون أنه عالمهم ويضحكون ·· اسير امامهم على راسى أو امشى على اربع كما يفعلون فيكتشفون أنهم كانوا يفعلون ذلك دائما فيضحكون · ابين لعلمائهم ومشايخهم أنهم يقلبـون اللغة ايضا على رأسها فيضحك الناس منهم ويطاردوننى فى البلاد ·· اننى لا أضحك الناس يا مولاى ·· لم يخلق انسان له هذه الموهبة الخارقة أننى اريهم وجوههم فى المرآة ··

تيمور : تريهم وجوههم فى مرآة ·· وما هى المرآة يا جحا ؟ ·

جحا : (بينما يبحث فى جيـــوبه) ·· اختراع غريب يا مولاى ·· لا أدرى ان كنتم قد سمعتم به أو لا · ربما اخترعه الناس فى أرض فرعون ··

تيمور : زدنى يا جحا ·· زدنى عن هذه المرآة ··

جحا : (يخرج بعض الأشياء من جيوبه وعبـــه) رغيف أعطته لى امراتى لأتغدى به ·· أوصتنى أن أطعم منه الحمار وآكل ما يفيض منه ··

تيمور : (يضحك) ثم ماذا يا جحا ·· ثم ماذا ·· ؟

جحا : (يبحث فى جيوبه) ولياس أيضا ·· كان منشورا على الحبل ومازال مبتلا ·· هل تدرى لماذا أعطته لى امراتى ؟ ·· لانى كثيرا ما ابول على نفسى يا مولاى · عادة قديمة لم استطع التخلص منها ··

تيمور : (ضاحكا) والمرآة يا جحا ·· المرآة ·

جحا : (يبحث فى جيوبه) أظن أنها أعطتها لى أيضا ·· لأنظر فيها كلما اردت ان اضـــحك او اتاكد أننى مازلت حيا ··

تيمور : أين هى يا جحا ·· ؟ ·· أين هى ؟ ··

جحا : (يخرج من جيبه مرآة صـــغيرة فى حجم الكف) أخيرا ·· ها هى يا مولاى ··

تيمور : (يسرع نحوه) أرنى يا جحا ··

جحا : انتظر يا مولاى ·· انتظر ·· أتظنها مرآة عادية ؟ أتحسب أن كل من هب ودب يســـتطيع أن ينظر فيها ·· ؟ ·· انها مرآة يستطيع الانسان أن يرى فيها كل شىء ··

تيمور : وماذا يرى جحا ·· ؟ هل هى حقا البلورة المسحورة التى سمعنا عنها ؟ ··

جحا : فى بعض الأحيان يا مولاى تطل فيها كما تطل فى أعماق بئر ·· قد ترى هناك قصورا مسحورة وعذارى وبساتين وفاكهة من كل نوع ·

تيمور : أرنى يا جحا ·· ارنى هذه المرآة ·· هذه البلورة المسحورة ··

جحا : وقد ترى فيها شياطين مردة بذيول وقرون فى جباهها ونيران تخرج من عيونها وأفواهها وأنوفها ··

تيمور : لنترك هذه الشياطين يا جحا ·· لنر القصـــور المسحورة والعذارى ··

جحا : قد ترى وجها لم تره من سنين وسنين ·· وجـــه أبيك أو أمك أو معلمك أو حبيبتك ··

تيمور : شىء غريب يا جحا ·· وماذا أيضا ؟ ··

جحا : وقد ترى شيئا تضحك له ·· تضحك كما لم تضحك فى حياتك أبدا ··

تيمور : (مقاطعا) هذا ما اريده يا جحا ·· هذا ما أتوسل اليك أن تحققه لى ·· لهذا أرسلت فرسانى يبحثون عنك ثلاثة أيام وليال ·· أرجوك يا جحا ·· أتوسل اليك ·· اريد أن اضحك ·· أضحك من قلبى كما لم اضحك فى حياتى ·· اريد ان أنسى حزنى وعبوسى وصمتى ·· أرجوك يا جحا ··

جحا : مادمت ترجونى فلا مانع ·· هيا تعال هنا ··

تيمور : (صائحا) أين يا جحا ؟ ·· أين البئر ·· ؟ (يبحث حوله) ·

جحا : أية بئر يا ·· (يتدارك نفسه) يا مولانا ·· أنظر هنا ·

تيمور : نعم ·· نعم ·· ماذا أرى ؟ ·· أهو وجه انسان يا جحا ·· ؟

جحا : المسألة ليست سهلة الى هذا الحد ·· (لنفسه) وجه انسان ؟ ·· أيعقل أن يكون وجه انسان ؟ ·· أيمكن أن يكون وجه انسان ؟ ··

تيمور : ماذا تقول يا جحا ·· ؟

جحا : نعم ماذا أقول ؟ ·· أولا ·· عليك أن تسكت تماما ·· أن تنظر فقط وتسكت ·· تماما كما يجلس الأطفال أمام صندوق الدنيا ·· هل جلست ؟ ·

تيمور : نعم يا جحا ·· وأنتظر أن تفسر لى ما أراه ··

جحا : (آمرا) قلت لك اسكت ·· هل ترى هذا الوجه ·· (يمسك المرآة أمام وجـه تيمور) انظر جيدا ·· هل تبصر قرنين فى جبينه ؟ ·· هل تلمح النار التى تخرج من عينيه وأنفه وفمه ؟ ··

تيمور : لا يا جحا ·· ولكنه وجه غريب ·

جحا : قلت لك اسكت ·· نعم هو وجه غريب ·· صاحبه قوى الجسم ، مفتول العضل ، كبير الرأس كالمجانين ، واسع العينين تظهر فيهما الصرامة والقسوة والتكبر ·· هل ترى جبينه ؟ ·· أنه عريض ، ممتلىء بالتجاعيد ، لا يدرى أحد ماذا يدور فى داخله · رأس محمـوم يغلى كقـــدر الساحرة الشمطاء بالأوهـــام والخيـالات والأحلام ··· أتدرى من صاحبه ؟ قلت لك اسكت ·· كان طفلا عاديا نشأ فى بيت عادى ·· بيت من الطين والأخشاب ، حوله سور من الطين ذو جدران أربعة ·· ماتت أمه وهو صغير فحرم من عطفها ·· وانعزل أبوه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتعبد فى صومعته فحرم من حنانه . هل تدرى ماذا كان يفعل ؟ .

تيمور : (لنفسه) هذا الشارب .. أيمكن .. ؟

جحا : (بشدة) قلت لك اسكت ولا تفتح فمك ، كانت تسليته الوحيدة أن يجلس على سطح البيت وينظر للفضاء البعيد ويحلم بمدينة القوافل والذهب والنساء الجميلات ، المدينة التى يحدثه عنها التجار والفرسان والدراويش .. من هنا بدأ يعرف الوحدة ، والوحدة علمته الصمت ، والصمت علمه العبوس ، والعبوس علمه الطموح ، والطموح دفعه أن يمسك السلاح ، والسلاح اغراه أن يهدم ويخرب ويقتل .. والقتل دفعه الى المزيد من القتل ، والمزيد من القتل الى المزيد منه ..

تيمور : عجيب يا جحا .. هل يستطيع رجل واحد أن يفعل هذا كله .. ؟

جحا : ألم أقل لك لا تفتح فمك .. ؟

تيمور : جحا .. أنسيت أنك تكلم ..

جحا : هش ! أتريد أن تختفى الرؤية من أمامك ؟ .. أتظن أن الانسان يمكن أن يرى مثل هذا الوجه مرتين فى حياته ؟ .. اجتمع القتلة حوله من كل الأجناس والشعوب والقبائل . وكلما غزا قبيلة أو أسقط قلعة أو أحرق مدينة انضم اليه المزيد من القتلة ، ومضى بفرسانه من بلد الى بلد ، يغلبون خصومهم فى كل مكان ، ينتصرون على كل عدو ، يقتحمون كل حصن ، يفتكون بكل انسان وحيوان .

تيمور : أيمكن أن يكون هذا ؟ ..

جحا : هش ، قلت لك اسكت .

تيمور : (لنفسه) ترى هل يكرر التاريخ نفسه ؟

جحا : أتريد أن يختفى الوجه من أمامك ؟ .. أنظر .. ألا ترى العين تزداد حزنا والشعر شيبا ، والجبين يمتلىء بالتجاعيد ..

تيمور : ماذا كان يريد صاحبنا ؟ ..

جحا : ماذا يريد ؟ .. أن يفتح العالم كله .. أن يقف فوق الأرض ويقول : هل فيك شبر لم تمش عليه أقدام خيولى وفرسانى .. ؟ .. أن يحرق كل مدينة ويمعن السيف والسلب والنهب فى كل شىء .. هل تعلم ماذا فعل فى مدينة حلب ؟

تيمور : وهل ذهب الى هناك أيضا ؟ ..

جحا : أتريد أن ينضب منك ويختفى ؟ .

تيمور : لا .. لا .. انه وجه غريب حقا .. تكلم يا جحا ..

جحا : ترك جنوده يقتلون ويحرقون وينهبون كما يشاءون .. حتى صار الانسان لا يكاد يقع الا على جثة انسان .. هل تذكر شكل المآذن ؟ .. هل سمعت بأهرام فرعون ؟ يقولون انه بنى من رؤوس القتلى عشرة مآذن وثلاثة أهرامات .. عشرون ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب ماتوا تحت أرجل الخيل أو بسيوف الفرسان .

تيمور : يخيل الى يا جحا ..

جحا : لا تتخيل شيئا .. قلت لك أنظر وأنت ساكت ، هل تعلم ما يقوله الناس عما فعله فى دمشق .. ؟

تيمور : وهل دخل دمشق أيضا ؟ ..

جحا : وهل بقيت هناك مدينة لم يدخلها ؟ .. يقول العجائز انه أمر رجاله باقتحام المدينة وسيوفهم مشهورة فى أيديهم .. نهبوا ما قدروا عليه وسبوا النساء جميعا وساقوا الرجال والأولاد بعد أن ربطوهم فى الحبال وأشعلوا النار فى المنازل والمساجد حتى صار اللهيب يناطح السحاب وعصفت المدينة مثل جهنم .. أتعرف بماذا كان يتسلى وهو يرى هذا كله ؟ ..

تيمور : يتسلى ؟ .. هل وجد الوقت لهذا أيضا .. ؟

جحا : بالطبع .. انها تسلية قديمة ..

تيمور : وماذا كان يفعل يا جحا ؟ ..

جحا : كان يلعب الشطرنج ..

تيمور : الشطرنج ؟ هل أنت متأكد يا جحا ؟

جحا : وهل تعلم أيضا ماذا كان يقول لأتباعه وهو يرى النار تأكل الأخضر واليابس ، وتأتى على الحى والميت .. ؟

تيمور : الهى ، ماذا كان يقول ؟ ..

جحا : ان طريقى هو طريق القدر .. كل ما فعلته كان مقدرا ..

تيمور : نفس الكلام يا جحا .. نفس الكلام .

جحا : قلت لك اسكت حتى لا يختفى فى البئر .

تيمور : يخيل الى أنه وجه عجيب يا جحا ..

جحا : هل وجه ضحك يا مولاى .. ألا تحس بالرغبة فى الضحك وأنت تراه ؟ .. ألا تريد أن تضحك

(يضحك بشدة) أليس من المضحك أن يحاول الانسان أن يكون قدرا ، كان يصبح شيطانا ، أن ينوب عن الموت ؟ تصور يا مولاى ، ماذا كنت تفعل لو قالوا لك ان صاحب هذا الوجه هو الموت نفسه ؟ ..

(يبعد المرآة) ..

تيمور : (متفكرا .. يذرع المكان جيئة وذهابا) جحا .. هل نظرت فى هذه المرآة .. ؟

جحا : نعم يا مولاى .. كلما اشتقت الى رؤية حمارى ..

تيمور : جحا .. هل خدعتنى يا جحا .. ؟

جحا : خدعتك ؟ .. حاشاى أن أفعل يا مولاى .. وهل غاب عنى انك ...

تيمور : لماذا سكت .. ؟ .. أكمل عبارتك .. اننى السفاح الأكبر ، الرجل الذى أصبح هو القدر والشيطان والموت ..

جحا : وهل جننت يا مولاى حتى أفعل هذا ؟ .. انها المرآة .. البللورة المسحورة ..

تيمور : أريد أن أعرف هذا الاختراع .. والويل لك ان اكتشفت أنك كنت تضحك على ..

جحا : خوفى يمنعنى أن أفعل هذا يا مولاى .. حتى الحمار نفسه ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يدخل القائد بينما يشير جحا مصادفة فى اتجاهه .. تيمور يغالب الضحك ولكنه يتماسك بينما يقول القائد) ..

القائد : الفرسان سئموا الانتظار يا مولاى .. وسيوفهم تشتاق ..

تيمور : (ناظرا الى جحا) .. الى رؤوس سكان آق شهر .. أليس كذلك .. ؟

جحا : (لا يرد) ..

القائد : ولأى شىء يشتاقون غير الرؤوس يا مولاى ؟

تيمور : ولن ينسوا الحمير أيضا .. أليس كذلك .. ؟

جحا : الا الحمير يا مولاى .. أتوسل اليك .. بحق حمارى المسكين .. ارجوك أقبل قدميك ..

تيمور : هيا أيها القائد .. (يغالب الضحك) ولنجرب مذبحة الحمير لأول مرة .. (يخرج مع القائد بينما يقف جحا وحده حائرا ..) .

جحا : (لنفسه) أهكذا تفشل يا جحا .. ؟ .. هل انكشفت لعبتك بهذه السهولة .. ومن الذى كشفها ؟ هذا السفاح الغبى الغليظ ؟ .. أين حكمتك وذكاؤك ؟ .. أين عبطك وخبثك ؟ .. أتضحك على ذقون العلماء والمشايخ والفرسان والتجار ويفلت منك هذا الجلف المتكبر .. ؟ ماذا يكون مصيرك الآن ؟ .. ماذا يكون مصير سكان آق شهر ؟ .. أهلك وأولادك وجيرانك وزوجتك الحمقاء وحمارك الطيب العجوز .. أيكون عبطك هو السبب أم .. أم هذه المرآة اللعينة ؟ .. أكنت تحسب أن هذا التترى المتوحش الذى غزا نصف العالم سيعجز عن معرفة وجهه ؟ .. ويل ، ويل .. ويلك أيتها المرآة الملعونة ، يا أمن تزيدين النساء غرورا والملوك ظلما والمجانين جنونا .. هل يصعب عليك أن تضحكيهم على أنفسهم ؟ ولماذا أضحك الآن على نفسى كلما نظرت فيك ؟ .. أأنا أكثر منهم حكمة أم أكثر منهم غباء ؟ أف ، تعالى (يكسرها بقوة على الأرض فتتناثر قطعا صغيرة فى كل مكان يحاول أن يبكى فيختلط ضحكه وبكاؤه .. يدخل تيمور ..)

تيمور : جحا .. جحا .. ها أنا قد جئت ، أين المرآة ، هاتها لنرى الفرسان فيها أنفسهم نعم نعم ، كما رأيت نفسى أيها الأحمق ، ماذا فعلت ؟ .. أيمكن أن يكسر الانسان بللورة مسحورة ؟ .. (ينحنى على الأرض ويجمع القطع المتناثرة .. يأخذ قطعة منها وينظر فيها ثم .. يضحك ..)

جحا : لماذا تضحك يا مولاى ؟

تيمور : لماذا أضحك ؟ وكيف لا أضحك يا جحا وأنا أرى هذا الوجه لأول مرة ..

جحا : مولاى ..

تيمور : أسكت يا جحا .. هل أطلب منك شيئا .. شيئا واحدا ؟ .

جحا : بالطبع يا مولاى .. مادمت انتظر بين لحظة وأخرى ..

تيمور : أف ، ألم أقل لك لا تخف ؟ اسمع .. أريد أن تصبح نديمى مدى الحياة ..

جحا : (مذعورا) أنا يا مولاى ؟ ..

تيمور : نعم أنت .. لكى أنسى وجهى كلما نظرت فى وجهك .. لكى أستطيع .. (جحا ينفجر باكيا) ..

تيمور : لماذا تبكى يا جحا .. ؟ .. ألا يرضيك أن تكون رفيقى ونديمى ؛ .. ألا يشرفك أن تكون بجوار أشجع رجل وأقوى رجل (يزداد بكاء جحا) تكلم يا جحا .. تكلم ..

جحا : ارحمنى يا مولاى ..

تيمور : اننى لا أفهمك ..

جحا : لقد رأيت وجهك مرة واحدة .. فماذا أفعل أنا لو رأيته كل يوم ..

(تيمور ينظر فى وجهه ثم يضحك ..) .

تيمور : جحا .. جحا .. أيها المغفل أيها الأحمق الحكيم .. (ينظر فى وجهه ويضحك) أتدرى ماذا خطر لى الآن ؟ .. وجهك أيضا مرآة .. الآن عرفت لماذا يضحك الناس عندما ينظرون فيه .. أتعرف كيف اكتشفت لعبتك ؟ .. من شاربى ، تذكرت فجأة أن السفاح الذى تكلمت عنه لا يمكن أن يكون غيرى .. تسألنى لماذا ؟ .. لأنه لا يمكن أن يجتمع سفاحان بشارب من نوع واحد .. شارب تترى نحيل مبروم الى أسفل ومنسدل تحت الذقن .. شاربى الذى طالما شددت شعراته وأنا مطرق صامت أفكر فى كل مذبحة قادمة ها ها (يضحك يدخل القائد فيلمحه) اذهب أيها القائد ، قل للفرسان أن تيمور سيخيب ظنكم لأول مرة فى حياته لن يأمرهم بالحرق ولا الموت ولا التدمير .. قل لهم ان السفاح الأكبر يضحك يضحك لأول مرة على نفسه .. يضحك لأول مرة من قلبه .. أليس كذلك يا جحا (يعانقه ويقبله ويكتشف أن يبكى ويتشنج) لماذا تبكى أيها الأحمق .. ؟ .. أم أنك أنت الضحك على نفسى ؟ .. ألم تعلمنى المرآة هذا ؟ .. لم تخاف اذن ؟ على نفسك ؟ على أهل بلدتك ؟ .. آه ، هيا يا جحا .. اضحك .. اضحك .. اضحك .. هل أعلمك كيف تضحك أنت أيضا على نفسك ؟ .. خذ هذه قطعة من المرآة ترى فيها أنفك الطويل وراسك الغبى وفمك المضحك .. هيا ، اضحك .. اضحك .. (جحا يضحك) ألم تذهب أيها القائد .. ؟ .. خذ .. هذه قطعة من المرآة .. وهذه قطعة أخرى .. وهذه .. أعط كل فارس مرآة ، قل لهم ان تيمور نظر فيها فضحك .. أليس كذلك يا جحا .. وضحك لأول مرة فى حياته .. قل لهم من يضحك على نفسه لا يقتل غيره .. أتخشى أن يمسك كل منهم فى يده مرآة فيتعلمون الضحك وينسون الحرب ؟ .. أليس هذا أيضا شيئا مضحكا ؟ اضحك أيها القائد ، اضحك ، اضحك على نفسك .. كما يفعل تيمور لنك .. لا ليس هكذا .. وأنت أيضا يا جحا .. اضحك .. اضحك لا .. ليس هكذا .. ضحكا أقوى .. أشد .. أعلى نبرة أعلى .. أعلى .. أعلى .

(القائد يقف متسمرا فى مكانه .. يفتح فمه من الدهشة ثم لا يلبث أن يشاركهما ضحكهما الذى يرتفع شيئا فشيئا قبل أن تسدل الستار ..) .

القاهرة : د. عبد الغفار مكاوى

متابعات

حول رواية "تحريك القلب"

توفيق حنا

لعل أصعب ما يجابه الناقد أو القارئ ـ أمام عمل جديد ورواية « تحريك القلب » لعبده جبير ـ هو أن يحـــاول توصيفه حتى يتمكن من تصنيفه ، ووضعه فى احدى الخانات النقدية المعروفة ·

رومانسية ، واقعية ، رمزية ، واقعية نقـــدية ، واقعية اشـــتراكية ·· الخ · وذلك حتى يستريح ويريح !

ولكن عندما لا يجد الناقد المخلص الجاد خانة تتقبل هذا العمل الجديد ، وعندما يتأبى هذا العمل على أى وضع قديم ، يرى نفسه مضطرا الى أن يقول : ان هذا العمل الجديد عمل تجريبى ! وهو لون من الحكم مع ايقاف التنفيذ الى أن يصبح هذا العمل التجريبى تيارا جديدا يجد له النقاد الجدد اسما جديدا ولعل كل المذاهب الأدبية بدأت هكذا ··

وقد تحدث بعض النقاد عن « تحريك القلب » فوصفوها بأنها عمل « تجريبى »

ولكنى أتساءل : ما معنى تجريبى ؟ · لعـــل هذه الوقفة النقدية أن تكون دعوة لجيل جديـــد من النقاد لمحاولة فهم هذا العمل التجريبى فهما جديدا ، متحررا من كل المذاهب والتيارات والخانات النقدية القديمة ·· خطوة جديـــدة فى طريق جديد ·

والحق ان روايـــة « تحريك القلب » تفرض على القارئ والناقد معا أن يحاولا فهمها فهمـــا جديدا لوجهة نظر جديدة من خلال معايير نقدية خاصة ·

★ ★ ★

ولعل أول صفة لهذه المعايير ، هى صـــفة النقد التنويرى الذى ينير العتامة ، ويبدد الظلام والغموض فى العمل الفنى ، وبخاصة اذا كان هذا العمل جديدا وتجريبا · وفى الأعمال التجريبية تكون القراءة الأولى مجرد كشف للسطح وللظاهر وللوجه الخارجى ، أما القراءة الثانية فتهـــدف الى اكتشاف الأعماق والقلب والباطن ، وفى كلمة واحـــدة اكتشـــاف « جوانية » هذا العمل ·

★ ★ ★

قرأت قصة « تحريك القلب » فى عدد سبتمبر ١٩٧٨ من مجلة « الموقف العربى » وكانت هذه القصة « القصيرة » هى الصفحات (٩ ـ ١٦) من الرواية المنشورة عام ١٩٨٣ والتى نشرتها دار « الف باء » وهى الفصول : فصل /ا ، فصل ١ ، فصل/ب/١ ، ولم أجد اختلافا ما بين ما نشر فى « الموقف العربى » وبين هذه الفصول ·· من ناحية المضمون والعبارات والكلمات ·· ولكن الاختلاف جاء من ناحية الشكل والبناء ·· ففى الرواية انتهى عبده جبير الى هذا الشكل الجديد والبناء الجديد ·· ولابد أن المؤلف كتب قصة « تحريك القلب » عام ١٩٧٨ ، ولكنه وجد ان هذه القصة مجرد لحظة متقطعة من سياق لم يكتمل ، وجملة مقتطعة من مضمون أكبر وأعمق وأشد تعقيدا ، واستمر طوال السنوات الأربع فى البحث عن شكل وبناء حتى انتهى الى هذا البناء الموسيقى البوليفونى (متعدد الأصوات) وهذا الشـــكل الدرامى أو المولودرامى (متعدد الأقنعة) حيث نجد البيت هو الشخصية التى تبدو على المسرح بأقنعة متعددة (سبعة أقنعة ، والعدد ٧ يرمز الى العدد السحرى الذى لا حد له ، وكأن هذه الأقنعة السبعة ترمز الى كل شـــخصيات هذا الواقع ·· هنا والآن) أقنعة الأب ، والأم ، ثم وضاح ، وصيام ، وعلى ، ثم ســـمراء ، وسالى ·

والبيت فى الفصول الأبجدية يعبر فى لوحات تسـجيلية تشكيلية عن لحظات التدهور والتساقط والتهـافت والانهيار على مدى الأربع والعشرين ساعة (يوم كامل أو عمر كامل أو تاريخ كامل) ، وكأننا أمام لوحة جرنيكية تتحرك جزئياتها وعناصرها وشـــخصياتها وكائناتهـــا جميعا أمامنا فى فيلم تسجيلى ، أما الفصول الرقمية فتقدم لنا أصداء أصـوات الانهيـــار والسقوط خلف هذه الأقنعة ، ونستمع الى هذه المونولوجات التى تعبر فى داخـل الشـــخصيات عن التفكك والانهيار والسقوط ، وذلك فى مونولوجات متفرقة ، أو فى كورس تجتمع فيه هذه الألحان والنغمات التى تزاحم بكلماتها معانى السقوط والتساقط ، المتجسدة تشـــكيليا فى بيت الأسرة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتقدم الفصول (فصل أ ، فصل ١ ، فصل ب/١) ، والتى قدمتها قصة « الموقف العربى » بدون هذا التقسيم ، افتتاحية تشكيلية ودرامية لرواية « تحريك القلب » ، الفجر هو زمن هذه الافتتاحية ، والأقنعة السبعة تردد ألحانها ونغماتها « وتيماتها » الرئيسية .

وهنا نشاهد أول لوحات السقوط والانهيار والنهاية : « غدا البيت أشبه بكهف عليه العنكبوت والأتربة ، والعلب الفارغة ، والأوراق القديمة التى تذروها الريح ، وتلقى بها فى الردهة حيث ساعة الحائط المتوقفة منذ زمن » . ولكن متى توقفت هذه الساعة ، وكيف بدأت افتتاحية كارثة الانهيار والسقوط ؟ .

★ ★ ★

يقول الراوى :

« تناثرت حبات الظلام فى الفضاء ، وحدقت العيون المتعبة الى الطيور التى تحوم فى الأركان بيأس . عندئذ تفجرت ينابيع الرمال الحارة وهبت على البيت . تناثرت الأخشاب وقطع الزجاج فى الردهة الخاوية ، وتراقصت كتيبة الحائط ودقت الساعة الخشبية ثلاث مرات : تك ، تك ، تك . ثم توقفت الى الأبد » .

وبهذه الدقات الثلاث تبدأ النهاية .. نهاية هذا البيت .. هذا البيت الذى « بناه الجد الأول (هامش : جد/جد/الأب) زمن أن كانوا يبنون البيوت من حولها حدائق ونوافير، وكانوا يجعلون من الردهة مكانا فسيحا يعلقون على جدرانها صور رجال العائلة ، وتلك الساعات الخشبية الكبيرة التى يدق بندولها بانتظام فيحدث نغما خافتا يتردد فى الليل ، ويدخل الى الحجرات ، حيث كانت هناك دائما احلام » .

وتوقف الساعة يعنى توقف الحلم . توقف الحياة . وهل من الممكن أن تستمر الحياة بدون أحلام ؟!

يقول الأب ـ فى هذه الافتتاحية الفاجعة ـ « يدى ترتعش وهى تمسك العلب الفارغة القائمة على الأرفف . هأنذا انتهى . ولكن القلق فى الأمر أنى أشهد النهاية الباهتة . انها نهاية محزنة لبيت تعب فى طلائه الأجداد . لم يكن الأمر متوقعا ! ولو أن الحيلة اسعفتنى لخرجت عاريا الى الساحة صارخا بالنذير . هاهى تيارات الهواء تتقاذفه والمجارى تدب فى أوصاله » .

لعله رمز لهذا العالم لهذا العصر .. أو لعله رمز لتاريخنا كله ، من أقدم العصور حتى الآن .

ماذا يعنى وضاح وهو يقول فى فصل/١٥/د ، ووضاح هو فيلسوف هذه العائلة :

« ساضع قلمى فى خطاب وارسله الى رئيس القسم ، سأعود الى الوثائق الدامغة بأن المراحل التى مرت ، كل تلك السنين ، منذ قمبيز وحتى هذه اللحظة التى أقف فيها خارج خيمة الاجتماع ، كل هذا الزمن كان للتدليل على الحقيقة التى انتهى اليها موقف الأسرة . ولحظة أن سقط آخر ضلع من السقف المنقوش » .

فى هذه الكلمات يتحدث وضاح عن هذا الليل الطويل الذى عاشته مصر على مدى خمسة وعشرين قرنا ، منذ قمبيز وحتى خروج الانجليز من مصر . ويكمل وضاح حديثه الشخصى بهذه الكلمات الساخرة الفاجعة :

« اننى ذاهب الى دار الكتب لأعد المراجع والوثائق التى تحدثت عن كل الغزاة والحكام ، وسأثبت (هامش : لكم) أن التاريخ كان مزورا (منذ تلك الحلقة) وأن أى حديث آخر ما هو الا محض ما أسمته المرأة المؤسسة لعلم الحكمة فى وادى النيل (هامش : وكان هذا زمن الأسرة الثامنة عشرة) « حلاوة الروح » .

كانت المسرحية أن نتماسك بالأيدى حتى اذا انهرنا نتماسك . والآن ؟ عندما تحطم الحلم أصابت كل منا شرارة أطاحت بوعيه ، فأخذ يهتز على صخور الطريق .

لم تعد قدماى تقويان على حملى .

لماذا يجلس المرء ـ فى هدوء آخر العمر ـ ليردد الحكايات والذكريات أو يقرأ الاعلانات فى صحف الصباح ؟ .

ولكن هذا البيت . هل هو هذا البيت الواقعى الذى تقدم رواية « تحريك القلب » نهايته وسقوطه ، والذى يضم هذه العائلة التى لا أدرى لها انتماء طبقيا واضحا . هذا البيت الذى قدمه لنا الراوى فى السطور الاولى من الفصل الأول (فصل أ) :

★ ★ ★

« على جانبى البيت بنايتان متباعدتان ، وحوله سور تهدمت دعائمه وتآكلت جدرانه ، تحف به القاذورات من كل

جانب ، والباب الحديدى مالت ضلفتاه وارتكنتا : واحدة الى الداخل ، وأخرى للخارج ، فلا أحد يعيره أى انتباه ، وتلك الشجيرات المتسلقة لم يبق منها الا أغصانها الجافة ، تشبث بالأركان ، زادت قدمه .

هناك نصوص كثيرة فى هذا العمل تؤكد أن البيت هنا ما هو الا رمز . مجرد رمز . هل يريد وضاح أن يقول ان هذا البيت يرمز الى حضارة مصر منذ أن فقدت استقلالها عندما استولى عليها هذا القمبيز .

وما معنى هذا الهامش الكبير (أطول الهوامش وأخطرها فى هذا العمل الممتلىء بالكثير من الهوامش التافهة والساخرة والتى لا تعنى الا فرض ارادة المؤلف على القارىء حتى يترك النص الى الهامش) الذى ذكره الأب فى حديثه الشخصى فى فصل ١/١٢ : « عندما يتعالى نباح الكلاب بلا سبب مفهوم ، وتتصاعد من حظائر الماشية أصوات قلقة خائفة ، وتهرب الفئران من جحورها منطلقة فى الطرقات ، وتقفز الأسماك من البحيرات فى الهواء ، عندئذ ينبغى أن نتوقع حدوث كارثة طبيعية » .

★ ★ ★

ان سلوك الأبقار والدجاج والنمل والبيغاوات بل وسمك السردين فى البحار والأنهار ، يعبر عن احساس بالتراب كارثة ما . قبل وقوع الكارثة بساعات ، وأحيانا يظهر هذا السلوك قبل الكارثة بأسبوع قبل الهزات الأرضية والعواصف ، يخرج الجنبرى من المياه ، ويزحف نحو الأرض الجافة ، والنحل يلتقط بويضاته وينطلق فى هجرة جماعية من المنطقة المهددة بالكارثة ، وتتعالى الأصوات المذعورة من الديوك البرية ، وينهض الدب القطبى فجأة من بياته الشتوى » .

حرصت على أن أنقل للقارىء هذا الهامش الطويل الذى يعتبر نص الرواية « تحريك القلب » مجرد هامش له . وهذا لون من المكر الفنى لجأ اليه عبده جبير حتى يخفف على القارىء - الجاد - وقد توقع كارثة لا تقل خطرا وتدميرا عن الهزات الأرضية والبراكين والعواصف . كان عبده جبير يمهد بهوامشه الغابثة والتافهة والعادية لكى يقدم لنا هذا الهامش - النذير .

ومن الاشارات الدالة على أن ثمة كارثة توشك أن تسقط البيت وتهدم القيم والعلاقات الانسانية فيه ، ما نلمسه فى مونولوج سمراء (فصل ٢/د) :

« هناك أشياء لا أستطيع أن أقولها أريد أن أقولها . هل استطيع أن أتحدث عن مشاكل الوحدة والعنفوان التى تجتاحنى ، وأنا نائمة ومستيقظة مثلا ؟ عندما أمد يدى المتشنجتين أحاول أن أمسك شيئا فلا أجد . أن المس أحدا فليس هناك البيت فى الواقع ، وأساسا هو هذه العلاقات التى تقوم قوية متينة بين الأفراد الساكنين تحت سقفه . ويوم أن تنتفى هذه العلاقات يسقط البيت وينهار ويفقد شكله ومضمونه » .

ان عبده جبير يسجل لنا فى قسوة مريرة رؤياه ، عن طريق هذه الأقنعة السبعة حتى تأتى هذه الرؤيا متكاملة العناصر معبرة عن هذا العصر الذى يعيش فيه بكل مافى هذا العصر - هذا البيت الكبير - من كائنات وأشياء ، من قيم ومثل وعلاقات .

وعلى .. يقول فى حديثه الشخصى (فصل ٢/ج) :

« تعلمت من مقالة فلسفية - قرأتها فى احدى الصحف فى الباخرة التى أقلتنى من القاهرة الى بنى غازى - أن الاغتراب ليس هو أن تكون غريبا عن بيتك ، ولكنه شىء آخر ، اننى لست مغتربا اذن ولكننى فى الغربة - أعنى أننى بعيد عن البيت . وهذا كل مافى الأمر » .

هل يريد « على » أن يقول ان الاغتراب الذى عاناه ومارسه وهو فى بيته هو الذى دفعه الى أن يترك هذا البيت ، ويعيش فى الغربة ولكنه - فى الغربة - يعانى شيئا أقسى وأصعب من الاغتراب هو الشعور الدامع بالحنين الى البيت . الحنين الممتلىء بالذكريات . وذكريات الطفولة فى هذا البيت . يقول على فى نفس هذا الحديث الشخصى :

« أجلس فى وقت فراغى ، وأقلب فى البوم صورى التذكارية : هانحن نقف جميعا بملابس العيد ، على درجات البيت مبتسمين . أمى تضع يدها على كتف وضاح ، وابنى فى سترته المشركسين الرمادية ليضع منديلا أبيض فى جيبها ، ممسكا بعصاه ، وسالى تحمل القطة على ذراعها ، تضحك مفتوحة الفم ، وانا ووضاح وصيام نمسك بأيدى بعضنا البعض فنحن فى المقدمة » .

وكم من صور للحنين تمتلىء بها صفحات رواية « تحريك القلب » .

★ ★ ★

تقوم الأم فى حديثها الشخصى (فصل ١/٣) :

«عندما كنت أعمل فى مدرسة المنيرة - فى مطلع حياتى - كنت أقضى أغلب اليوم وأنا أراقب الأطفال فى الحوش ، وهم يقفزون للأمام وينثرون التراب على رؤوس بعضهم ، وكانت الكرة تجعلنى لا أعرف متى ستسقط فوق رأسى . كان هذا جحيما . والآن ، متى يحين المساء ، على أن أمشى فى الردهة ، من النافذة الى الباب وبالعكس ، ثم الطريق المزدحم الى سوق الخضار المجاور . وبالعكس » .

وهناك أيضا هذا الحنين - لا الى الماضى - الذى يعود بك - عن طريق الحلم . حلم اليقظة - الى البيت ، وأنت بعيد عنه فى الغربة . وكل غريب يحلم دائما بالعودة الى البيت .

يقول على وهو فى غربته الليبية :

« .. هأنذا أهبط أمام الباب الحديدى . أتطلع للتمساح المحنط . أرى لأول وهلة الستائر وقد حجبت الضوء من

الداخل . أمشى داخل الحديقة . ها هى ذى الشجرة العجوز . حبل الغسيل والمنديل يرفرف مع حركة الهواء . صفيحة الزبالة فوق البسطه . القطة تقف على الدرجات الحجرية (تتطلع الى دون أن تعرفنى) ارفع الكف النحاسية الباردة . تك ـ تك ـ تك ـ ترك . انتظر حركسة الأقدام على البلاط . ويمضى الوقت . مرة أخرى . تك . ترك . ترك اننى أعرف. أبحث عن قطعة من الصفيح ، أدسها بين الضلفتين لينفتح الباب . هاهى الردهة . الكنبة الخضراء ، بقايا قشر البطاطس على المائدة . تلك الرائحة . خربشة الصراصير فى الحمام . لا أحد فى الحجرات أيضا . ها هى بيجامة صيام ملقاة على جانب السرير . فردة حذاء سالى تقف على جانب المفرش . باروكة سوداء معلقة على الجدار . دولاب أمى مكتظ بالملابس التى تنتظر الرتق ، وطاقية أبى على جانب الكوميدينو بجوار المذياع الخشبى . هذه الرائحة . لابد أن أبى يجلس في المقهى وسالى في البوتيك (هامش : اننى أنسى) اننى أنتظر ـ اننى أنتظر . أشعر بجوع فادخل المطبخ وارفع الغطاء . أعد لنفسى طعاما وأجلس فى الردهة وحيدا أمضغ الطعام حتى لا أستطيع . أعيد الصينية النحاسية الى الداخل وأصنع لى كوبا من الشاى . هانذا أجلس وادخن . ادخل الحجرة . أفتح المذياع على صوت عبد الوهاب « يا جارة الوادى/طربت/وعادنى » . أتطلع الى الساعة الخشبية . انها هناك ماتزال . متوقفة . السابعة ».

وبين علامات النهاية والحنين الى الماضى أو الى البيت وتوقع سقوط البيت وانهياره والسخرية المرة والأريرة من الحاضر التافه تمضى رواية « تحريك القلب » الى هذه النهاية ـ نهاية العمل الفنى .

★ ★ ★

الرحيل والارتحال ـ فى الواقع أو بالخيال ـ والهرب من قيود وتقاليد الماضى ومن الوضع القائم الجامد « ومن البيت الذى يجسد لنا كل هذا معماريا واجتماعيا وفنيا . هو احدى سمات تحريك القلب . وفى حكاية السندباد يجسد لنا الرخ هذا الخيال الذى نتعلق به ويحملنا بعيدا . بعيدا .. الى الماوراء . سواء فى داخلنا أو فى واقعنا الخارجى . هذا الماوراء الذى يمتد ويمتد بلا حدود وبلا قيود . ونحن نجد فى رواية « تحريك القلب » حديثا يتكرر عن « الخروج الكبير » هل يعنى « الخروج الكبير » التمرد والثورة على كل ما يجسده البيت من تقاليد ومن رتابة ومن استقرار ؟ . هذا البيت الذى يجسد بكل قيمه وعاداته هذا الوضع القائم الجامد المتحجر ، وذلك بهدف بناء نظام جديد وقيم جديدة تنبع من حساسية جديدة ونحن لن نجد البيت الجديد الا اذا فقدنا البيت القديم . ذلك لأن على كل انسان ـ جدير بهذه الانسانية ـ أن يعلم أن كل ارث وكل ميراث وكل تراث يجب اكتسابها من جديد والا استحالت الى هذا البيت الذى قدم لنا عبده جبير فى رواية « تحريك القلب » لحظات تساقطه وانهياره وسقوطه « هذا البيت الذى أصبح ـ أو أمسى ـ كهفا تغلغله خيوط العنكبوت وتجرى فيه الصراصير والحشرات والفئران .. هذا البيت الذى كان قد أسسه جد/جد/الأب بحدائق ونوافير .. وكان « تحريك القلب » دعوة الى أن نحاول بوجدان حقيقى وبجهد مخلص صادق ان نعمل من جديد على هذا البيت .. وفى العالم كله يعبر الطلبة بمظاهراتهم وحركاتهم عن هذه الرغبة للتخلص من النظام القائم ومن هذا الوضع الجامد المتحجر .. وهذا يذكرنا بتمرد الشاعر الفرنسى آرثور رامبو الذى ثار على جحيم الحضارة الأوربية . وسجل ثورته فى « فصل فى الجحيم » وهاجر الى أفريقيا .. التى كانت تجسد له الماوراء والمجهول والجديد .

★ ★ ★

وعندما أقول ان فى « رواية » تحريك القلب دعوة .. أيا كانت هذه الدعوة لا أعنى بهذا أن عبده جبير كتب روايته وهو يستهدف هذه الغاية . ولكنى أريد أن أسجل هنا أن هذا العمل الجاد شهادة صادقة على هذا العصر ـ الذى نعيشه نحن هنا والآن ـ من أحد أبناء هذا العصر . والفنان الجاد هو شاهد صدق بالضرورة وبالدرجة الاولى .. ولهذا أرى أن القلب فى «تحريك القلب» يعنى قلب الأشياء والكائنات والشخصيات .. قلب هذا الواقع .. أى أعماق الظاهرة الحوانية .. وعبده جبير بحساسيته الجديدة الكاشفة لمس هذا القلب السقيم والمريض والمتهافت مثل هذا البيت ـ المنازل المعمارى ـ ولهذا اختار عنوانا لعمله الروائى الأول « تحريك القلب » ولكن هذا العمل الفنى الناضج والجاد يقف بمضمونه الانسانى عند الرغبة فى الخروج ـ مجرد الرغبة ـ أى يقف عند مجرد النية .. وأنا ـ معذرة لكلمة أنا ـ لا أومن بهذه العمارة السائدة « الأعمال بالنيات » وبخاصة فى واقعنا الانسانى ، وأنا لا أعترف بوجود هذه النية الا اذا تجسدت عملا . وعملا صالحا .

ولكن هناك فى السطور الأخيرة من هذا العمل الفنى الجديد هذا البصيص الضعيف من الأمل يعبر عن محاولة لتجاوز ما . وخروج ما من هذا البيت . ومن الغريب أن يحمل هذا الأمل فى التجاوز والخروج هذا الأب الذى يخاطب الأم بهذه الكلمات الحالمة الحزينة :

« مدى يدك ناحيتى

هات أصابعك فى اصابعى

هيا بنا نحجل ونتمايل فى الحديقة »

القاهرة ـ توفيق حنا

محاولات درامية لفن الممثل الفرد
نظرة فى كتاب أمين بكير
مسرحيات مونودراما

سمير العصفورى

فى عام ٧٩ وفى زيارة (لسراييفو) بيوجوسلافيا وجدت أن هناك اهتماما بالغا بالهروب من القاعات التقليدية للعرض المسرحى واحتلال أماكن اخرى قد تبدو للوهلة الاولى غير صالحة للعرض المسرحى لكنها بالفعل على اعتبارها ملتقى (بين الفنان وجمهوره) يمكنها أن تكون مجالا حارا لاقامة عرض مسرحى . وهنا يختلف مدلول العرض المسرحى . لم يعد بالحتمية نصا شامخ الأبعاد متعدد الشخصيات والديكورات والمهمات .. الى اخر الثرثرات البلاغية والحرفية فى فنون المسرح ، من ترهل استعراضى وزوائد لازاعى لها .. من خلال ابتكار أماكن للعرض ، ومن خلال هجرة الأماكن التقليدية . وهو ما عبر عنه العلامة المسرحى (بيتر بروك)

فى كتابه (المسرح الفارغ) او (المساحة الفارغة) : معنى هذا ملتقى ما .. يحتاله شىء ما .. شريطة أن يكون دراميا ومؤثرا ، وعلى هذا لم يعد الاحتشاد والزحمة .. أعنى زحمة الممثلين واحتشادهم مطلبا ضروريا ، اذ يمكن لفنان واحد أن يقدم عرضا بمفرده وهو ما اسميناه (بالمونودراما) . هذا الممثل هو الزمان والمكان والانسان ، وهو الحدث والصراع ، وهو الدراما المتكاملة من خلال فرد واحد يحتدم ويتصارع مع جمهوره سواء اذا (تحلق) حوله هذا الجمهور بمسرح لحلقة ، أم اذا (انطلق) ممثلنا بين مقاعد لمشاهدين أم اذا طار فوقهم !

من هنا كان صديقنا (فهيم ابو رحاب) ليس مجرد « عطاس » فى واقعة حدثت لحكيها هو ليؤكد كما يؤكد (امين بكير) أنه (من العطس ما قتل) بل ان فهيم ابو رحاب هو الراوى والحاكى .. الشخصية التى تتمزق وتتفتت امامنا وبفعل سخريتنا منها واصرارنا كمشاهدين على الحكم عليه بالخطأ لانه قد (شرخ) الاطار الاجتماعى فى حفل رسمى و (عطس) عطسته التراجيدية التى عصفت بحياته عندما حاول أن ينتمى للناس « المهمين » وأن يمعن فى التكفير عن هذا الخطأ .. فنحن امام كل هذا العذاب وفى داخل هذا العذاب نشهد حدثا وصراعا وشخصية ونحس بالمعاناة الكاملة .. أمام عمل درامى غير منقوص . نحن أمام دراما فرد هى فى الحقيقة دراما افراد لكن يؤديها ممثل واحد .. هذا نموذج لما نعنيه بدراما الممثل الفرد أو (المونودراما) .

هناك خطأ شائع يقع فيه من يتعرضون لهذا اللون اذ يتصورون انه بالامكان كتابة (مونولوج) أو كما اسماه المسرحيون القدماء (حوار طويل جانبى) هو فى الواقع جزء من عمل مسرحى . يخطئون عندما يسمون هذا (الاجتزاء) مشروعا لمونودراما فالحق أن هذا الاجتزاء لا يشبع عرضا مسرحيا ولا يكون دراما مستقلة .

على ان الفريد فرج مثلا عندما كتب (بقبق الكسلان) كان يطرق الباب بذكاء الفاهم للمسرح والفاهم للتراث . وكان (تشيكوف) أيضا يعنى تقديم دراما فردية فى (أغنية البجعة) وفى (ضرر التبغ) .

ويأخذ (امين بكير) أطراف الخيط الممتدة عبر الزمان والمكان . منذ شكايات الفلاح الفصيح ومواويل المغنى على شاطىء النيل ، والملمح الانسانى الرقيق والدقيق لدى (تشيكوف) ويربط هذا كله فى محاولاته التى أطلق عليها تسميات : (ومن العطس ما قتل) ، (الاشاعة) ، (يوميات

عصفور) ، (يوم جديد) .. أما فى الاشاعة . فهى مصادفة درامية تعكس تذبذب الانسان البسيط بين الألم والأمل ، بين الموت والخلاص ، بين المرض والصحة ، بين التشبث بالحياة والرغبة فى الانتحار .. ونرى (الفرفور) الشعبى (عصفور) ينطلق بأجنحته المتكسرة صعودا وهبوطا (ليكون) أو (لا يكون) ، يقفز لحظة الى فوق ليكون (المعلم) القوى والعاشق قاهر النساء . أو يهبط الى حضيض واقعه ليتحول الى مجرد (فرفور) أو (دلدول) يمنح الحركة والسعادة والمشاريب للزبائن .. بينما جوعه البشرى والانسانى والجنسى لا يرتوى .. نقطة صغيرة فى ركن القهوة هو (صبى القهوة) يضعه أمين بكير تحت دائرة الضوء لنحيا معاناة وجه من ملايين الوجوه الكادحة ، وأمين بكير لم يمسك القلم لمجرد الرغبة فى الكتابة للمسرح . فقد عاش هو نفسه أضواء المسرح المصرى وظلامه وصعوده وهبوطه ، عاش (كواليس المسرح) مديرا لخشبته ، منفذا للعروض ، مساعدا للمخرجين مخرجا مساعدا ، مصححا للنصوص ، ناصحا للممثلين . هو مسمار من الصلب يربط تروس آلة الانتاج المسرحى العصبى والصعب .. سمع أنات الممثلين والممثلات خارج الأدوار وشعر بنجاحهم وبعذاباتهم وبطموحاتهم وهو يسجل بقلمه أحزان الممثلة العجوز المنسية والمقهورة التى خبا الضوء عنها وها هى تتراجع الى دنيا النسيان . هذه (مونودراما) (يوم جديد) تومض باشارات حقيقية لشخصيات حقيقية عرفها أمين بكير وعايشها بذاته .

ومثل هذا النوع من الابداع الدرامى يستعرض مهارة فردية للممثل أو الممثلة المتميزة .. وفى نفس الوقت يقدم متعة فنية متفردة ويحل كثيرا العديد من المشكلات الانتاجية فى المسرح . انه يشبه فى فن الموسيقى (العزف) الفردى . ونحن فى حاجة الى مزيد من هذه التجارب الفنية التى نحتاجها بصفة دائمة لمسرحنا التجريبى او لحفلات التخرج لأكاديميات الفنون .. أو لتتويج فنان عظيم أو فنان كبير . او ما يسمى فى التقاليد المسرحية (ليلة الوداع) حيث يقدم الفنان الكبير عرضا كبيرا فى ليلة اعتزاله .

على أنى أعتقد أن كتابة هذا النوع لا تقصد لذاتها . بل ان احساس الكاتب وضغط فكرته عليه هى التى تقوده الى أن يطرق هذا الباب بهذه الصورة ولا يمكن أن نزعم بالطبع أن هذا اللون بديل عن الالوان الأخرى من الكتابة المسرحية ، لكن لا يمكن أن نذكر (تكامله) وشدة جاذبيته عندما يرتقى الى مستوى ناضج كما نقرأ فى أعمال (تشيكوف) و (أمين بكير) وغيرها من المحاولات الفنية الناضجة .

على أن مأساة هذا اللون من الكتابة هو ندرته وعدم توافره منشورا فى أيدى الراغبين من الهواة والمحترفين ويعتبر مانشر أخيرا لـ .. (أمين بكير) ٤ مسرحيات مونودراما اضافة حقيقية للمكتبة العربية الدرامية وجهدا مشكورا نسجله للهيئة المصرية العامة للكتاب .

القاهرة ـ سمير العصفورى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى أعدادنا القادمة

تقرأ لهؤلاء

- بدر الديب
- منى حلمى
- نبيل نعوم
- شمس الدين موسى
- موسى سلطان
- جمال الغيطانى
- يوسف القعيد
- محمود الوردانى
- محمد المخزنجى
- سعيد سالم
- ألفريد فرج
- ماهر شفيق فريد
- د. محمد عويس محمد
- فؤاد كامل
- على شلش
- فتحى العشرى
- د. صبرى حافظ
- مجيد طوبيا
- وفاء وجدى
- .. وآخرون

متابعات

البحث عن بندقية

رواية : عبد الستار خليف
عرض : السيد الهبيان

عودة الأرض ·· أمل الليل والنهار ·· حلم النوم واليقظة ·· أمنية العمر التى تبدأ بها الحياة مثل الآخرين ·· قد تبدو ـ الأمنية ـ صعبة عند اليأس ·· لكن بدونها لن تستقيم الحياة ·· هى أولا ·· وبعدها تأتى الأمانى الأخرى التى تراود الخيال فى مرحلة الشباب ·· لذا يجب أن تعود الأرض ·· من المستحيل أن تظل فى حوزة مغتصبها ·· ويظل الحرمان من الانتفاع بها ·· لو استمر هذا الوضع كيف لميزان العدل أن يستقيم ؟! ·· محال ·· ذلك أمر لا اختلاف عليه · أن يكون المغتصب هو الذى يتمتع بخيرها على مرأى من المالك الحقيقى لها الذى لا يملك قوت يومه ·· فهذا هو الظلم الصارخ ·· ومقاومته هدف لا يجب الحياد عنه ·· اذن لتكن المقاومة حتى يعود الحق لصاحبه ·· ويبقى أمل التغلب على الظلم ليتحقق العدل الذى يراود الانسان المظلوم دون أن يدرى ماذا سيكون فى النهاية ·

من ذلك المنطلق بدأ ـ عبد الستار خليف ـ ليصوغ مضمون روايته ـ البحث عن بندقية ـ جاعلا من الظلم والعدل قاسما مشتركا لمسار أحداثها ·· الظلم كواقع حى معاش ·· والعدل أمل يراود خيال المظلومين ·· محورا مأساة الانسان المقهور من خلال مجتمع بسيط غاص وسط همومه ·· ثم بدأ معبرا عن رغباته وتطلعاته ·· وملقيا الضوء على سلبياته التى تقف حجر عثرة فى طريق تحقيق العدل الذى يسعى اليه ·

الأم ـ أمينة ـ أرملة عجوز ضريرة ·· قتل زوجها بسبب تمسكه بأرضه الذى ورثها عن أبوه ·· وفقدت بصرها بعد موت زوجها ولم تعد اليها الوصفات البلدية نعمة البصر ·

السيد الدودة ـ الشخصية المحورية فى الرواية ـ قتل والده وهو مازال طفلا ·· عمل منذ صغره مع أنفار الوسية ، وتسبب الحاج ناجى فى طرده من المدرسة فحرمه من التعليم ·· سمى ـ بالدودة ـ عندما اكتشف المفتش المسئول عن مراقبة تنظيف شجر القطن من الدودة التى تستشرى فيه ·· لطعة فاقسة دودة وراءه ·· لم يرض باختلاس يوم من أجره كل أسبوع فسرق من سرقوه ·· ثبتت عليه السرقة فصار كل من يتعرض للسرقة يتهمه رغم أنه برىء ·· بعد أن شب عن الطوق أخبرته أمه بواقعة قتل والده وكيف ضاعت أرضه بعد ذلك ·· فعزم على قتل « الحاج ناجى » المتهم بقتل أبيه ليسترد أرضه وليخلص العزبة من ظلمه ·

الحاج ناجى ـ رمز الظلم ـ طويل ، قوى ، ضخم الجثة ، يرتد الى أصل يونانى أو تركى ·· غير مؤكد تأديته لفريضة الحج ـ يقال بأن أمه ولدته هناك ـ الحج ـ والبعض يقول أنه ذهب معها وهو صغير ·· كان والداه يقيمان فى مصر يحضر بعد وفاتهما ليرث العزبة ومن عليها ـ ذهب الى والد ـ السيد الدودة ـ محمود الاسود ـ ليشترى منه ارضه ويضمها الى اراضى وسيته ·· وعندما رفض قتله ·

عدس الحلاق ـ حلاق ـ يدعى العلم بكل شىء ·

نصار موسى ـ الخال موسى ـ شيخ منصر ·· مارس جرائم كثيرة فى شبابه ·· وبعد أن شاخ هجر حياة الليل وعمل خفيرا ·· لم يعرف عنه الغدر أو الخيانة ·

رضوان الأعور ـ خسيس لا يجد من يأمن له ·· خان « نصار موسى » رغم أنه كان من صغار الاشقياء وجعله « نصار موسى » رجل وله قيمة ·· كان يرشد الانجليز عمن يسرقهم وذهب ضحية غدره الكثيرين ·· وكان يسرق بضاعة الانجليز أيضا ·· فقد عينه بعد أن أصابه فيها عسكرى حراسة وهو يحاول السرقة ذا ثمرة ·· بعد ذلك صار من رجال « الحاج ناجى » الذى أعطاه قطعة أرض ليلهو بها ويسكت عنه ·

أو موسى العرباوى ـ راعى أغنام الحاج ·· مرت عجلة الدوكار الخاصة بالحاج ناجى على ساق ابنه ·

لا اختلاف على أن لكل عمل فنى هدفه النهائى بعد تقديمه بأن شكل من الاشكال ·· يبدو ذلك من خلال الولوج الى قلب المضمون تشريحا وتحليلا ·· وبعد ذلك يكون من الممكن تقييمه ·· وبالنظر الى رواية ـ البحث عن بندقية ـ يتراءى ما حاول ـ عبد الستار خليف ـ تقديمه من خلالها ·· والذى يتحدد فى القاء الضوء على الانسان المقهور سجين الوضع المتواجد فيه ·· وتمرده على واقعه ومحاولة تغييره الى الصورة الامثل بالنسبة له ·

من النادر أن يتعرض روائى لمضمون يتعرض أساسا لحياة الانسان فى الريف ·· فثمة ضوابط للعلاقات والعادات

وصورة الحياة داخل المجتمع البسيط .. من الصعب الالمام بها لمن يعيش بعيدا عنه .. وذلك ما استطاع ان يقدمه ـ عبد الستار خليف ـ من خلال رؤية معاشة واحتكاك مباشر .. معتمدا على قدرته فى الوصف الدقيق :

« بجوار سقيفة المواشى على حافة المصرف . جلست « صبحية نفخو » تعجن روث الماشية بالتبن والقش .. تصنع منه أقراص الجلة . تضع الأقراص على أكوام السباخ لتجف تحت أشعة الشمس . لشدة العوز لها وقودا للأفران فى أيام أعشير الباردة . تواصل عملها فى همة ونشاط مع الدندنة بكلمات أغنية غير مفهومة المخارج . وقد شمرت عن ذراعيها النحيفتين . عقدت طرفى ثوبها الأجرب البالى حول خصرها الرفيع . ظهر السروال المشجر اللون الطويل أبو كرانيش . على رأسها عقدة مدورة صفراء باهتة . وكلبها النحيل على مقربة منها يتثاءب . يتمطى فى كسل وهو يرقد بجوار سور السقيفة والذباب الأصفر ينهش من عينيه » ص ١٠ .

لم يبد ذلك كصورة تسجيلية .. بل قدمه بتحليل من منطلق التزام ارتأى أنه مفروض عليه أصلا لارتباطه بشخوصه ومعرفة مفاهيمهم التقليدية .. ثم أخذ يقدم واقعهم بتعرية أوضحت الاحساس بالوضعية للانسان المقهور ازاء التسلط الجاثم عليه .. من خلال شخوصه الأساسية المحشورة داخل المجتمع التى تعيش فيه .. أبداها كنماذج انسانية تعانى الانسحاق الاجتماعى .. وطرح تساؤلات ثم يضع لها اجابة .. تساوت مع بساطة السلبية التى اتسمت بها شخوص الرواية « المظاليم » .. فلا يكفى ادانة البؤس والقهر والظلم والظواهر السلبية .. اذ كيف تصير الحياة وتتحول الى طريق الخلاص وما يدفعها أمل ميت ؟! .. لا يكفى ايضا التركيز على الشخصية الأساسية فى الرواية « السيد الدودة » .. كنموذج ايجابى بدت له امكانية التحول ثم اجهضت محاولته .. رغم أن ذلك التحول بدا بلا افتعال واضح كتطور طبيعى للأحداث .

معنى ذلك ان يبدو كبطل متفرد تضيع بجانبه تطلعات الشخوص الأخرى التى لم تتعد فى تحركاتها تتبع موقف المتفرج الذى ينتظر تغير الموقف لصالحه دون بذل أى جهد .. فى حين أن ارتباطه بالكل يبعد عنه صفة التفرد .. ويجعله مشروع أمل فى حياتهم .. رغم أنهم لا يتحمسون له جيدا بسبب النتائج التى تمخضت عنها المحاولات السابقة .. وتحددت بتأكيد الاحباط فى النفوس والبعد عن التفكير فى التمرد .

وقدرة الوصف بأنثان لم تبد وقفا على الصورة الفردية بل بقيت الاجادة بطول الرواية .. بلا فرق بين التصوير الخاص كما بدا فى جلسة « صبحية نفخو » والصورة العامة الموحية لماهية بعض العادات فى الريف :

ثغاء أغنام فى الطريق . بعض النسوة فى طريقهن الى الترعة البسملونية . جلبابهن الاسود القديم على اللحم . من لحظات راعشة فى ليلة أمس . فى الصباح الباكر قبل أن يفضحهن ضوء النهار . يغطسن تحت كوبرى عزبة حسبو قبل أن تكثر الأرجل على تراب السكة المشبع بقطرات الندى » . ص ٣٥ .

وأيضا فى الصورة الموحية كالتى بعد متابعة « نعمات » وهى فى طريقها للقاء « رضوان الأعور » الى أن اختفت داخل غيط الجوافة .. فمزج بين ما يحدث بينها وبين « رضوان » .. وبين تصرف الكلاب تجاه الكلبة الكبيرة التى أبداها مطاردة منهم كتصوير معاكس لحياة « نعمات » :

اقتربت الكلاب تشمشم مؤخرتها . ثم وثب فوقها بغتة كلب أسود فحل . كلب رضوان . التصق بمؤخرتها فى نشوة . ظل يروح ويجىء بكل قوته فوق ظهر الكلبة . تصلب جسده أكثر . طوقها بمقدمتيه . تلاحقت اندفاعاته بقوة وسرعة حتى لهث . تدلى لسانه خارج فمه . بعد مدة طويلة عادت نعمات من داخل الجنينة تحمل على صدرها أوراق الذرة والحشائش الخضراء . وجهها أصفر كالليمون مثل وجه الأموات . رغم ذلك . تبتسم . ص ٣٩ .

واجادة الوصف لا تقل عنها اجادة البناء الروائى الذى بدأ بترابط متين بين الحاضر والارتداد الى الماضى وبتوافق لا يشوبه أدنى خلل .. ومحاولة عدم هضم شخوصه مهما كانت أدوارها .. لكن هذه الاجادة تضعف الى حد كبير فى استخدام المعادل الموضوعى لشخصية « السيد الدودة » الذى تمثل ـ المعادل ـ فى صورة « الزناتى خليفة » كبطل يستمد منه الايحاء بالقدرة على فعل أصعب الأشياء .. يمكن القول بأن سبب هذا الضعف هو الاستغراق فى العمل حال الكتابة .. وفقدان الوعى بعدم الانتباه الى ما ينساق اليه من تعبير .. كما بدا فى تحدث الشخصيات بلغة لا تقارن ومستواهم الفكرى البسيط .. يضاف الى ذلك عدم التوفيق فى نسج الجمل أحيانا .. والمزج بين السرد والحوار والوصف فى مقطع واحد .. وأحيانا يتم المزج بين كل شىء دون ابراز المعالم المحددة للمقصود من المقطع :

« الأزمة النفسية التى يعانى منها قد جاءت . آه . الحقنى يا عم أبو موسى . ضم رأسه بين ذراعيه . سد أذنيه . لا يريد أن يسمع . أواه . ارحمونى يا عالم . اتركوا رحمة ربنا تنزل . قرفص ركبتيه وضمهما على صدره . تلوى . تكور . جار كالثور . صوت العرباوى . ما بك يا ولدى ؟ . سيد . يا أبو عرب ؟ . هه . طرقعة الدوكار فى أذنى .. صوت الحدوة فى أرجل البغلة الرعناء تدوس فوق دماغى ؟ . الرحمة يارب . ارحم عبيدك » . ص ١٣٧ .

لا شك أن الهنات البسيطة التى شابت الرواية ليس من الصعب تداركها .. خاصة وهى نتيجة الاستغراق فى الخلق الابداعى .. ولذا يكون من الممكن تجاوزها وأخذها كسقطات خفيفة فى البدايات الأولى .. لا تقلل من قيمة ـ عبد الستار خليف ـ كروائى ـ استطاع تقديم مضمون من واقع قرية ريفية .. فى شكل جيد امتاز بالحركة الدائمة .. وبعد عن السكون الذى يتمخض عنه الملل فى متابعة تطور الأحداث .. رغم أن المناخ العام لذلك الواقع يتمثل فى كوابيس تمضى فى ظلها حياة الشخوص المتواجدة فيه .. فأضاف فصولا جديدة الى فصول الدراما الانسانية .. أبرز فيها المعنى الرمزى للصراع الدائر بين الظلم والعدل .

القاهرة ـ السيد الهبيان

مجنون الورد

مجموعة قصص : محمد شكرى

عرض : سهام بيومى

تطرح المجموعة القصصية « مجنون الورد » للكاتب المغربى محمد شكرى العديد من النقاط حول علاقة الكاتب بعالمه الذى يستمد منه تجربته الشعورية التى من خلالها تكتسب عملية الكتابة أهميتها وتتحدد أبعاده كما تشكل فى نفس الوقت المحاور الرئيسية التى ترتكز عليها رؤية الكاتب الابداعية ٠

والعالم القصصى فى « مجنون الورد » ـ والتى كتبت فى الفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٧٨ ـ عالم غنى بعلاقاته وتفاعلاته ، ويشكل المكان فيه عنصرا محوريا ، فالمكان هو مسرح التفاعل حيث يضفى على الأحداث طابعا خاصا تمتزج فيه الرؤية الذاتية بالواقع الموضوعى والواقع بالحلم ، ويكاد المكان أن يكون هو العنصر المشترك فى معظم قصص المجموعة ٠ ٠٠٠ البحر ٠ الشارع ٠ المقهى ٠ الأرصفة ٠ الأبنية يتجاورها وتوازيها مدينة « طنجة » الواقعة على المحيط حيث الخليط من البشر والامتداد اللانهائى للمياه بأمواجها ٠ التوق الى التواصل مع الآخرين ٠

فى قصة « الحديث عن الذباب ممنوع » يتوقف الزمن عند اللحظة التى تقرر فيها أن يتم انتقال الراوى من سجن الى سجن بكل ما يتضمنه هذا الانتقال من توقعات وصراع يتكاثف الرمز وتتداخل من خلاله رؤى الماضى والمستقبل فى اللحظة التى يحاول فيها أن يحدد الفعل ٠

« أمشى الى الأمام ٠ أصوات ضاحكة خلفى ٠ رأيت خمسة أو ستة رؤوس تطل دون ان يتخطى أحدهم عتبة الباب ٠ هل أظل أضرب نفسى مع الجدار حتى أسقط ؟ سيكون عذابا اختاره لنفسى ٠ لكن كيف أكون متأكدا من أن هذا الفعل هو أحسن حل لمشكلتى ؟ ألن يكون هناك حل آخر » ٠

ان اللحظة نفسها تبدو كابوسا مخيفا وتكتسب بعدا أسطوريا فى قصة « أشجار صلعاء » عندما يقرر الراوى الرحيل عن المدينة وهو موزع بين نوازع شتى ٠

١ ـ الشخصية المحركة للحدث تنطلق من أرضية مميزة عن الواقع العام لعالم الآخرين ، وطبيعة تكوين المكان تساهم بدرجة كبيرة ، فى خلق هذا التمايز ٠ ان ميكانزم الفعل يتولد من المقابلة بين العام والخاص داخل الحيز المكانى ، كما ان هذه المواجهة تحدد كلا من الزمنين فى مواجهة الآخر وتلقى الضوء عليه بين ميمون فى قصة « العنف على الشاطىء » وبين الآخرين ؛ فميمون المحاط بالعزلة حيث هناك العديد من العوامل التى تجعله مرفوضا من الآخرين فى مجتمع القهر وحيث يوجد المفرد فى مواجهة الجمع ٠

«انه يحوم حولك ، لا تهتم به ٠ يطلب جرعة شاى ، اذا لم تعطه اياها فانه يطلب النعنع ليمنصه بعد أن يرى الكوب فارغا » ٠

ان الكاتب ليس معنيا بالبعد الزمنى الذى من خلاله تتكشف جذور العلاقة التى أدت بميمون الى هذا الوضع قدر اهتمامه بالعلاقة التبادلية بين ميمون والآخرين والتى تكشف الصلة العميقة الكامنة وراء هذا الرفض ، وهو يلجأ الى الفعل المضارع التقريرى فى تشخيص حالة ميمون :

« دائما يزعج الزبائن عندما يأتى دور عملى »

« انه يحمل لعنة والديه أينما ذهب »

« انه يسترد عقله حين يتحدث عن جونى »

٢ ـ السرد التقريرى هنا يضفى صفة الثبات والاستمرارية ، وهى تؤدى مهمة توصيف الحدث وليست هى المحركة له ٠

وميمون الذى يبدو منعزلا عن عالم الآخرين هو نفسه جزء من هذا العالم ، فالكيفية التى يتم رفضه بها تكشف عن عناصر لها امتداداتها داخل عالم الآخرين الذين يرفضونه ، وهى تتنامى لديهم بنفس الكيفية التى تتنامى بها لديه لتشكل فى النهاية ميكانزم الفعل ، هم يخشون ميمون وميمون يخشاهم ، هم يتوقعون عدوانيته وهم يعتدون عليه ؛ ويلجأ محمد شكرى الى تنويع زوايا الرؤية من خلال تنويع الأصوات ، فالراوى مشارك فى الحدث وينتقل الكاتب بمنظور الرؤية ٠ يصبح ميمون هو الراوى ، ويتداخل منظورا الرؤية استجابة لذبذبات العلاقة بين الطرفين ٠

« بشر ٠ شمس ٠ بحر ٠ بعث ناعم حار ٠ ينزلقون على بعضهم البعض بحيرات سراب تتعانق ٠ يشتهى ميمون هذه الأجسام الطرية ٠ عرى البشر الاسمر يمتزج فى بعضه مثل لوحة مائية ٠ البشر ناعمون هذا اليوم ٠ خفيفون ، كما يطفون فى البحر ٠ يحقد الآن على نفسه٠ خشن وهم ناعمون ٠الشمس تعميه والنسيم الازرق يلطف عماه ٠ اضاع نفسه اليوم بما فيه الكفاية ٠ أكثر غربة عن الناس فى مثل هذا اليوم ٠ زمن طويل لم ار فيه انسانا ينظر الى بود ٠ لا يلتفتون الى الا حينما أتحداهم بنظرات ساخطة ، ما يسلينى هو انهم يتعاملون معى بحذر شديد ٠ الرمل ينهار تحت قدميه كوسائد من حرير ٠ كأنى أمشى على بطون ضفادع ٠ خيل اليه أن جسده كله سيذوب ٠٠ »

الكاتب هنا يستخدم تكنيكا حققته الرواية مستفيدا منه فى رصد جوانب العلاقة وهو تنويع منظور الرؤية من خلال تعدد الأصوات ، وقد لجأ اليه فى الكثير من قصص المجموعة « صوت ٠ الراوى ٠ بدرى ٠ بابا جيلانى ٠٠ فى « بشير حيا أو ميتا » ٠

ـ الفتاة ٠ بائع الورد ٠ شاعر الحى ـ فى مجنون الورد ، الراوى ـ الرسام ٠ الفتاة ـ فى « التابوت » ٠

واستخدم الكاتى تعدد الأصوات فى « العنف على الشاطىء » و « بشير حيا أو ميتا » لرصد زوايا العلاقة وفروضها النسبية ونموها لكن هذا التعدد فى « مجنون الورد » ينتج عنه تناغم خاص ، ان الكاتب يقدم « سوناتا » متوافقة لأناس تتنازعهم عدة عناصر يحاولون من خلالها البحث عن خلاصهم وذلك من خلال ثلاثة أصوات تمثل مستويات مختلفة فى تلك المحاولة : الفتاة ـ مجنون الورد ـ شاعر الحى الكسيح ـ ومن خلال كل منهم على حدة يتم تحديد الاطار العام للبعد المكانى الذى يجمعهم ٠

القاهرة ـ سهام بيومى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود سعيد

أول مصور فى تاريخ مصر الحديثة

محمد صدقى الجباخنجى

من ابرز خصال نفسه التواضع ، وشدة الحساسية ، وحب الناس ، وكلها خصال أعانته فى فنه على التأمل العميق فى كل ما كان يراه ويحيط به ، فعاش مشغولا بفنه فى كل مكان ، وفى كل خطة من لحظات حياته ، هو الرائد بفنه وخلقه

ولد محمود سعيد فى ابريل من عام ١٨٩٧ بمنزل والده محمد سعيد (باشا) خلف جامع المرسى أبو العباس بحى بحرى بالاسكندرية وتوفى فى يوم الأربعاء ٨ ابريل من عام ١٩٦٤ مثل « رافايلو » فنان النهضة الايطالية الذى مات فى عيد ميلاده السابع والثلاثين يوم ٦ ابريل عام ١٥٢٠

وشيع جثمان فناننا محمود سعيد فى يوم الخميس ٩ ابريل من القصر الذى كان يسكنه بسان ستيفانو ، والذى حولته وزارة الثقافة الى متحف ليضم أبدع بدائعه ، استجابة الى دعوتنا على صفحات جريدة الجمهورية فى ١١ ابريل و١٢ و ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٤ ، ولا يزال القصر يحمل اسم الفنان الكبير على الرغم من قلة ما يحويه من أعماله التى لا تمثل قدراته الفنية الفذة التى جعلته نجما ساطعا فى سماء مصر الحديثة ، بعد أن أعد نفسه دارسا فن التصوير بمرسم المصور الايطالى « ارتورو زانييرى » لمدة ثلاث سنوات (١٩١٥ ـ ١٩١٨) ، الى جانب دراسته القانون بمدرسة الحقوق الفرنسية تحقيقا لرغبة والده .

وفى عام ١٩١٩ حصل على ليسانس الحقوق ، ووافق والده على سفره الى باريس لزيارة متاحف الفنون ، وكرر زيارته فى صيف عامى ١٩٢٠ و ١٩٢١ والحق بأكاديمية « جيوليان » التى تأسست فى عام ١٨٦٠ لتساعد الراغبين فى الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة على الدراسة الاكاديمية ، وكان مقرها فى شارع « دراجون » ، كما تردد على مرسم «الكوخ الكبير» في مونبارناس، وكلاهما من المراسم الحرة .

وفى عام ١٩٢٢ تزوج من الآنسة سميحة رياض ، وعين نائبا لوكيل نيابة المحكمة المختلطة بالمنصورة . ودأب والسيدة حرمه على قضاء فترة من صيف كل عام فى عواصم بلدان أوربا ، فزار ايطاليا ، وهولاندا ، وبلجيكا ، وسويسرا ، وأسبانيا ، ولبنان ، وانجلترا ، وباريس ، ووجد فى أمجاد فنون عصر النهضة فى ايطاليا ما أعانه على تحديد معالم مسيرته الفنية ، الى جانب عشقه لفن النحت المصرى القديم ، وخاصة فى فنون عصر اخناتون بما تظهره من الصدق والصراحة فى التعبير ، بوحى من عقيدة التوحيد .

وفى مناسبات كثيرة كان يطرى فنون « فان آيك » و «مملنج» و «فان درفيدن» و «روبنس» من مصورى الفلاندر ، والهولاندى «رمبرانت» ، والايطالى « جيوفانى بلينى» · كما كان لا يخفى اعجابه بالصور العارية التى أكثر من تصويرها المصور الفرنسى « أوجست رينوار » والأسبانى « فيلاسكس » ·

وكان محمود سعيد من أولئك الذين يجيدون الاستماع الى الهام أنفسهم ، ويشعرون بمنعة الانفعال بما يرونه من بدائع ، ويحسنون تفقد وقعها ، وما تتضمنه من قيم جمالية بعناية ، وتفكير عميق ·

عاش محمود سعيد فنانا مرهف الحس من عام ١٩١٨ الى عام ١٩٦٤ ، لم تقعده فى أثنائها أعباء الوظيفة ، ومشاكل الحياة العامة عن ممارسة فنه ، وابداع المئات من اللوحات التى تؤكد صدق هوايته ، حتى بلغ بفن التصوير فى مصر ما بلغه محمود مختار بفن النحت من عراقة وأصالة · وكان أول من حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون فى عام ١٩٦٠ ·

وعندما تفقدت مرسمه باذن من السيدة حرمه ـ رحمها الله ـ وجدت لوحة بيضاء معلقة على حامل الرسم ومعدة لاستقباله ـ جريا على ما تعود ، ولكن يد القدر كانت أسبق اليه ، كما وجدت صحفة الألوان « الباليت » وقد صفت عليها الألوان التى كان يفضلها ، وهى على الترتيب التالى :

أكر ذهبى ـ كارمين ـ روزمادار ـ خضر برمانينت ـ أحمر كادميوم ـ أحمر هندى ـ أكر أصفر ـ أخضر اميرالد ـ طينة الظل ـ أصفر كروم ـ بنى فان دايك ـ أزرق كوبالت ـ الأبيض بنوعيه ·

من المعروف أن الناقد عندما يتحدث أو يكتب عن فنان تربطه به مودة وصداقة يكون مجاملا ومؤيدا ، ويجنح بطبيعته ، وبغير ارادته الى الاطراء ، فلا تكاد عيناه ترى الا كل ما يرضيه ، مهما تملكته نزعة النقد الموضوعى الهادف ، المترفع عن الأهواء ، والمتحرر من كل القيود · وتكون العلاقة أكثر اتصالا لو أن الناقد يمارس عمليا نفس الفن الذى يتعرض له ، وفى هذه الحالة يكون على دراية تامة بالقيم الفنية التى يحس تقديرها ، والاحاطة بها وتفسيرها ، ويكون نقده امتدادا منطقيا ، لا لغو فيه ولا خداع ·

والقاء الضوء على فن « محمود سعيد » بعد تسعة عشر عاما على فراقه ، يدعونا الى أن نذكر أول ما نذكر ، أنه بلغ من الشهرة ، وعلو القدر فى فن التصوير ، ما بلغه المثال محمود مختار فى فن النحت · وتذوق فنه لا يحتاج من الباحث سوى أن يتريث ، ويحسن تأمل المراحل التى مر بها ، وان يولى كل مرحلة من الاهتمام والتقدير الصادق ما هى أهل له ، حتى تتجمع لديه حلقات متكاملة عن سيرة الرجل الذى عاش لفنه كل حياته ، لا يشغله عنه شاغل ·

وكان محمود سعيد ينظم روائعه بالرسم والألوان فى أربعة مجالات ، وهى :

- الصور الشخصية
- المناظر الطبيعية (الريفية والبحرية)
- العاريات
- العادات والتقاليد الشعبية

وفى كل مجال من هذه المجالات روائع تستوقف المتأمل لها ، وتستولى على وجدانه ، وان اختلفت مواقف بعض المشتغلين بالفنون ·

فمنهم من يكبر أسلوبه ، ويعرف قدراته فى المجال الأول دارسا ، ومجللا للشخصية التى يصورها ، ويسبر أغوارها ، ويتعرف على خصالها وطباعها المميزة للأطفال والنساء والرجال ، من جميع الجنسيات ومختلف الأعمار ، وفى كل منها يكاد الناظر يشعر كأنه يقرأ كتابا مفتوحا ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى المجال الثانى يجد المشـــاهد للمناظر الريفية ، ومناظر البحر ، وشواطىء الاسكندرية معالم تربطه بالوجود الواقعى ، وأشخاصا يتعامل معهم فى الحياة ٠

وفى المجال الثالث نشاهد عرضا لأجســـام عارية ، تمثل جمـال المرأة السكندرية ، بلون بشرتهـا الحمرية أو الزنجيات من ذوات البشرة المائلة الى الســـواد ، وجميعها يرجـع عهده الى الثلاثينات والأربعينات ، ولها أنمـــاط وسمات توحد مختلف المدارك الحسية ، فى نطاق الواقعية الجديدة (نيوريـاليزم) ، التى تعلق بها ليحقق مشتهياته الذاتية ، بأسلوب أقرب الى تسجيل واقع الموجودات ، فى أوضاع مسترخية ، متنوعة الحركات ، وكان يمارس هـــذا الفن فى مرسم صديقه المصور اليونانى الجنسية « انجيلوبولو » الذى حبب الى محمود سعيد أن يخوض هـــذا المجال ليظهر براعته فى تصوير الأجسام العارية ، كشـــأن كل فنان أكاديمى النزعة ، وكمفتاح للمطـ ق الذى يوصله الى تحقيق ذاته ، وبأسلوبه المبتكر ، وأظهر محمود سعيد براعته فى تصوير تلك النماذج التى كان يأتيه بها صديقه اليونانى ، وهى التى وصفها صديقنا الفنان محمد ناجى ، بأنها تبدو كالمطاط المنتفخ ، لشدة حرصه عـلى اظهار استدارة الأعضاء ، التى ينساب الضـوء على سطحها الأملس متدرجا ، الى أن يتلاشى فى الظلام المحيط بالأجسام التى يميل لون بشرتها الى السواد ٠

وفى المجال الرابع نشاهد تسجيلا للعادات ، والمعتقدات ، والتقاليد الشعبية ، مثل « صلاة الجمعة » و « زيارة القبور » « وحلقة الذكر » و «الزار» و «السوق» و «بنات بحرى» و «المقرىء» وكلها من وحى الحى الشعبى الذى نشأ فيه ، على سماع صوت المؤذن للصلاة ، ونداءات الباعة الذين يتنافسون على ترويج سلعهم بأصـــوات رنانة ، ذات رجـع موسيقى مميز ومحبب الى أسماع الكبـار والصـــغار ٠ وكان لهذه البيئة الشعبية تأثير واضح على فنه فى شتى المواضيع التى صورها مع بداية العشرينات ، بعد أن أكمل تدريبه فى مرسم المصور الايطالى « ارتوروزانييرى» لمدة ثلاث سنوات ، الى جانب دراسته القانونية بمدرسة الحقوق الفرنســـية ، ومن بينها نذكر صورة «هاجر» و «الأسطى فرج» و «محمد الصغير» و « المنشد فى المقهى » ، وصورة خاله أحمد مظلوم باشا ، والبارون فوكيه ، ولوحات أخرى كثيرة أتمها فيما بين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٣ ٠

وكانت أولى محاولات محمود سعيد فى تصوير العاريات لوحة تسمى « على الوسادة الزرقاء » ومؤرخة فى عام ١٩٢٧ ، ولوحة أخـرى باسـم « المستحمة » وبدأها فى عام ١٩٢٥ ، وأتمها فى عام ١٩٣٥ ٠

وبدأ نضـــجه الفنى يبدو فى عام ١٩٣٠ ، واكتمل فى السنوات التالية متجددا ، ومتطورا ، ومتساميا بأسلوبـه الواقعى الذى التزم بـه ، فتارة نراه يميل الى جانب المتصوفين ، وتارة تفتنه الحيـــاة بحسنها وسحرها ، وتارة أخـرى نراه متساميا بعواطفة الانسانية النبيلة ، ولكنه لم يكن أبدا فاقد السيطرة على نفسه ، أو نازعا الى ما ينم عن الفجور ٠

ومن الأمثلة الدالة على صدق منهجه الواقعى لوحة « يوسف وهبه باشا » ١٩٣١ ، وفى نفس العام نراه مفتونا بقدرته على اظهار محاسن جسم المرأة فى ثلاثة أوضاع ، على لوحة « المستحمات » ، وهو موضـــوع كلاسيكى تناوله « بوتيشيلى » (١٤٤٥ ـ ١٥١٠) على لوحته المشهورة «الربيع» ، كما تناوله غيره من مصورى القرن السابع عشر ، مثل المصـــور الفلامنكى « بيتر بول روبنس » (١٥٧٧ ـ ١٦٤٠) ، والمثال الايطالى « لورنسو برتينى » باسم الظريفات الثلاث ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن فناننا محمود سعيد استطاع معالجة هذا الموضوع بأسلوب ينفرد فيه باظهار الأجسام القوية الراسخة ، والتماثل فى حركة الأعضاء ، والتكوين المتماسك ، الذى يشغل حيزا مغلق الحدود ، ليحافظ على وحدة المجموعة ، محققا بذلك القانون المعروف باسم « دوريفورو » أو حامل الرمح ، فى التمثال الذى يحمل اسم صانعه الاغريقى « بوليكليتو » .

وبلوحة « المستحمات » بدت معالم جديدة فى معالجة أعضاء الأجسام المستديرة ليزيدها أنوثة وحيوية وليونة .

واستمر محمود سعيد صاعدا بفنه على عشرات من اللوحات التى أتمها فى الثلاثينات ، ومنها نذكر لوحة «حمام الخيل بالمنصورة» ١٩٣٠ ولوحة «دعوة الى السفر» ١٩٣٢ و «ذات الجدائل الذهبية» و «الشادوف» و «فاطمة» ١٩٣٣ و «الراقصة» و «صلاة الجماعة» ١٩٣٤ و «العائلة» و «حلقة الذكر» وصورة الفنان « انجيلو بولو» والمهندس «نيقولايدس» و «الجميلات الثلاث أو بنات بحرى» ٣٥ / ١٩٣٦ و «نادية بالرداء الوردى» و «المدينة» و «القط الأبيض» و «السيدة فاوستا تيرنى» ١٩٣٧ و «السيدة ماريا كفاديا» و «الأسرة» و حرم الدكتور جواد حماده » ١٩٣٨ و «الزار» و «الرقص فى الكاباريه» ١٩٣٩ و « المقرىء فى السرادق » و « سيدة مطلقة من النافذة » و « المصور اليونانى ليتساس » ١٩٤٠ .

وفى الأربعينات نجده أكثر اشراقا ، بعد أن تسرب الضوء على لوحاته التى تمثل غالبا المناظر الطبيعية فى مصر ولبنان ، فخفف من ثقل الألوان القائمة التى كان يستعين بها فى الأماكن الداخلية ، بين جدران المراسم ، ومن بين لوحات تلك الفترة نذكر لوحة «الصلاة» و « الصيادون في فى رشيد » و « الهجرة » ١٩٤١ و «عقد الكهرمان» و « رقص شرقى » و «نادية بجوار النافذة» ١٩٤٢ و « على الأريكة الخضراء » و « ذات الحلى » ١٩٤٣ و « عارية على الوسائد » و « الصيد فى زوبعة على الكورنيش » ١٩٤٤ والكثير من اللوحات لمناظر الطبيعة فى لبنان فيما بين عامى ١٩٤٤ و ١٩٥٧ و « ذات الحزام الذهبى » ١٩٤٥ و « العاطل » و « نادية بالرداء الأبيض » و « خليج السلوم » و « ذات الأساور الذهبية » ١٩٤٦ و « الوسادة الخضراء » و « جزيرة فيله بأسوان » ١٩٤٧ و « فتاة على الكرسى » ١٩٤٨ و « مدينة مرسى مطروح » ١٩٤٩ و « ذات المنديل الأصفر » و « منزل روميل بمرسى مطروح » و « زاوية الأموات بالمنيا » و « ذات الأساور الزرقاء . و « المسجد بمرسى مطروح » ١٩٥٠ .

وفى الخمسينات صعد محمود سعيد بفنه فى مجالات متنوعة من التطور والازدهار ، نراها فى لوحة « المينا الشرقية بمرسى مطروح » و « الملاحة والشاطىء بمرسى مطروح » و « مناظر فى لبنان ومحاجر حماطة بالبحر الأحمر ١٩٥١ و «نبوية» و « الطريق الى بيروت » ١٩٥٢ و « مناجم الفوسفات » و « جزيرة فيله بأسوان » و « ذات الحلق المرجانى » و « ميناء بيروت » و « البقاع بلبنان » و « أمونة » ١٩٥٣ و « بعد المطر بلبنان » و « ميناء بيروت » و « تل الصنوبر » و «البقاع» و «تل الكرزل بلبنان» و « ظهور الشوير » ١٩٥٤ و « منظر بأسوان » ١٩٥٥ و « دير برمانا بلبنان » و « حرم اسماعيل مظلوم » ١٩٥٦ و « القناة الكبرى بالبندقية ٢٤ / ١٩٥٧ و « ضاحية فى استوكهولم » و « الجليد فى استوكهولم » ١٩٥٧ و « قرية ظهور الشوير » و « حمام كليوباتره بمرسى مطروح » ١٩٥٩ و « حفيدا سميحة وسعد الخادم » ١٩٦٠ .

وفيما بين عامى ١٩٦١ و ١٩٦٤ ، قام بزيارات لجزر اليونان ، وصور الكثير من المناظر البحرية ، منها لوحة لميناء سيرا ، وكان آخرها لوحة صغيرة لباخرة صغيرة بجوار مرساة الجزيرة ، بعد رحلة سعيدة ، لم تخل من معاناة منبثة بالنهاية المحتومة ، وخاتمة المطاف .

صور اللوحات عدسة الفنان
سامى فرج السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

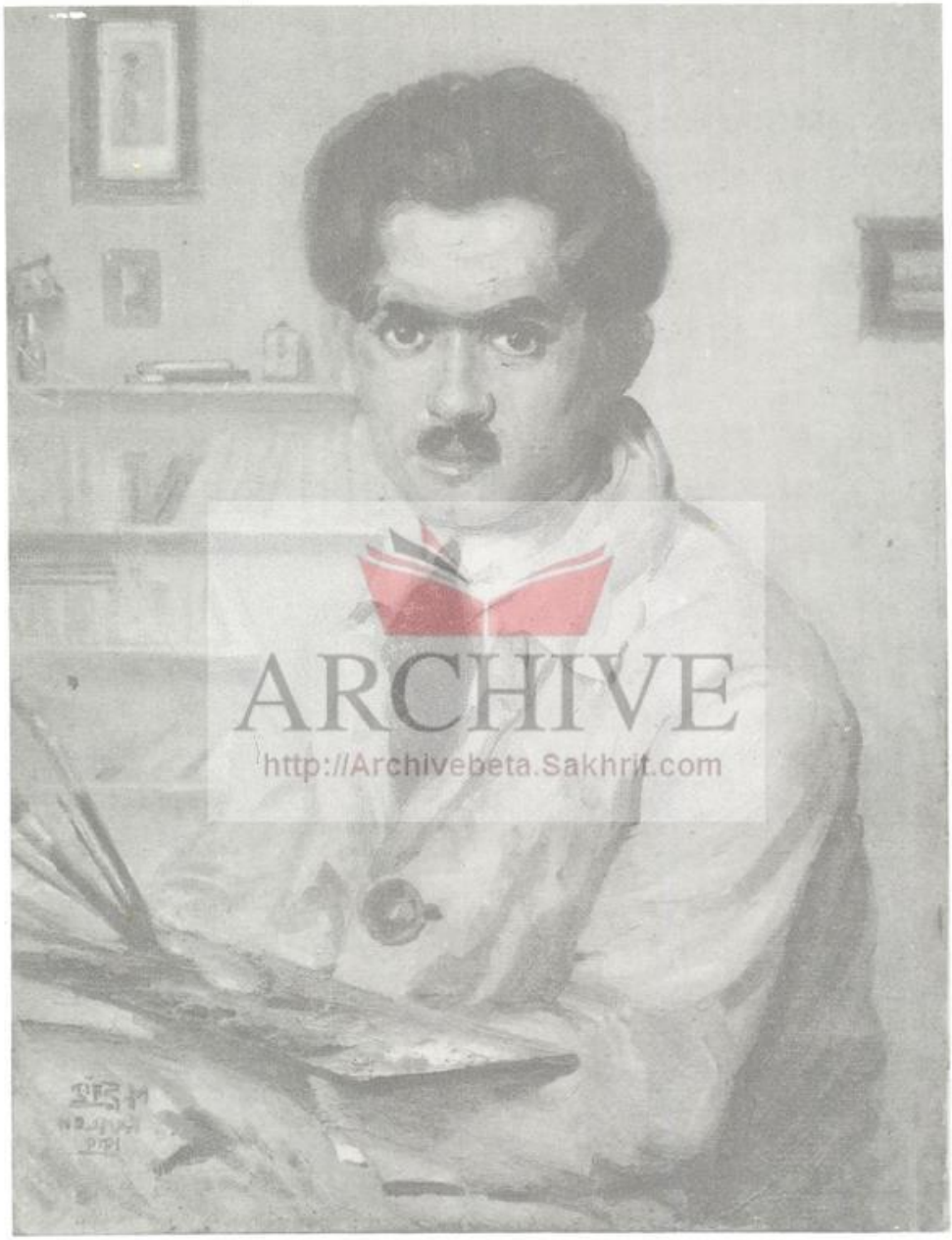

صورة الفنان كما صورها (١٩١٩)

المدينة (١٩٤٨)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جبل الصنوبر ـ لبنان (١٩٥٤)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيدة مارى كفاديا (١٩٣٨)

المقرئ فى السرادق (١٩٦٠)

ذات الجدائل الذهبية (١٩٣٣)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صيد الشباك (١٩٣٣)
(سفارة مصر بواشنطن)

ذات الخفهاف الاسود (١٩٣٦)

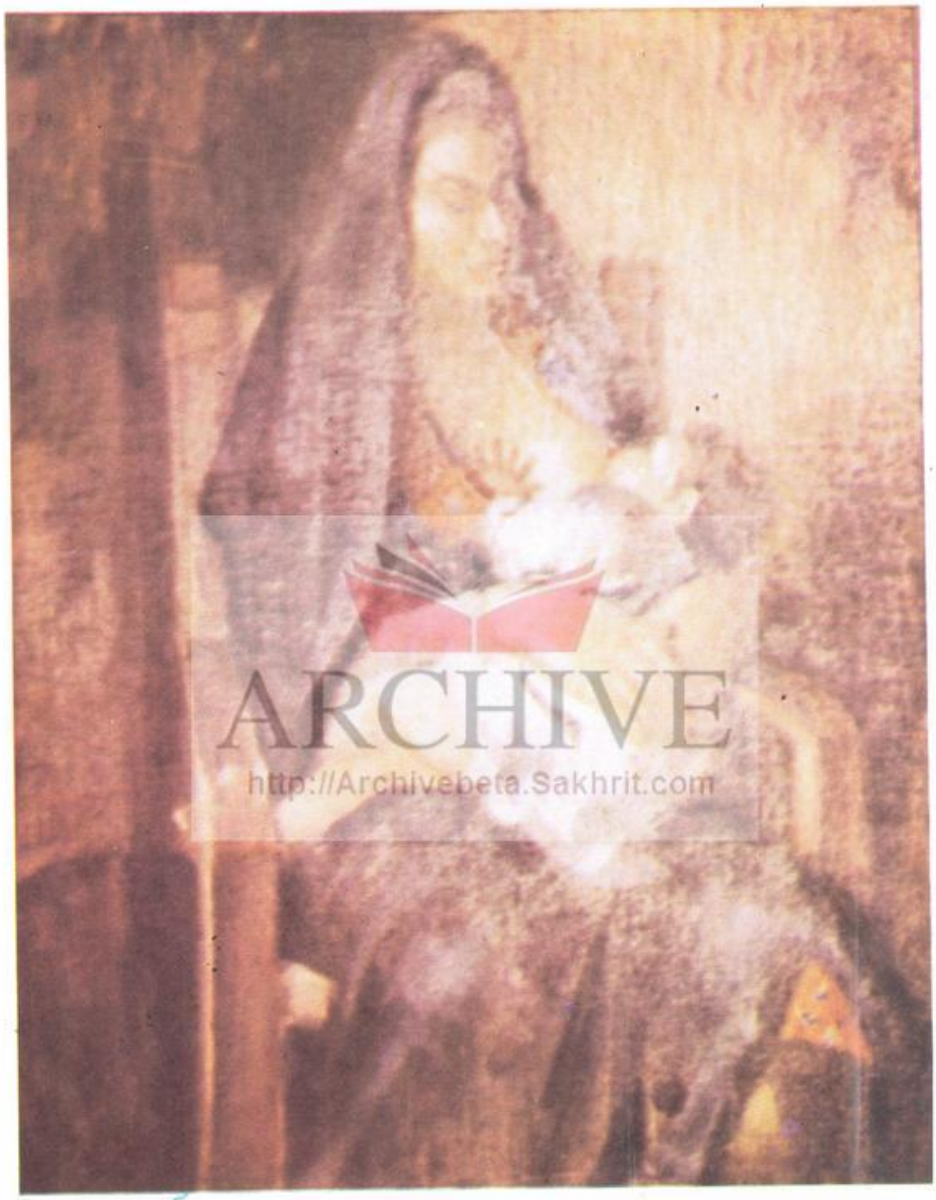

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأمومة (عطيات) (١٩٥٤)

ذات الوردة (١٩٥٠)

على الوساند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لبنان (١٩٥٤)

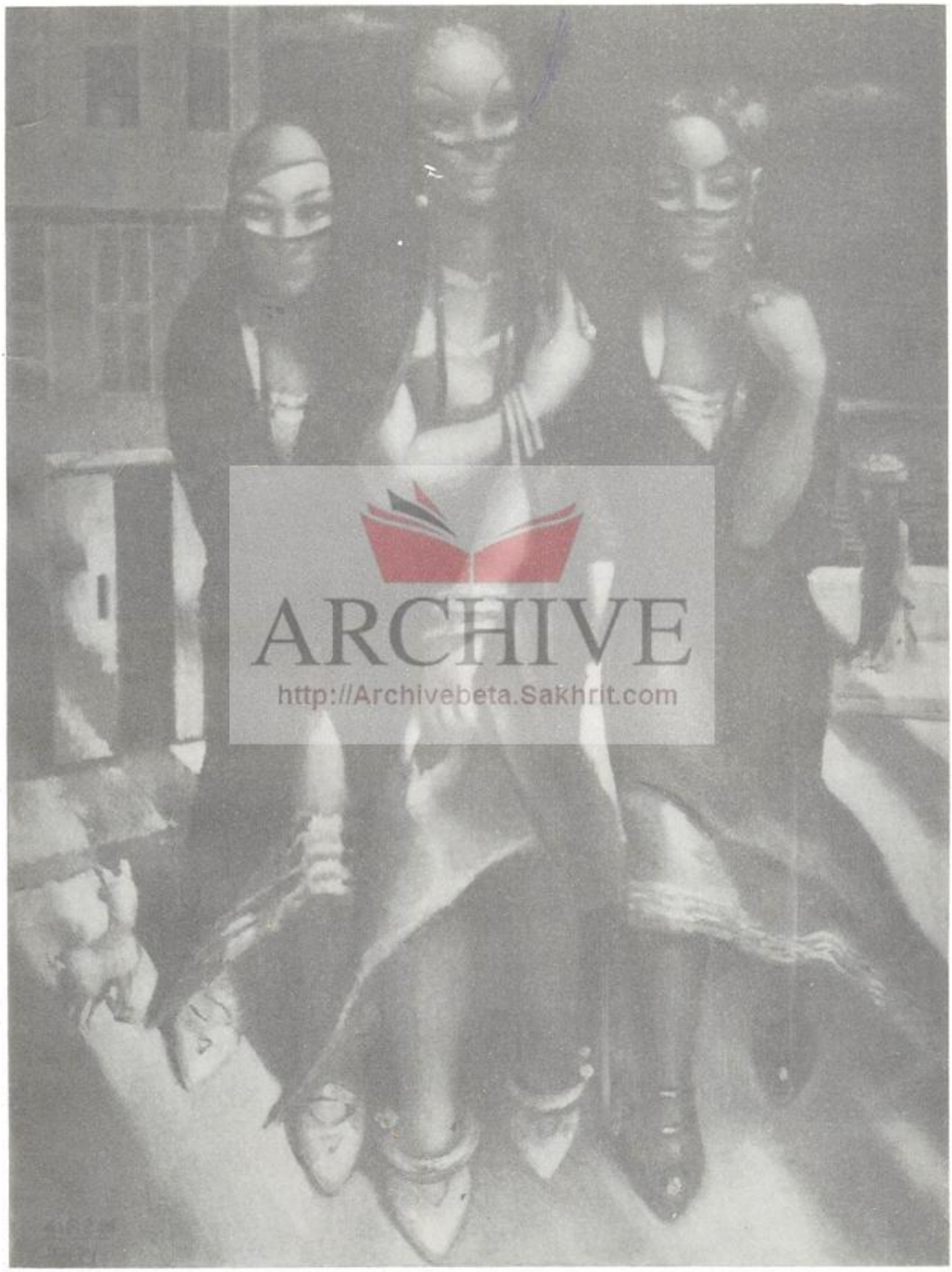

بنات بحرى (١٩٤٨)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ / ٩٨٣

حافظى على رشاقتك
بتنظيم اسرتك

اسرة المستقبل
توفر لك
امان

اقراص موضعية للسيدات
بجميع الصيدليات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

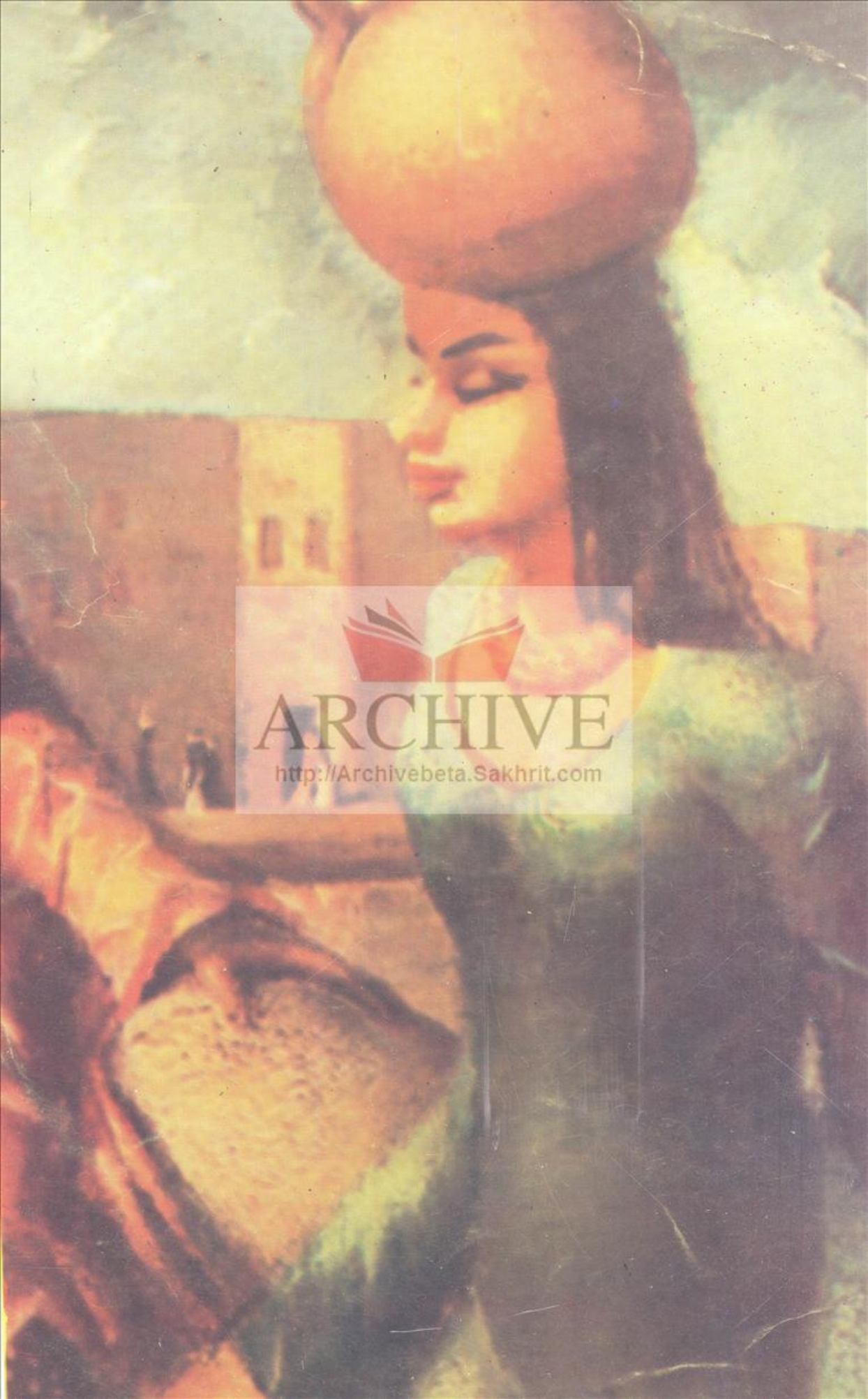
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com